

مجلة علمية نصف سنوية، مُحكّمة، تعنى بنشر البحوث التاريخية والآثارية والحضارية

المجلد الثامن عشر

الجـــزء الثاني

يـوليـو 2008م

جمادى الآخرة 1429هـ



تصدر عن : دار المريخ للنشر - لندن

قواعد النشر

١ - « العصور » مجلة نصف سنوية تتولى نشرها دار المريخ للنشر بالرياض وتصدر عن مكتبها بلندن .

٢ - تقدم البحوث والمقالات والترجمات مطبوعات على الآلة الكاتبة على مسافتين من أصل وصورتين علي ورق مقاس ٢١ × ٢٩.٧ سم (A4) وعلى وجه واحد فقط ، ترقم جميع الصفحات شاملة الجداول والصور التوضيحية .

٣ - يراعى ألا يتجاوز عدد صفحات أي بحث أو مقال ٣٠ صفحة (أي في حدود ٧٠٠٠ كلمة) ، أما بالنسبة للكتب المحققة فيراعى ألا يتجاوز عدد صفحاتها ٥٠ صحة (أي في حدود ١٢.٠٠ كلمة) .

٤ - يرفق الباحث ملخصاً لبحثه في حدود ٢٠٠ كلمة (مائتي كلمة) تتصدر البحث باللغتين العربية والأجنبية .

٥ - ترسم الخرائط والأشكال والرسوم البيانية بالحبر الصيني على ورق « كلك » حتى تكون صالحة للطباعة ، أما الصور الفوتوغرافية فيراعى أن تكون مطبوعة على ورق لماع ، وإذا كانت ملونة فلابد من تقديم الشريحة الأصلية .

٦ - يراعى وضع خطوط متعرجة تحت العناوين الجانبية ، وكذلك الألفاظ والعبارات التي يراد طبعها ببنط ثقيل ، كما توضع خطوط عادية أسفل عناوين الكتب والدوريات .

٧ - يراعى كتابة علامات الترقيم بعناية (النقطة ، علامة الاستفهام ، علامة التعجب ... الخ) في كتابة البحث وبصفة عامة يتبع أسلوب ال« MLA » في الكتابة .

٨ - الحواشي

تطبع الحواشي على الآلة الكاتبة وعلى مسافتين في صفحات مستقلة في نهاية البحث ولا تقبل قائمة للمراجع كل حاشية تمثل جملة مستقلة ولا تشمل على نقط بداخلها .

ويأخذ الترتيب العام للحاشية الشكل الآتي :

اسم (أسماء) المؤلف (ين) ، عنوان الفصل أو الجزء من الكتاب ، عنوان الكتاب ، أسم (أسماء) المحرر (ين) ، المترجم (ين) ، المعد (ين) ؟ رقم الطبعة المستخدمة ، رقم السلسلة عدد المجلدات ، مدينة النشر ، الناشر ، سنة النشر ، رقم المجلد ، وأرقام الصفحات ، ويتبع في الحواشي النظام الآتي :

البحوث

عبد المحسن مدعج ، علي بن الفضل ودعوته في اليمن (٢٦٨ - ٣٠٣ هـ) . « العصور » مجلد ٣ جزء ١ ، ١٩٨٨ م . ص ص ٨٣ - ١٠٦ .

الكتب

المقريزي . تقي الدين أحمد بن علي النقود القديمة والإسلامية ، تحقيق رأفت محمد النبراوي ، العصور ، المجلد الثالث ، الجزء الأول ١٩٨٨ م . ص ص ١٤٩ - ١٥٣ .

محمود محمد الروسان ، القبائل الثمودية والصفوية : دراسة مقارنة (الرياض : جامعة الملك السعود ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م) . ص ص ٢٥ - ٢٧ .

عاطف وصفي الثقافة والشخصية (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٧٧ م) . ص ٧ .

بعد الذكر الأول للحاشية مشتملة على جميع البيانات المرجعية يشار إليها بعد ذلك في الشكل المختصر وهو يشتمل على اسم العائلة للمؤلف يتبعه أرقام الصفحات المطلوب الاشارة إليها .

(١٧) نوصير ، ص ص ٢٧ - ٥٣ .

وفي حالة وجود عمل أو أكثر للمؤلف نفسه في المقال نفسه فإن الشكل المختصر للحاشية يشتمل بالضرورة على مختصر العنوان بعد اسم العائلة للمؤلف مباشرة .

(٢٨) نوصير . مدرسة جركسية ص ص ٢٧ - ٥٣ .

تأخذ الحواشي أرقاماً مسلسلة حتى نهاية البحث دون استخدام نجوم أو أية رموز أخرى وتطبع في المتن في موضع أعلى قليلاً من السطر بعد علامات الترقيم .

في حالة الكتب التي تفتقر إلى بيانات النشر ، يشار إلى أحدها أو أكثر من الاختصارات الآتية :

د . م . = بدون تاريخ النشر ، د . ص = بدون اسم ناشر . د . ت = بدون تاريخ النشر ، د . ص = بدون أرقام صفحات .

٩ - أصول البحوث والمقالات وترتيبها داخل العدد لاعتبارات فنية لا علاقة لها بمكانة الكاتب .

١١ - لما كانت المجلة تصدر نصف سنوية بصفة دورية ، وتوزع في موعد محدد فان ذلك يتطلب ضرورة جمع موضوعاتها وتنسيقها وإخراجها وطباعتها في وقت يسبق موعد التوزيع بفترة كافية .

١٢ - لا تقبل المجلة نشر البحوث أو المقالات أو الترجمات التي سبق نشرها . كما لا يجوز إعادة النشر في مجلات علمية أخرى بعد إقرار نشرها في هذه المجلة إلا بعد الحصول على إذن كتابي من رئاسة تحرير المجلة .

١٣ - تقبل البحوث المكتوبة باللغتين العربية والانجليزية .

١٤ - تأمل رئاسة التحرير من السادة الأساتذة الباحثين والكتاب الذين يرغبون في نشر بحوثهم ومقالاتهم في الاعداد القادمة من المجلة أن يلتزموا بالقواعد هذه . لأن هذا يساعد رئاسة تحرير المجلة على أداء عملها كما يساهم في خدمة أهداف المجلة وستعتذر عن قبول أي مقالة أو بحث لا يلتزم مؤلفها بتلك التعليمات .

١٥ - يقوم المؤلفون بمراجعة تجارب الطبع الأخيرة بمطابقتها على الأصول ، مع مراعاة عدم إجراء أي تغييرات فيها تختلف عما ورد في الأصول ، سواء بالإضافة أو الحذف ، على أن تعاد تجربة الطبع خلال ٤٨ ساعة فيما او رأت رئاسة التحرير غير ذلك .

١٦ - تمنح إدارة المجلة لمؤلف كل بحث أو مقالة نسخة مجانية من المجلد الذي نشر به البحث أو المقال .

١٧ - توجه جميع المراسلات الخاصة بالمجلة إلى : دار المريخ للنشر - ص ب ١٠٧٢٠ ، الرياض ١١٤٤٣ ، المملكة العربية السعودية .



مجلة علمية مُحَكّمة ، نصف سنوية ، تعنى بنشر البحوث التاريخيّة والآثاريّة والحضاريّة

المجلد الثامن عشر
الجزء الثاني
يوليو 2008 م
جمادى الآخرة 1429هـ



تصدر عن : دار المريخ للنشر - لندن

بسم الله الرحمن الرحيم

قسيمة اشتراك

السادة / دار المريخ للنشر

ص . ب : ١٠٧٢٠ - الرياض : ١١٤٤٣

المملكة العربية السعودية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ..

نأمل التكرم بأعتماد اشتراكنا في مجلة العصور لمدّة .... سنة أعتباراً

من .... وحتى .... ، وذلك بواقع .... نسخة، على أن ترسل

من قبلكم إلى العنوان التالي : ....

....

....

ومرفق الشيك رقم .... بمبلغ .... قيمة الإشتراك.

التوقيع

....

تملأ هذه القسيمة وترسل على العنوان التالي :

دار المريخ للنشر

الرياض – المملكة العربية السعودية ص.ب : 10720 – الرمز البريدى : 11443

هاتف : 4647531 / 4658523 + (009661) فاكس: 4657939

البريد الإلكترونى : Email: marspubl@zajil.net

دار المريخ للنشر

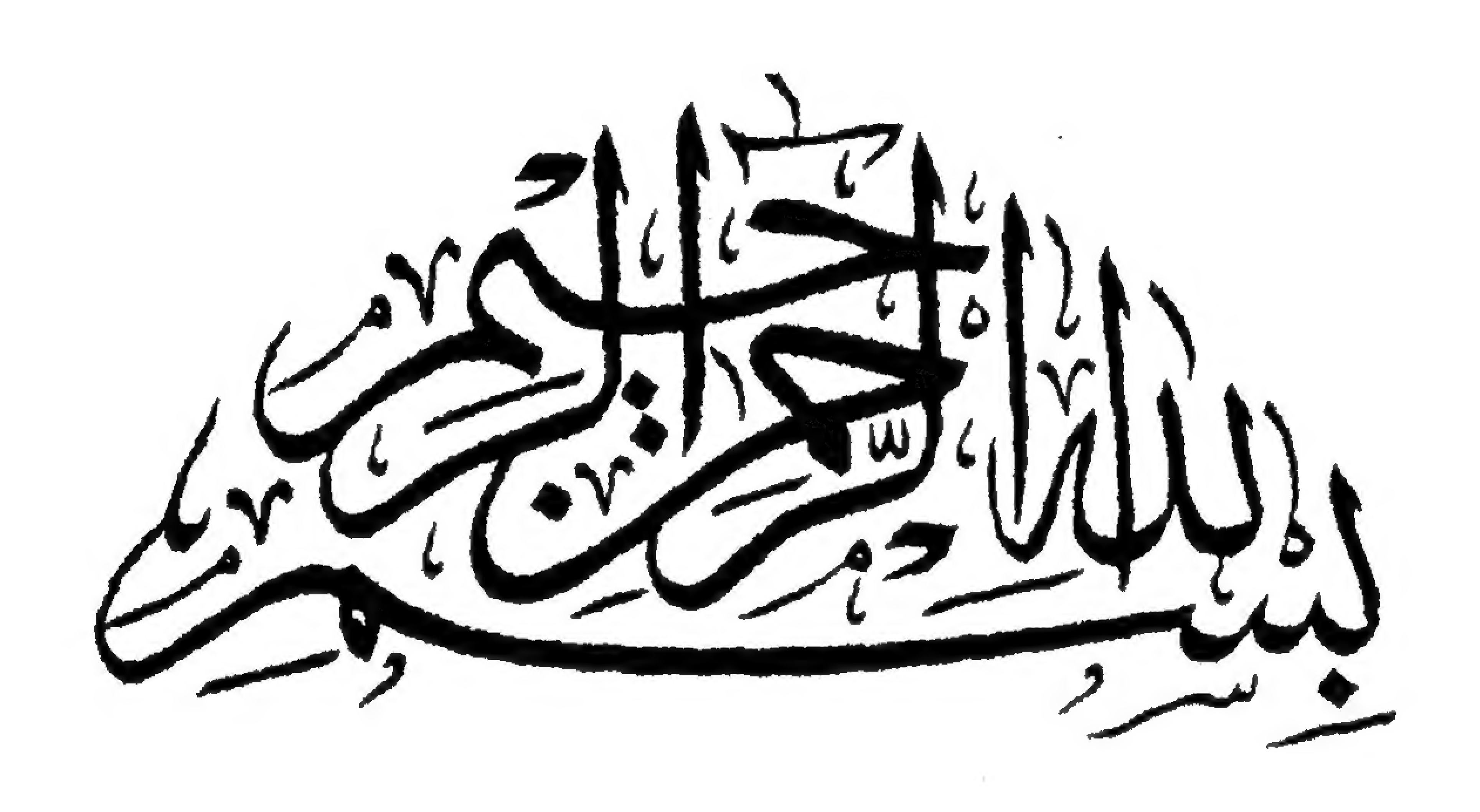
جمهورية مصر العربية – 4 شارع الفرات – المهندسين – الجيزة – الرمز البريدى: 12411

فاكس: 37609457 هاتف: 33376579 / 37609971 + (00202)

البريد الإلكترونى : Email: marspub2002@Yahoo.com

المراسلات والاشتراكات لجميع الدول العربية والعالم يتفق بشأنها مع العنوان المذكور أعلاه .

الاشتراكات	السعر	
«مائة ريال سعودي» داخل المملكة العربية السعودية	100	ريال سعودي
«خمسة وثلاثون دولار أمريكي» للبلاد العربية	35	دولار أمريكي
«أربعون دولار أمريكي» للدول الأوروبية	40	دولار أمريكي
«خمسة وأربعون دولار أمريكي» أمريكا وكندا	45	دولار أمريكي
«خمسون دولار أمريكي» أستراليا وجنوب شرق آسيا	50	دولار أمريكي
«مائة جنيهًا» داخل جمهورية مصر العربية	100	جنيهًا مصريًا


بسم الله الرحمن الرحيم

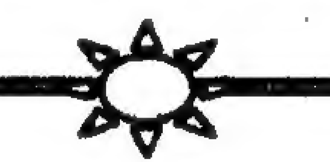


المملكة العربية السعودية ، ص . ب 10720 — الرمز البريدي 11443
فاكس 4657939، هاتف 4647531 / 4658523
البريد الألكتروني : email : marspub1@zajil.net



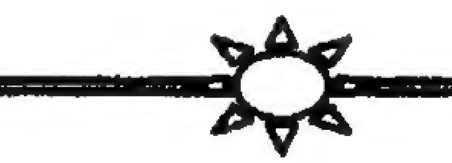
موقع المجلة على الإنترنت
http://alosour.netfirms.com

البريد الإلكتروني للمجلة
al_osour@hotmail.com



تكون جميع المراسلات والاشتراكات لجميع دول العالم على العنوان التالي :

- دار المريخ للنشر — ص . ب 10720 الرياض : 11443 — المملكة العربية السعودية.
- دار المريخ للنشر — 4 ش الفرات — مدينة المهندسين — جمهورية مصر العربية.
- هاتف 3376579 فاكس 7609457.
- الدار العربية للنشر والتوزيع — 49 جولد هوك رود، لندن - W128QP المملكة المتحدة.



الاشتراكات السنوية :

- المملكة العربية السعودية (100) ريال سعودي.
- الدول العربية (35) دولاراً أمريكياً أو ما يعادلها.
- الدول الأوروبية (40) دولاراً أمريكياً .
- أمريكا وكندا (45) دولاراً أمريكياً .
- استراليا وجنوب شرق آسيا (50) دولاراً أمريكياً .



٭ ما ينشر في هذه المجلة من مواد تعبر عن آراء أصحابها.

المستشارون

العصور، المجلد الثامن عشر ، الجزء الثاني، 1- 146، القسم العربي (2008م).

المحتويـــات

القســم العربــي

العصور، المجلد الثامن عشر، الجزء الثاني، 7 – 31 (2008م)

نقوش صفائية
من تلة هارون بالبادية الأردنية

د. زياد عبد الله طلافحة
دائرة الآثار العامة – قسم المشاريع – الأردن

ملخص البحث:

يقدم هذا البحث دراسة تحليلية لغوية لثلاثة عشر نقشاً من الفرعِ الصفائي كُتبت بلهجةٍ عربيةٍ شمالية، عُثر عليها في تلةِ هارون الواقعة جنوب شرق بلدة الصفاوي بحوالي عشرة كيلو مترات. وتبرزُ أهمية هذه النقوش بأنها أخبرت عن استخدام بعض الصيغ الطلبية الدعائية لعدد من الآلهة، في طلب النعم والشمولية في هذه الدعوة. ويعكس هذا مدى طموحاتهم وما يشغل أفكارهم من الأماني والتمنيات. ويظهر هذا البحث استخدام بعض الصيغ ما يطابق ما ورد في القرآن الكريم مثل: لاتذر، ويناقش هذا البحث استخدام بعض الأفعال والأسماء الجديدة مثل: أوسه، النعم، ويشير إلى أن الإمالة والإبدال ربما تعالج نهايات بعض الأسماء والأفعال الواردة بالواو والياء مثل: شتي، شتو، رضو، رضي. كما تحاول هذه الدراسة إظهار الأهمية التاريخية والاجتماعية والدينية لهذه النقوش، ومدى ارتباطها باللهجات العربية القديمة والحديثة.

المقدمة:

يتناول هذا البحث توثيق ثلاثة عشر نقشاً جديدة من النقوشِ العربيةِ الشماليةِ من الفرعِ الصفائي وجدت في"تلة هارون"، أثناء المسح الميداني في منطقة قاع الفهدة، حيث يتناول قراءة لهذهِ النقوش ودراستها وتحليلها ومقابلة مفرداتها مع مفرداتِ النقوش العربية القديمة آنذاك. ويبين هذا البحث دراسة بعض الظواهر اللهجية واللغوية، كما يظهر مدى ارتباط هذه النقوش في اللهجاتِ العربيةِ القديمة والحديثة أسماء كانت أم أفعالاً، وكما يعرض البحث مضامين هذه النقوش وإبراز أهميتها اللغوية والتاريخية.

تقعُ تلة هارون في الطرف الشرقي لقاع الفهدة وإلى الجنوبِ الشرقي من بلدةِ الصفاوي، وعلى بعد عشرة كيلو مترات منها. وقاع الفهدة جزء من وادي راجل في الباديةِ الأردنيةِ، حيث تتجمع مياه الأمطار في تلكِ القيعان بعد انتهاء موسم الشتاء ويحتفظ بها بعض الوقت، ولما كان تجمع المياه في تلكِ القيعان محط جذب واهتمام أهل البادية في الماضي والحاضرِ، وذلك لسقايةِ حيواناتهم والرعي على بعضِ الأعشاب والشجرات البرية الرعوية التي تنمو حول تلك الأمكنة، ما زال أهل البادية الأردنية يرتادون المكان وللغاية نفسها. ونتيجة إشغال هذا المكان في الماضي وجد العديد من النقوشِ على الرجومِ وجوانب الأودية وجدران الحظائر، إضافة إلى العديد من الرسوماتِ الآدمية وكانت لفرسان يمتطون خيولاً في حالةِ صيد أو لأشخاص منفردين. أما الرسومات الحيوانية المرافقة فتمثلت في الأسد، والفهد، والجمل والفرس، والمها، إضافة إلى وجود بقايا بعض الحظائر"الصير".

1. بنيةُ النقوش:

أولاً: نقوشُ المُلكية

1- بيانُ مُلكيتهم لتلك النقوش والتي دونت على الحجارةِ على نحو هذا النقش لفلانِ بن فلان.

2- بيانُ مُلكيتهم للرسوم الصخرية كما في النقش رقم 6.

ثانياً: النقوشُ الطلبية (الدعائية)

حيث وجه من خلالها أصحابها نداء إلى معبوداتهم الوثنية بأن تساعدهم وتمنحهم النعم والشمولية في هذه الدعوة. وأرى أنها ترد لأول مرة بهذه الصورة في النقوش الصفائية، وكلهًا تدلُ على ممارسةِ الحياةِ اليوميةِ وتعكس عن مدى طموحاتهم وما يشغل أفكارهم من الأماني والتمنيات، وأخبرت على ممارسة عملية الصيد وأنه عاد من رحلة صيده"بحمارٍ وحشي"كما في النقش رقم 13.

2- قراءة النقوش ونقل معانيها إلى العربية الفصيحة.

النقش رقم 1 (الشكل 1).

كتب النقش على حجر بازلتي مستطيل الشكل تقريباً، ظهر النقش بخط سميك وبحروف كبيرة الحجم، بدأ كاتب النقش من جهة اليسار، أحرفه متناسقة من حيث الحجم، وجميع حروفه مقروءة، أحيط النقش بإطار من أسفله وبداخله سبعة خطوط متناسقة الطول، ويوجد أعلى النقش نقش آخر غير واضح.

النقشُ بحروفِ العربيةِ الفصيحةِ

ل ش ع هـ م ب ن ن ف ر

المعنى: ل شعهم بن نفر

الإيضاح:

ش ع هـ م

اسمُ علمٍ مذكر مركب من"ش ع"ومن ضميرِ الجمع الغائبين"هـ م"، بدأ بلامِ التمليك، والشيعة أتباع الرجل وأنصاره وجمعها شيع، وأشياع، ويقال شايعه كما يقال والاه من الولي، يُشَوِّعُ[1]، أوكستبي يرى أن المعنى قد يكون هو"واحد من زوج"، أو أحد الشيئين يتمم بعضه الآخر[2]، ويمكن أن يقرأ"ش ي ع هـ م"وذلك لورود الاسم"ش ي ع"في النقوش الصفائية[3]، فسر ليتمان الفعل"ش ي ع" بمعنى ساعد[4]، وريكمانز فسره: بمعنى رافق، مرافقة[5]، الجذر"شيع"يدل على معنى"المرافقة"[6]، وكذلك ورد في الصفائية"و ر ع ي أ ش ع هـ" وتعني "ورعى الغنم العجاف التي لا تلحق بالقطيع"[7]، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ ۝١٠﴾ {سورة الحجر آية 10} أي لقد أرسلنا من قبلك يا محمد ﷺ في طوائف

(1) ابن منظور، بيروت، 1955، ج 8، ص 188.

(2) Oxtoby,W.,Some Inscriptions Safaitic of the Bedouin, New Haven: American Oriental Series 50, 1968, N164, P. 67.

(3) Harding ,G. L., An Index & Concordance of pre-Islamic Arabian, Names and Inscriptions, Toronto, 1971, p. 364.

(4) Littmann, E.Safaitic Inscriptions, Leiden: Publications of Princeton University Archaeological Expeditions the to Syria in = 1904 -1905 and1909, 1943, p. 345.

(5) Ryckmmans, G., Corpus Inscriptionum Semiticarum, Part v {Inscriptiones saracenicae} vol. 1, Paris Imprimerie Nation, 1950, p. 357.

(6) المكاوي، الصيغ الطلبية (الدعائية)في النقوش الصفوية، جامعة اليرموك، اربد، 1997، ص 96.

(7) طلافحة، لغة النقوش الصفوية وصلتها بلهجة أهل البادية الشمالية الأردنية، القاهر، 2000، نقش 53، ص 70.

وفرق الأمم الأولين[8]، وفي التراث ورد الاسم شيع الله[9].

الشواهد:

وهو اسم علم ورد في نقوش صفائية أخرى[10]، وورد أيضاً بصيغة "ش ع" و "ش ع إ ل"[11]، وورد كذلك بالصفائية بصيغة "ش ي ع"[12]، وفي الثمودية ورد بصيغتي "ش ي ع"[13]، و "ش و ع"[14].

ن ف ر

اسمُ علمٍ مذكرٍ على وزنِ فعل، النونُ والفاءُ والراءُ، أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على تجافٍ وتباعد، وهو نفار الشيء عن الشيء[15]، والنَّفْرُ التَّفرقُ، ونَفَرَ الظبيُ وغيره شَرَدَ، والنَّفير الجماعة من الناس، النفّار المهرب الذي يهرب منه الناس كناية عن قوته وسكوته فهو يخيف الناس[16]، والمنافرةُ تعني المحاكمةُ[17]، وفي التنزيلِ قال الله سبحانه وتعالى ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾ [التوبة آية 122].

الشواهد:

وهو اسمٌ شائع الاستعمالِ في النقوشِ الصفائيةِ[18]، وفي السريانيةِ ورد الفعل "ܢܦܪ" "بمعنى هرب[19]، وفي السبئيةِ ورد "ن ف ر" وتفيد معنى نفر الحجيج[20]، ووردت كلمة "نفر" بلغة كنانة بمعنى "الغزو"[21]، وكذلك وردت في لهجة هذيل كلمة "النفار" بمعني "الغزو"[22]، ووردت في لهجات الأحقاف كلمة "نُ فُ رْ"، وتعني سار أو مشي مسرعاً وتستخدم للتعبيرِ عن الهبوطِ أو الإسراع في المسيرِ أثناء النزول من الأماكنِ المرتفعة كالهضابِ والربى وغيرها[23]، وربما يكون هذا المعنى من أقرب المعاني للفعل "نفر" في النقوشِ

الصفائيةِ، وفي لهجات شرق الجزيرة العربية يطلقون كلمة "النُفرة" على طريقةِ فطم الحوار عن الناقةِ[24].

النقش رقم: 2، 3، 4، 5 (الشكل 2).

اختلفت طريقة الكتابة في مجموعة هذه النقوش من نقش لآخر من حيث طريقة الكتابة وحجم

---

(8) الصابوني، صفوة التفاسير، بيروت، 1981، ج 7، ص 5.

(9) ابن حزم، أحمد بن سعيد الأندلسي (456 هـ)، جمهرة أنساب العرب، القاهرة، 1962، ص 453.

(10) ISB, n164; HIN, p. 352; Ababneh, Mohammad, Neue Safaitische Inschriften und deren bildliche Darstellungen Aachen, 2005, In 454, p. 235.

(11) علولو، غازي، دراسة نقوش صفوية جديدة من وادي السوع، جامعة اليرموك، أربد، 1996، نقش 84، ص 56؛ طلافحة، نقوش صفوية تحت النشر، نقش 78.

(12) HIN, p. 364.

(13) HIN, p. 364.

(14) Branden, Alb. Van Den., Les Textes Thamoudèens de Philby, vol. 1, Inscriptions du Sud, Louvain: Bibliothèque Musèon, vol, 40.1956, n279w.

(15) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، القاهرة، 1990، ج 5، ص 459.

(16) ابن منظور، ج 5، ص 224.

(17) ابن هشام، محمد بن عبد الله، السيرة النبوية، القاهرة، 1936، ج 2، ص 450.

(18) F., Harding. G., Inscriptions from Fifty Safaitic Cairns, (18)Winnett, Toronto: University of Toronto Press, 1978(WH), 3825; ISB, p427; Ababneh Neue Safaitische Neue, In223, P. 164.

(19) Costaz, L., Dictionaire Syrique-Francais, Syriac-English Dictionary, Beirut: Imprimerie Catholique, 1963, p. 210. قاموس– سرياني - عربي

(20) بيستون، الفريد ف. ل؛ محمود الغول؛ والترمولر؛ جاكريكمنز، المعجم السبئي، مكتبة لبنان، ودار نشريات، بيترز، بيروت، 1982، ص 92.

(21) ابن حسنون، اللغات في القرآن، بيروت، 1972، ص 27.

(22) ابن سلام، لغات القبائل الواردة في القرآن، مطبوعات جامعة الكويت، 1984، ص 123.

(23) مريخ، العربية القديمة ولهجاتها دراسة مقارنة بين الفاظ المعجم السبئي والفاظ لهجات عربية قديمة (الجبالية والمهرية)، أبوظبي، 2000، ص 347.

(24) حنظل، معجم الألفاظ العامية في دولة الإمارات العربية المتحدة، 1978، ص 618.

الخط، حيث كتبت هذه النقوش على حجر بازلتي دائري الشكل تقريباً، ظهرت الكتابة في النقش رقم (2) بخط سميك وبحروف متوسطة الحجم، النقوش (3، 4، 5) ظهرت بخط صغير من حيث الحجم ولكن جميع حروفها مقروءة، وجميعها كتبت من جهة اليسار إلى اليمين، ظهر على سطح الحجر بعض الأحرف المتفرقة لكنها لا تعطي أية معنى محدد وهذه الحروف حرف الباء، السين، الجيم، الحاء.

النقش رقم 2

النقشُ بحروفِ العربيةِ الفصيحةِ

ل ق د م ب ن غ م د

المعنى: ل قدم بن غمد

الإيضاح:

ق د م

اسمُ صاحب النقش، بدأ بلامِ التمليكِ، وهو اسمُ علمٍ مذكرٍ على وزنِ فَعَلَ ، القافُ والدالُ والميمُ أصل صحيح يدلُ على السَبْق، يقال شيء قَدِم إذا كان زمانه سالفاً، وأصله قولهم مضى فلان قُدُماً لم يتعرجْ ولم ينثن عن هدفهِ، وقَدَم الإنسان معروفه، ولعلها سميت بذلك لأنها آلة للقدمِ والسبق، ومقدمة الجيش أوله، وأقْدِمْ: هو زجر الفرس وكأنه يحثها على الإقدامِ[25]، وبنو يقدم من القبائل العربية، ويقدم على وزنِ يفعل من قولهم قَدُم الشيء إذا أتى عليه الدهر[26]، قال تعالى ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ قَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٞ مُّبِينٌ ۝﴾ {سورة يونس آية 2} القدم السابقة في الإخلاص، وكل شيء كان في الخير أو الشر فهو قدم[27]، وهو اسم يقابل قادم قدامة، مقدم مقدام، وقدم يعني المِقْدام: الشجاع، القَدْمُ[28]، ورجل مِقدام ومقْدامةٌ كثير الإقدام على العدوّ جريء في الحرب، ورجل قُدُمٌ شجاع يقتحم الأمور والأشياء ويتقدم الناس في الحرب ويكون في الطليعة، والقَدَمَةُ من الغنم هي التي تكون أمام القطيع من الغنم في الرعي[29]، وفي لهجاتِ شرقِ الجزيرةِ العربية وردت كلمة"قَدَّم"بمعنى قبل ورضي ويقال"كل الشروط قَدَّمْنا أي رضينا بها[30]، ووردت"ق د م"اسم لقبيلة صفائية كانت تقطن سوريا[31].

الشواهد:

وهو اسم علم ورد في نقوشٍ صفائيةٍ أخرى[32]، وفي العبريةِ ورد بصيغةِ "ق د م إ ل"الإله إ ل يقود[33]، وورد في النقوشِ السبئيةِ المبكرة بصيغة"ق د م م"وتعني بكْر، وورد كذلك"ق د م"، ت ق د م"وتعني تولى، أو كان في المقدمةِ[34]، وفي الحضريةِ ورد بصيغةِ"ق د م أ خ و[35]، في النقوش المعينية ورد بصيغة"ي ق د إ ل"[36].

(25) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج 5، ص 66.
(26) ابن دريد، الاشتقاق، 1958، ص 169.
(27) الصابوني، صفوة التفاسير، ج 5، ص 57.
(28) الذييب، نقوش صفوية من شمالي المملكة العربية السعودية، الرياض، 2003، نقش 50، ص 108.
(29) ابن منظور، ج 12، ص 468.
(30) حنظل، معجم الألفاظ العامية، ص 469.
(31) الروسان، القبائل الثمودية والصفوية، الرياض، 1987، ص 346.
(32) الخريشة، نقوش صفوية من بيار الغصين، منشورات جامعة اليرموك، عمادة البحث العلمي والدراسات، أربد، 2002، نقش 299، ص 76؛ الذييب، نقوش صفوية من شمالي - المملكة العربية السعودية، 2003، نقش 50، ص 108.
(33) Fowler, J. Theophric Personal Names In Anncitnt Hebrew: A Comparative Study, Sheffield Acadeic Press, 1988, p. 133.
(34) بيستون، ص 103.
(35) Abbadi, S., Die Personennamen der Inschriften aus Hatra , Hildesheim: Georg Olms Verlag , 1983, p. 158.
(36) Al Said, S. F, Die Personennamen in den minäischen Inschriften, Wiesbaden: Harrassowitz, 1995, p. 185.

وفي النبطيةِ ورد بصيغةِ "ق د م"[37]، وفي الثمودية ورد بنفس الصيغة "ق د م"[38]، وفي لهجات الأحقاف وردت بصيغة "قُ دُ م" وتعني تقادم عهده، وفي اللهجةِ المهرية وردت بصيغة "م قَ دْ م" تعني شيخ القبيلة أو الوجيه[39].

غ م د

اسمُ علم مذكر، الغينُ والميمُ والدالُ أصل واحد صحيح يدل على تغطيةٍ وستر، ومن ذلك غمد السيف غلافه، ويقال تغمده الله برحمتهِ كأنه يغمره بها، والنسبة إلى غامد غامدي وهو حي من اليمنِ، وهي قبيلة مشهورة بالسعودية[40]، والغمدُ جفن السيف، وجمعه أغماد وغمود، وغامد حي من اليمن، والغماد وبركُ الغماد موضع، ويقال للسفينةِ إذا كانت مشحونة غامد وآمد، وغُمدان حصن في رأس جبل بناحية في صنعاء[41].

الشواهد:

وهو اسم علم ورد في نقوشٍ صفائيةٍ أخرى[42]، ورد في الثمودية بصيغة "غ م د"[43]، وورد في السبئية بصيغةِ "غ م د ن" اسمٌ لمبنى[44].

(37) Al- Khraysheh, F., Die Personennamen in den Nabätaischen Inschriften des Corpus Inscriptionum Semiticarum, Marburg, 1986, p. 157.

(38) اسكوبي، لد، دراسة تحليلية مقارنة لنقوش منطقة (رم) جنوب غرب تيماء، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1999، نقش 42، ص 92.

(39) مريخ، العربية القديمة ولهجاتها القديمة، ص 367 .

(40) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج 4، ص 392.

(41) ابن منظور، ج 3، ص 326.

(42) الخريشة، نقوش صفوية من بيار الغصين، نقش 139، ص 76؛ Ababneh, I, A., Neue Safaitische, In60, P. 106.

(43) Winnett, F, V., and Reed, W, L., An Archaeological-Epigraphical Survey of Hā'il Area of Northern Sa'udi Arabia, 1973, (WR), p. 92.

(44) بافقيه، وآخرون، مختارات من النقوش اليمنية القديمة، المنظمة العربية للتربية والثقافة ، والعلوم، لقاهرة ، 1985، ص 445.

النقش رقم 3

ل د ر س ب ن أ ح ب ب

المعنى: ل درس بن احبب

الإيضاح:

د ر س

اسم صاحب النقش بدأ بلامِ التمليك، وهو اسمُ علمٍ مذكرٍ، الدالُ والراءُ والسينُ أصل واحد يدل على خفاءٍ وخفض وضعفاء، فالدَّارِس الطريق الخفي[45]، ودرسَ الطعامُ يدرس دراساً إذا ديس، ودرسوا الحنطة درساً أي داسوها، ودَرَسَ الناقة يدرسها درساً: راضها[46]، ودَرَس الطعام يَدْرسة: داسة كلمة يمانية، والدُّراس: الدياس بلغة أهل الشّام[47].

الشواهد:

وهو اسمُ علم ورد في نقوشٍ صفائيةٍ أخرى[48]، وفي الثموديةِ ورد بصيغة "د ر س"[49]، ويمكن أن يقرأ دَرْس[50].

(45) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج 2، ص 26.

(46) ابن منظور، ج 6، ص 76.

(47) سلوم، المعجم الكامل في لهجات الفصحى، بيروت، 1987، ص 139.

(48) علولو، دراسة نقوش صفوية جديدة من وادي السوع، نقش 42، ص 38؛ الخريشة، نقوش صفوية من بيار الغصين، نقش 301، ص 77؛ Ababneh, I, A., Neue Safaitische, In36, P. 97.

(49) King, G., Early North Arabian Thamudic E: A Preliminary description based on a new corpus of inscriptions from the Hisma desert of southern of Jordan and published material, Unpublished Ph.D thesis School of Oriental and African Studis, 1990, p. 500.

(50) Ryckmans, G., Corpus Inscriptionum Semiticarum, Part v {Inscriptiones saracenicae vol. 1, Paris Imprimerie Nation, 1950, 1, p. 69.

أ ح ب ب

اسم علم بسيط على وزن"أفعل"ويفيد معنى المبالغة اشتقاقه من"حبب"ولعله يقابل أحباب أو يكون صفة للمحبوب[51]، أحببت الشيء بالألف فهو محبب، وفي لغة هذيل"حاببته حبابا"[52]، قال تعالى ﴿ فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ﴿٣٢﴾ ﴾ {سورة ص آية 32}، أي آثرت حبَّ الخيل حتى شغلتني عن حب الله[53]، الأسماء "حبيب" "حبيبة" و"محبوب" من الأسماء المعروفة عند العرب البدو[54].

الشواهد:

وهو اسم علم ورد في نقوش صفائية أخرى[55]، وفي الصفائية ورد"ح ب ب"اسم لقبيلة[56]، وورد بالسبئية بصيغة"م ح ب ب ت"وتفيد معني محب موالى، ولي نصير[57]، وفي القتبانية ورد بصيغة"ح ب م"[58]، وورد في الثمودية بنفس الصيغة"ح ب ب"[59]، وورد في الثمودية بنفس الصيغة"ح ب ب"اسم لقبيلة[60]، وورد في الثمودية بصيغة اسم مركب"ح ب ب إ ل"[61]، وفي اللحيانية ورد"ح ب ب"[62]، في النبطية ورد بصيغة"م ح ب ب و"[63].

(51) ابن دريد، الاشتقاق، ص 448، 464.
(52) سلوم، المعجم الكامل في لهجات الفصحى، ص 95.
(53) الصابوني، صفوة التفاسير، ج 14، ص 36.
(54) Hess, J., Beduinennaman aus Zentralarabien Heidelbberg, 1912, p. 179.
(55) WH, 1799;
علولو، دراسة نقوش صفوية جديدة من وادي السوع، نقش 231، ص 98؛
Ababneh, I, A., Neue Safaitische, In15, P. 88.
الذيب، نقوش صفوية، نقش 32، ص 80.
(56) الذيب، نقوش صفوية من متحف قسم الآثار والمتاحف، مجلة جامعة الملك سعود، المجلد التاسع، الآداب (1)، نشر جامعة الملك سعود، 1997، نقش 6، ص 276.
(57) بيستون، ص 65.
(58) Hayajneh, H., Die Personennamen der qatabanichen Inschriften, Hildesheim: Georg Olms Verlag, 1998, p. 116.
(59) Branden II, Thamoudèens de Philb, 1956, n246e.

النقش رقم 4

ل س ل م ب ن ج ل هـ م ب ن .....

المعنى: ل سالم بن جلهم بن .....

الإيضاح:

س ل م

اسم صاحب النقش، بدأ بلام التمليك، وهو اسمُ علمٍ مذكرٍ على وزن فَعَلَ، السينُ واللامُ والميمُ أصلٌ صحيح وتفيد معنى الصحة والعافية. فالسلامةُ أن يسلمَ الإنسان من العاهةِ والأذى، وبني سلمة بطن في الأنصار[64]، قال تعالى ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾ {سورة الرعد آية 24} أي سلمتم من الآفات والمحنِ بصبركم في الحياة الدنيا[65]، أو يقرأ "سالم" على وزن فاعل[66]، والسَّلَمَ يعني الصلح بلغة قريش[67]، و"السِّلام" بكسر السين، الحجارة الصلبة سميت "سِلاما" لسلامتها من الرخاوة والواحدة "سَلِمة" وهي من لغات حمير[68]. ووردت في لهجات شرق الجزيرة العربية كلمة "سِلْم" وتفيد معنى العادة أو السيرة أو التقليد. و"سْلُوم البدو" عادات البدو و"سلوم الأولين" عادات وتقاليد الأولين، ويقال "هذي سْلُومنَا"

(60) الروسان، القبائل الثمودية والصفوية، ص 99؛ الذيب، سليمان ابن عبد الرحمن، نقوش ثمودية من سكاكا (قاع فريحة، والطوير، والقدير)، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2002، نقش 4، ص 19.
(61) الذيب، نقوش ثمودية من سكاكا (قاع فريحة، والطوير، والقدير)، نقش 69، ص 81.
(62) القدرة، حسين محمد، دراسة معجمية لألفاظ النقوش اللحيانية في إطار اللغات السامية الجنوبية، جامعة اليرموك، أريد، 1993، ص 102.
(63) الذيب، سليمان بن عبدالرحمن، نقوش جبل أم جذايذ النبطية، دراسة تحليلية، ، الرياض، 2002، نقش 88، ص 109.
(64) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج 3، ص 91.
(65) الصابوني، صفوة التفاسير، ج 6، ص 47.
(66) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص 271.
(67) ابن حسنون، اللغات في القرآن، ص 25.
(68) سلوم، المعجم الكامل في لهجات الفصحى، ص 95.

أي هذه عاداتنا[69]، الأسماء: سلم، وسليم، سلاّم، سالم، وسلمى، سلامة من الأسماء الشائعة الاستعمال والمعروفة عند العرب البدو[70].

الشواهد:

هو اسمٌ ورد في نقوشٍ صفائيةٍ أخرى[71]، وفي اللحيانية ورد بصيغة "س ل م"[72]، في النبطية ورد بصغية "ش ل م، ش ل م و"[73].

وورد بصيغة "س ل م"[74]، وفي التدمرية ورد بصيغة "ش ل م، ش ل م ا"، والحضرية "ش ل م ا"[75]، وفي المعينية ورد على صيغة "س ل م"[76]، وفي القتبانية ورد على صيغة "س ل م م"[77].

ج ل هـ م

اسم علم مذكر، الجلهمة فم الوادي، جلهمتا الوادي ناحيتها وقيل حافتاه، أو جانبي الوادي زيدت فيها الميم كما زيدت في زرقم، وستهم، العرب تزيد الميم في كثير من الحروف، ومنها قصمل الشيء إذا كسره وأصله قصل، وجلمط وأصله جلط والعرب يسمون الرجل جلهمة والمرأة جلهم[78]، وفي التراث ورد الاسم جُلْهمة[79].

الشواهد:

وهو اسم ورد في نقوش صفائية أخرى[80]، وفي النبطية "ج و ل هـ و م"[81].

النقش رقم 5

ل ق د م ا ل ب ن ق ر س م

المعنى: ل قدم ال بن قرسم

هذا النقش تطابق مع النقش (WH,4036) من حيث النص، فيحتمل أن صاحب هذا النقش زار المنطقة ونقش اسمه، رغم البعد ما بين المكانين.

الإيضاح:

ق د م إ ل

انظر النقش رقم 2، وهو اسم مركب من "قدم" "إل"الإله"وفي العبرية ورد بصيغة ق د م إ ل"الإله إ ل يقود"[82]، وفي الأوجاورتية ورد بصيغة "ق د م ن"[83]، في الحضرية ورد بصيغة "ق د م أ خ و"[84]، وبصيغة "ي

(69) حنظل، معجم الألفاظ العامية، ص 301.

(70) Hess, J., Beduinennaman, p. 30.

(71) طلافحة، لغة النقوش الصفوية وصلتها بلهجة أهل البادية الشمالية الأردنية HIN, p. 525; نقش 15، ص 51؛ الخريشة، نقوش صفوية من بيار الغصين، نقش 194، ص 54؛ العبادي، نقوش صفوية من وادي سلمى، مطبعة الجامعة الأردنية، 2006، نقش 49، ص 85.

(72) أبو الحسن، حسين، نقوش لحيانية من منطقة العلا "دراسة تحليلية مقارنة"، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2002، نقش 316، ص 266.

(73) Negev, A., Pesonal Names in the Nabatean Realem, Jerusalem: (Qedem 32) Jerusalem, 1991, (PNNP), 18.

(74) الذييب، نقوش جبل أم جذايذ النبطية، نقش 44، ص 79.

Stark, J., Personal Names in Palmyrene Inscriptions, Oxford: Clarendon press. 1971, (PNPI), p. 114.

(75) Abbadi, S., Die Personnamen der Inschriften aus Hatra, 1983, p. 168.

(76) South Arabian Inscriptions in: Repertoire d,Epigraphie, Semitique, Acadamie des Inscriptions et. Bells-Lettrs Paris, (RES), 3365.

(77) RES, 3902.

(78) ابن منظور، ج 12، ص 105.

(79) ابن دريد، الاشتقاق، ص 380.

(80) HIN, 166; Ababneh, I, A. Neue Safaitische, In120, P. 132;
الخريشة، نقوش صفوية من بيار الغصين، نقش 512، ص 112.

(81) PNNP, p. 18.

(82) Fowler, J. Theophric Personal Names In Anncitnt Hebrew, p. 133.

(83) Gröndahl, F., Die Personnnamen der Texte aus Ugarit, p. 175.

(84) Abbadi, Die Personnnamen der Inschriften aus Hatra, p. 158.

ق د إ ل" في النقوش المعينية[85].

ق ر س م

اسم علم مذكر، والقرسم من الرجال هو الرجل الساكت، والقرصمَ بالصاد يعني كَسْر الشيء[86]. ويرى هاردنج أنه ربما يكون هذا الاسم من الجذر، قرس والميم من بقايا التميم[87]، والذي يعني: أبرد الصقيع وأكثره ، وأصبح الماء اليوم قريساً وقارساً أي جامداً، والقُراسيّة: الضخم الشديد من الإبل[88].

الشواهد:

وهو اسم علم ورد في نقوش صفائية أخرى[89]، وردت في الثمودية "ق ر س م "[90].

النقش رقم: 6، 7 (الشكل 3).

كتب النقشان رقم (6، 7)على حجر بازلتي مثلث الشكل تقريباً مكسور من موضعين، ظهر النقش رقم بخط سميك وبحروف متوسطة الحجم، كتب من جهة اليسار إلى اليمين، الحروف متناسقة من حيث الحجم، وجميع حروفها مقروءة كسر جزاء من حرف اللام، ظهر النقش رقم 7 على طرف الحجر من جهة اليمين ومحاط بإطار خارجي.

النقش رقم 6

ل م ر ر ب ن م ع ن ن هـ ب ك ر ت

المعنى: ل مرر بن معنن البكرة

الإيضاح:

م ر ر

بدأ بلام التمليك اسم علم مذكر، على وزن فَعَلَ، المرة واحدة والمرار جمع، يمر مراً أي اجتاز، المرارة ضد الحلاوة، ومرّ اسم رجل وهو مرّ بن أدّ وهو أبو تميم[91]، والمَرَر"من القبائل العربية المعاصرة واحدهم"مِرّي"وهم بطن من ربيعة من طي[92].

الشواهد:

وهو اسم علم ورد في نقوشٍ صفائيةٍ أخرى[93]، وورد بالصفائية بصيغة "افعل"في "أ م ر ر"[94]، وورد كذلك بصيغ "م ر أ ل"، "م ر ر ت"، هـ م م ر"، "م ر ل هـ"[95]، وفي الثمودية ورد بصيغة "م ر"[96]، وفي اللحيانية ورد أيضاً بصيغة "م ر"[97]، وفي القتبانية ورد بصيغة "م ر م"[98]، وفي السبيئة ورد الفعل "ي م رن" ويفيد معنى: جرى، حدث، مر[99] وفي اللهجة الجبالية وردت كلمة "م ر ي ر" وتعني رجلاً حاد الطبع أو "مر" ليس بسهل التغلب عليه وكلمة "ء م رْ ر" وتعني تحدي شخص ما[100]، وفي لغة هذيل كلمة "المَرّ" يريد المَرْءُ، وبني يربوع من تميم يقولون "مِرٌّ" فلان علينا، أي مَرْءُ[101].

(85) Al Said, Die Personennamen inden minäischen Inschriften, p. 185.

(86) ابن منظور، ج 12، ص 476.

(87) ابن منظور، ج 6، ص 172.

(88) HIN, p. 480.

(89) HIN, p. 480;

طلافحة، لغة النقوش الصفوية وصلتها بلهجة أهل البادية، نقش 31، ص 58

(90) HIN, p. 480.

(91) ابن منظور، ج 5، ص 168.

(92) حنظل، معجم الألفاظ العامية، ص 568.

(93) الخريشة، نقوش صفوية من بيار الغصين، نقش 307، ص 77.

(94) Ababneh, I, A. Neue Safaitische, In9, p. 87.

(95) HIN, p. 536.

(96) Branden II, Thamoudèens de Philb, 1956, n271j.

(97) أبو الحسن، حسين، نقوش لحيانية من منطقة العلا "دراسة تحليلية مقارنة"، نقش 342، ص 294.

(98) Hayajneh, H., Die Personennamen der qatabanichen, p. 233.

(99) بيستون، ص 87.

(100) مريخ، العربية القديمة ولهجاتها، ص 335.

(101) سلوم، المعجم الكامل في لهجات الفصحى، ص 423.

م ع ن ن

اسم علم مذكر على صيغةِ اسم الفاعل من الجذرِ "ع ن ن"، عنّ الشيء يعن وعنوناً ظهر أمامك، والعنن الوثن والصنم، والمِعَنّ: الخطيب، والعُنُنِ هو الحظيرة، وحُظُراتِ الإبل يسمونها عنناً[102]، وهو مصاغ من الفعل المضارع المزيد، يّعِنُّ، ويَعُنُّ: وفي لغة هذيل بمعنى: يعرض[103]، وهناك قراءة على صيغةِ فعلان من الجذرِ "م ع ن" بزيادة ألف ونون وهي صيغة تلحق بالمثنى، ويظهر في فكِ الإدغام أو يكون الاسم بصيغةِ اسم المفعول معنون[104]، أكستوبي قرأه معنان[105]، ويحتمل أن يقرأ "معلل" وذلك لورود "مرر بن معلل" في مدونة النقوش الأردنية، النقش(307)، هناك لبس بين حرف"النون"وحرف" اللام".

الشواهد:

وهو اسم علم ورد في نقوش صفائية أخرى[106]، ورد في الثموديةِ بنفس الصيغة[107]، وورد هذا الاسم بالآرامية بنفس الصيغة، ولكن "المرقطن" اعتبر هذا الاسم من الجذر "ع و ن" مستنداً إلى أن هذا الاسم ينتهي بالنون"[108].

هـ ب ك رت

اسم علم مؤنث يرد في النقوش الصفائية بمعنى البكرة "الناقة الصغيرة" مسبوقة بأداة التعريف الصفائية "الهاء"، ويرافقه في الغالب رسم لبكرة، ولكن في هذا النقش لا يرافقه رسم لبكرة، قال الله تعالى ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ {سورة البقرة آية 68} أي لا كبيرة هرمة، ولا صغيرة لم يلقحها الفحل[109]، وردت في لهجات شرق الجزيرة العربية كلمة "بكرة" وهي الناقة العذراء التي لم يمسسها الذكر وتجمع أبكار"[110]، وفي لهجات الأحقاف "ب ك رُ ت" وتعني ناقة فتية لم تنتج أو بكراً، و"ب ك ر" تعني جمل فتي، و"ب ك ر" تعني أول الأولاد أو أكبرهم، وفي لهجات شمال الأردن يطلق البكر على أكبر الأولاد، وكلمة "ءِ كّ ر" في اللهجة الجبالية تعني البكر، "بِءْ ك ر" وتعني أن المرأة لم تلد إلا بطناً واحدة"[111].

الشواهد:

ورد الاسم "ب ك رت" في العديد من النقوشِ الصفائية[112]، وفي الثمودية وردت بنفس الصيغة[113]، وفي السبئية ورد بصيغة "بكر" الجمل الصغير[114]، وبصيغة "בִּכְרָה" في العهد القديم[115].

(102) ابن منظور، ج 13، ص 290.
(103) سلوم، المعجم الكامل في لهجات الفصحى، ص 313.
(104) صدقة؛ حراحشة، نقوش صفوية جديدة من مرب الغنم، نقش 4، ص 56.
(105) ISB, N382.
(106) WH, 1810, 3175.
(107) HIN, p. 557.
(108) Maraqten, M., Die semitischen Personennamen in den alt-und richsaramäischen Inschriften aus Vordeasien, Hildesheim; Olms, 1988, p. 180;
صدقة؛ حراحشة، نقوش صفوية جديدة من مرب الغنم، نقش 4، ص 56.
(109) الصابوني، صفوة التفاسير، ج 1، ص 53.
(110) حنظل، معجم الألفاظ العامية، ص 88.
(111) مريخ، عادل، العربية القديمة ولهجاتها، ص 201.
(112) علولو، دراسة نقوش صفوية جديدة من وادي السوع، نقش 36، ص 38، الخريشة، نقش 298 ب ، ص 76.
(113) إسكوبي، دراسة تحليلية مقارنة لنقوش منطقة (رم) جنوب غرب تيماء، نقش 157، ص 222.
(114) بيستون، ص 28.
(115) Brown, F, Driver, S, Briggs, C., A Hebrew and English Lexicon of the Old Testament, With an Appendix Containing the Biblical Aramaic, Oxford: Clarendon press, 1906, p. 114.

النقش رقم 7

ل ك م د

المعنى

ل كمد

الإيضاح:

ل ك م د

اسم صاحب النقش بدأ بلام التمليك، وهو اسمُ علمٍ مذكر على، الكافُ والدالُ والميمُ أصلٌ واحد يدل على الكَمْدُ، والكمدة تغير اللون وذهاب صفائه وبقاء أثره، وكمد لونه إذا تغيَّر ورأيته كامد اللون، والكمد الحزن الكتوم، والكمد أشد الحزن، وفي حديث جبير بن مطعم قال رأيت رسول الله ﷺ عاد سعيد بن العاص فكمده بخرقة[116].

الشواهد:

وهو اسم علم ورد في نقوش صفائية[117]

وفي السبئية ورد بصيغة "ك م د"[118].

النقش رقم: 8، 9 (الشكل 4).

كتب النقشان رقم (8، 9) على حجر بازلتي مستطيل الشكل وبخط رفيع وبحروف متوسطة الحجم، وكتبا من جهة اليسار إلى اليمين، الحروف متناسقة من حيث الحجم ومقروءة، ومحاطة بإطار خارجي، وصاحبا النقشين أخوان.

النقش رقم 8

ل م ل ك ت ب ن أ ح ل م ب ن م ل ك ت

المعنى: ل ملكت بن أحلم بن ملكت.

الإيضاح:

م ل ك ت

اسم صاحب النقش، وهو اسمُ علمٍ مذكرٍ على وزنِ فَعْلَة، وهو من الجذر "م ل ك"، الميمُ واللامُ والكافُ أصلٌ صحيحٌ، يعني القوةَ في الشيء، ويقال أملك عجينةَ شدَّه، وملكت الشيء قوّيته[119]، وردَ هذا الاسمُ في نقوشٍ متحفي دمشق وتدمر، وشُرح بأنّه اسمُ علمٍ مؤنثٍ ويلفظ ملكة، مالكة[120]، ومالكة من الأسماء المعروفةِ عند العرب البدو[121].

الشواهد:

وهو اسمٌ ظهر بهذه الصيغةِ في نقوشٍ صفائيةٍ أخرى[122]، وظهر في المعينية بنفس الصيغة"[123]، وعرف في النبطيةِ بصيغة "م ل ك، م ل ك و"[124]، وكذلك بصيغة"م ل ي ك ت"[125]، وظهرَ في النقوشِ الثموديةِ بالصيغة نفسها "م ل ك ت"[126]، وظهرَ بصيغةِ "م ل ك هـ" في النقوش اللحيانية[127]،

(116) ابن منظور، ج 3، ص 380.

(117) الخريشة، نقوش صفوية من بيار الغصين، نقش 226، ص 60؛
Ababneh, I, A. Neue Safaitische, In348, P. 230.

(118) Tairan, S., Die Personennamen in den altsabäischen, Inschriften: Georg Olms Verlag, 1992, p. 178.

(119) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج 5، ص 351.

(120) أبو عساف، علي، كتابات صفوية جديدة في متحف دمشق وتدمر، حولية دائرة الآثار العامة السورية، 1975 مجلد 25، ص 145.

(121) Hess, J., Beduinennaman, p. 49.

(122) طلافحة، نقوش صفوية من قاع الفهدة، أدوماتو، العدد، الرابع عشر 2006، نقش 1، ص 58؛ الذييب، نقوش صفوية من شمالي المملكة العربية السعودية، نقش 35، ص 83.

(123) Al Said, Die Personennamen inden minaischen Inschriften, p. 222.

(124) Al- Khraysheh, F., Inschriften des Corpus Inscriptionum, p. 108.

(125) PNNR, p. 39.

(126) إسكوبي، دراسة تحليلية مقارنة لنقوش منطقة (رم) جنوب غرب تيماء، نقش 246، ص 328.

(127) Caske, I, p. 149.

والتدمرية[128]، وعرف في اللهجة الجبالية والمهرية كلمة"مْ ل كَ تَ"وتعني الغلبةَ والقهرَ والسيطرة[129].

أرى أن إلحاقَ التاء في آخرِ بعضِ أسماء الأعلام المذكرةِ في النقوشِ الصفائية هي ظاهرةٌ لغويةٌ وليست علامةَ تأنيثٍ، وقد ورد العديدُ من الأسماء المذكرةِ في النقوشِ الصفائيةِ بالصيغةِ المؤنثةِ مثل: "م ل ك ت ، ج ف ف ت"، وهي من الأسماء"م ل ك، ج ف ف"[130].

فالدارسُ لظاهرةِ التذكير والتأنيثِ في اللهجاتِ العربيةِ يجدُ أنّ بعض ما تؤنثُهُ قبيلةٌ تذكرهُ قبيلةٌ أخرى. وهناك ظاهرةٌ في اللهجات: الصفائيةِ ، والثموديةِ، والنبطيةِ، وهي أن كثيراً من أسماء الأعلامِ كانت منتهية بالتاء، وإذا ما وضعت على ميزانِ العربيةِ عدَّت من الأسماء المؤنثةِ مع أنها أسماءٌ مذكرةٌ، فهناك قلقٌ ما في هذه اللهجاتِ يعود إلى عواملَ متعددةٍ وظروفٍ اجتماعيةٍ مختلفة، وربما يكونُ الانعزالُ لهذه الأسماء هذا الأثرُ في عدمِ تطوُّرها فبقيتْ أثريةٌ متخلفة[131]، في حين اعتبرَ إلحاقُ تاء التأنيثِ للأسماء المذكرةِ في بعضِ اللغاتِ العربيةِ المبكرةِ يعودُ إلى التأثر بعوامل دينية، أو هو دلالة على اختصارِ الاسمِ المركبِ مع الآلهة، وقد تعد التاء في نهايةِ الاسم علامةً على التصغير[132].

وفي بعضِ اللغاتِ القديمةِ مثلَ الأكاديةِ والفينيقيةِ والحبشيةِ اعتبر حرف التاء حرفاً أصيلاً في الكلمةِ، وذلك لتطورِ حرفِ الهاء عنه ووجودهِ وصلاً ووقفاً في تلك اللغاتِ، ووجدَ في العربيةِ بحالةِ الوصلِ، وظهر في حالِ الإضافةِ في العربيةِ والعبريةِ والآراميةِ، فهناك أسماءٌ تنتهي بالتاء في العبريةِ وهي مذكرةٌ ومثلُها في العربيةِ مثل طلحةَ، وحمزةَ وغيرها[133].

أ ح ل م

اسم أبو صاحب النقش، وهو اسمُ علم على وزن أفعل وهو من أفعال التفضيل، الحاءُ واللامُ والميمُ أصل صحيح والحلم يعني خلافَ الطيش[134].

الشواهد:

وهو اسم ظهر في نقوشٍ صفائيةٍ أخرى[135]، وفي النبطيةِ ورد "ح ل م و"[136]، ورد في الاشتقاقِ الاسم محلم بن جثامة[137].

م ل ك ت

اسم جد صاحبِ النقش وهو نفس الاسم.

تكررت في نفس النقش

النقش رقم 9

ل س ن م ب ن أ ح ل م ب ن م ل ك ت

المعنى: ل سنم بن أحلم بن ملكت

الإيضاح:

ل سنم

اسم علم بسيط بدأ بلام التمليك على وزن فَعَلَ، هو أخو صاحب النقش رقم 8، سنام كل شيء

(128) PNPI, p. 95.

(129) مريخ، العربية القديمة ولهجاتها، ص 332.

(130) طلافحة، نقوش صفوية من قاع الفهدة، نقش 1، ص 58.

(131) الجندي، أحمد علم الدين، اللهجات العربية في التراث، تونس، 1978، ج 2، ص 643.

(132) Hayajneh, H., Die Personennamen der qatabanichen, p. 22;
السعيد، سعيد ، نقوش ثمودية من تبوك، الدارة، العدد الرابع، السنة التاسعة والعشرون، (1424 هجري)، ص 101.

(133) عبد التواب، في قواعد الساميات العبرية والسريانية، والحبشية مع النصوص والمقارنات، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1981، ص 26.

(134) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج 2، ص 95.

(135) الخريشة، نقوش صفوية من بيار الغصين، نقش 124، ص 37؛ طلافحة، نقوش الصفوية من قاع الفهدة، نقش 2، ص 61.

(136) PNNR, II.

(137) ابن دريد، الاشتقاق، ص 287.

أعلاه، سَنامُ البعير والناقة: أعلاها ظهرها، والجمع أسنمة، وسنم الشيء: رَفَعَه، وسنم الإناء إذا ملأه حتى صار فوقه كالسنام، وسنام اسم جبل، والسُّنِمُ وهو الماء المرتفع الظاهر على وجه الأرض، قال رسول الله ﷺ: "نساء على رؤوسهن كأسْنِمة البخت"[138].

الشواهد:

اسم ظهر في نقوش صفائية أخرى[139]، ورد في الثمودية بنفس الصيغة[140].

أحلم: انظر النقش رقم 8.

ملكت: انظر النقش رقم 8.

النقش رقم: 10 (الشكل 5).

كتب النقش على حجر بازلتي مستطيل الشكل، أحرفه صغيرة الحجم ومقروة ، كتب من جهة اليسار وبما يسمى بخط المحرات.

ل أ س د ب ن ع ب د ت ف هـ ر ض و و هـ ي ل ت أ و س هـ ن ع م و ل ت ذ ر

المعنى: لأسد بن عبادة فيا رضو ويا اللات امنحاه نعم ولا تذر

الإيضاح:

ل أ س د

اسمُ علمٍ مذكرٍ بسيط بدأ بلام التمليك على وزن فعل، الهمزةُ والسينُ والدالُ يدل على قوة في الشيء ولذا سُمي الأسد أسداً لقوته[141]، والأسدُ من السباع وتسمي العرب الرجل القوي أسد[142].

الشواهد:

اسم ورد في نقوش صفائية أخرى، الأسد مصدر أسد يأسَد[143]، وفي اللحيانية ورد بصيغة "أ س د"[144]، وفي السبئية ورد بصيغة "أ س د م"[145]، وكذلك ورد بالسبئية بصيغة "أ س د ن"[146].

وورد بصيغة المؤنث "أس د ت"[147]، وفي القتبانية ورد بصيغة "أ س د "[148]، وفي النبطية ورد بصيغة "أ س د و"[149]، وفي التدمرية ورد بصيغة "أ س د و"[150]، ورد "أ س د ن" كاسم قبيلة في المعينة[151].

ع ب د ت

اسم علم مذكر بسيط على وزن فُعالة من عَبْده، العين والباءُ والدالُ، أصلان صحيحان يقال أعبد فلان فلاناً أي جعله عبداً ويقال للمشركين عبدت الطاغوت والأوثان، والمسلمين يعبدون الله تعالى، والبعير المعْبد أي المدهون بالقطران، والطريق المعبد

---

(138) ابن منظور، لسان العرب، ج 12، ص 306.

(139) HIN, p. 332.

(140) HIN, p. 332.

(141) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج 1، ص 106.

(142) ابن منظور، لسان العرب، ج 3، ص 72.

(143) عبدالله، يوسف محمد، نقوش صفوية في متحف جامعة الرياض، رسالة ماجستير غير مطبوعة، الجامعة الأمريكية، بيروت، 1970، نقش 4، ص 27؛ الذييب، نقوش صفوية من شمال السعودية، نقش 4، ص 36؛ صدقة، حراحشة، نقوش صفوية جديدة من مربب الغنم، نقش 2، ص 55.

(144) أبو الحسن، نقوش لحيانية من منطقة العلا"دراسة تحليلية مقارنة"، نقش 210، ص 71.

(145) CIS, 84.

(146) RES, South Arabian Inscriptions in: Repertoire d,Epigraphie, Semitique, Acadamie des Inscriptions et. Bells-Lettrs, 2959.

(147) Sholan, A., Frauennamen in den altsüdarabischen Inschriften, Texte und Studien zur Orientanlistik 11. Hildeshim: Olms, 1999, p. 100, 101.

(148) Hayajneh, H., Die Personennamen der qatabanichen, p. 138.

(149) Al-Khraysheh, F., Inschriften des Corpus Inscriptionum, p. 44.

(150) PNPI, p. 73.

(151) Arbach, 1993, p. 10.

الطريق المسلوك، والعبدة هي القوة والصلابة [152]، قال تعالى ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٢﴾﴾ {سورة الشعراء آية 22} أي كيف تمنُّ عليَّ بإحسانك إليَّ وقد استعبدت قومي[153].

الشواهد:

وهو اسم ورد في نقوشٍ صفائية أخرى[154]، ورد في الثمودية بصيغة "ع ب د ت"[155]، وورد في النبطية بنفس الصيغة "ع ب د ت"[156]، وورد في المعينية "ع ب د ت"[157].

ف هـ رض و

الفاء للطلب والهاء أداة للتنبيه، والفاء والهاء تسبقان أسماء الآلهة الصفائية عند الدعاء[158]، يرد الإله رضو في النقوش الصفائية بصورتين فقد يكون منتهياً بحرف الواو كما ورد في هذا النقش أو بحرف الياء، ويأتي في الانتشار بعد الإله اللات وهو يمثل كوكب الزهرة[159]، واعتبر ليتمان أن كتابة "ر ض و" بالواو تدل إلى أن "رضو" إلهاً مذكراً وأن وروده بصيغة"رضي"أنه إلهة مؤنثة [160]. وقد أيد هذا الاقتراح كل من ونت، وهاردنج، ديسو علق على رسم يرافق أحد النقوش الصفائية، يرى أن هذه الإله كان على شكل صورة لامرأة عارية تمد ساعديها وعليها هلال يمس مؤخرة الرأس، ولكن النقش أورد الإله "رضو" بصيغة الواو، إلا أن تفسيره بقي غامضاً[161]، جام عارض هذا الرأي والذي أبداه ليتمان بأن "ر ض و" إله مذكر و"ر ض ي" إلهة مؤنثة وأن حرفي الواو والياء في الصفائية حرفان يتبادلان فيما بينهما، وأورد أفعالاً في الصفائية ترد أحياناً بالياء وأحياناً بالواو"شتي " شتو"، رضو، رضي، يؤكد كلارك أن هناك كتابة ثالثة هي "ر ض ا"، أرى أن ما أبداه "جام وكلارك"، هو أقرب لواقع اللهجات القديمة وتنوعها، فالتنوع في أحرف العلة في نهاية بعض الكلمات يندرج تحت باب الإمالة في هذه النقوش، فاللهجات الصحراوية تميل إلى إبدال صوت اللين الطويل الألف، بصوت اللين الياء، مثل: سماء، سمي، رضا ، رضي، وهذه الظاهرة ما زالت ماثلة في لهجة بعض أهل البادية الأردنية[162]. وإمالةُ الألفِ إلى الواو ظاهرةٌ لغويةٌ في النقوشِ واللهجاتِ العربية، فهناك كلمات في النقوش واللهجات العربية مثل: عصا، عصو، مناف ، منوف، رضا ، رضو، وغيرها، تؤيد هذا التوجه بأن ورود بعض الكلمات في النقوش الصفائية بالواو مثل: رضو، وشتو والياء رضي وشتي بالياء، أرى أن هذا لا يتعدى تبايناً في اللهجات ولا يرتبط بالتفسيرات أن الإله رضي هو إله أول النهار ورضو هو إله آخر النهار أو أن أحدهما مذكر والآخر مؤنث[163]. وقد ورد "رض و" في النقوش الثمودية بأشكال ثلاثة "ر ض" مختصراً الواو والألف، "ر ض ا" منتهياً بالألف "ر ض و"

(152) ابن فارس 9، معجم مقاييس اللغة، ج 4، ص 207.

(153) الصابوني، صفوة التفاسير، ج 10، ص 58.

(154) Ababneh, I, A., Neue Safaitische, In134, P136.

(155) الذييب، نقوش ثمودية من سكاكا (قاع فريحة، والطوير، والقدير)، نقش 12، ص 27.

(156) الذييب، عبدالرحمن، نقوش جبل أم جذايذ النبطية، نقش 230، ص 207.

(157) Al-Said, Die Personennamen inden minaischen Inschriften, p. 133.

(158) العبادي، نقوش صفوية من وادي سلمى، ص 46.

(159) ISB, P. 21.

(160) Littmann, E., Thmud und Safa: Studien zur Altnordabrischen Inschriftenkude, Leipzig, 1940, 106, 107.

(161) ديسو، رنيه، العرب في سوريا قبل الإسلام، ترجمة عبدالحميد الدواخلي، القاهرة ، 1959، ص 136؛ الروسان، القبائل الثمودية والصفوية، ص 430.

(162) طلافحة، زياد، الإمالة والإبدال بقايا لغوية ظاهرة في النقوش الصفوية، وقائع ملتقى اليرموك السنوي الثاني لدراسة النقوش والكتابات القديمة، تحرير عمر الغول، 2005، ص 54.

(163) طلافحة، إمالة الألف إلى الواو ألفاظ بين الرسم القرآني الكريم والنقوش واللهجات العربية، أدوماتو، 2007، العدد السادس عشر، الرياض، ص 7.

منتهياً بالواو[164]، وقد ورد هذا الإله في نقوش صفوية أخرى[165].

وهـ ي ل ت

الواو حرف استئناف والهاء للتنبيه وهي من الآلهة العربية المعروفة والأكثر ذكراً في النقوش الصفائية، وقد وردت في القرآن الكريم قال تعالى ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴾ {سورة النجم آية 19}، واعتبر اللات إله الصفويين الرئيسة وأكثرها ذكراً في دعواتهم النقوش الصفائية، ودخل اسمها في العديد من الأسماء المركبة تيم اللات، وقد وجد في مواضع مختلفة في كل من الأردن السعودية، سوريا، وورد في صيغ مختلفة "ال ل ت" "ل ت" "هـ ل ت" و"الت" أي "اللات" إلهة أنثى، ويراد بها الشمس[166].

أوسه

فعل أمر بمعنى امنحه واعطه، وورد في النقوش الصفائية بصيغة الاسم "أ و س"، الهمزةُ والواوُ والسينُ كلمة واحدة وهي العطية وقالوا أست الرجل أوسه أوساً أعطيته، ويقال الأوس العوضُ، الأوس الذئب[167]، و"أويس" لفظة هذلية تعني الذئب[168]، الأوس قبيلة من اليمن، والأوس من أنصار النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة[169]، وقد ، وورد في الثمودية بصيغة الفعل أيضاً "أوس" أمنح أعطي[170].

الشواهد:

اسم ورد في نقوش صفائية أخرى[171]، وورد في السبئية[172]، والمعينية[173] بنفس الصيغة، وورد في النبطية بصيغة "أ و س أ ل هـ ي"[174]، وورد في الثمودية بصيغة "اس، أوس"[175]، واللحيانية[176]، ووجد اسم مشابه في التدمرية "أ و ي ش"[177].

ن ع م

النون والنون والميم فروعها كثيرة وعلى كثرتها فهي أصل واحد، يدل على ترفه وطيب عيش، النعامي الريح الطيبة، والنعم الإبل، والأنعام البهائم، والنعامة سميت بذلك لنعامة ريشها[178]، قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ ﴾ {سورة المائدة آية 95}، واحد الأنعام وهي المال الراعية، والنعم الإبل والأغنام، والجمع أنعام، وأناعيم جمع الجمع، والأنعام الإبل والبقر والغنم[179]، وأظن أنها ترد لأول مرة في النقوش الصفائية. وهناك احتمال آخر بأن يكون الطلب ليس النعم، وإنما النعام لأن هذا الطائر من الطيور الموجودة

(164) طلفاح، أحمد، الآلهة عند الثموديين، جامعة اليرموك، أربد، 1993، ص 65.

(165) الخريشة، نقوش صفوية من بيار الغصين، نقش 86، ص 29.

(166) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت، 1970، ج 6، ص 323.

(167) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج 1، ص 156.

(168) الطيب، عبدالجواد، من لهجات العرب لهجة هذيل، منشورات جامعة الفاتح، 1986، ص 469.

(169) ابن منظور، لسان العرب، ج 6، ص 18.

(170) المهباش، خالد بن عبدالعزيز، مفردات النقوش الثمودية دراسة دلالية مقارنة في إطار اللغات السامية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك سعود، الرياض، 2003، ص 44.

(171) الخريشه، نقوش صفوية من بيار الغصين، نقش 93، ص 32.

(172) بافقيه، وآخرون، مختارات من النقوش اليمنية القديمة، ص 420.

(173) al-Said Die Personennamen inden minaischen Inschriften, p. 67.

(174) الذييب، سليمان، نقوش نبطية جديدة من قارة المزاد، سكاكا - الجوف، المملكة العربية السعودية مجلة جامعة الملك سعود، الآداب (1)، مج 6، 1994، ص 161.

(175) الذييب، نقوش ثمودية جديدة من الجوف، نقش 5، ص 34.

(176) أبو الحسن، نقوش لحيانية من منطقة العلا"دراسة تحليلية مقارنة"، نقش 201، ص 48.

(177) PNPI, 66.

(178) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج 5، ص 446.

(179) ابن منظور ، ج 12، ص 587 .

في بادية الشام، ولكن في الغالب أنه إذا ذُكر النعام فإنه يرافق رسماً لتلك الطيور.

الشواهد:

وردت في النقوش الصفائية كلمة "ن ع م ت" وبمعنى نِعمَة، وهي بصيغة الجملة الاسمية بمعنى النعمى، والنعماء، والنعمة[180]، وردت في السبئية بصيغة "ن ع م" بمعنى طاب، نَعِم، وافق، "هـ ن ع م" بمعنى، سَرّ، أنعم، "ن ع م ت" بمعنى نعمة، و " ا ن ع م" بمعنى مال، سلع[181]، وردت في اللهجة الجبالية والمهرية بصيغة "ن عْ مَ ت" وتعني نعمة و"ء ن عِ م" وتعني رضي، أو تنازل، أو طاب نفساً[182].

و ل ت ذ ر

أي لا تبقي أي شيء من النعم سواء كانت من الإبل والبقر والغنم إلا أعطيته ومنحته طلباً شاملاً وعاماً. ويطابق هذه الصيغة ما ورد في القرآن الكريم قال تعالى ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ۝٢٨﴾ {المدثر آية 28}، وقد وردت هذه الصيغة أيضاً في نقوشٍ صفائيةٍ أخرى "هرضو ساعد جلوت ول تذر[183]".

يتكون هذا النقش من العناصر التالية

الطالب: هو صاحب النقش "أسد".

حرف الطلب: هو حرف الفاء والواو قبل اسم المعبود.

المطلوب به: اللات، ورضو.

موضوع الطلب: أن تمنحه "النعم" أو النعام، حيث استخدم صيغة الفعل الأمر في طلبه[184].

النقش رقم 11، 12، 13 الشكل رقم (6).

كتبت النقوش ذوات أرقام (11، 12، 13) على حجر بازلتي دائري الشكل وبخط متوسط الحجم، اشترك النقش رقم (11، 12) في حرف الراء في كلمة "عر"، جميع الحروف واضحة ومقروءة، كتب حرف الياء في النقش رقم (13) بجانب حرف السين لعدم وجود المسافة الكافية، لم يرافق النقوش رسمت "العير".

النقش رقم 11

ل هـ س ي ب و ح و ر ب ع ر

المعنى

ل هسيب وعاد بحمار وحشي.

الإيضاح

هسيب

بدأ بلام التمليك، الهاء أداة التعريف، وهو اسم علم معرف، السين والياء والباء أصل واحد يدل على استمرار الشيء وذهابه، ومن ذلك سيب الماء مجراه، يقال سيب الدابة تركها[185]، السيب: العطاء، النافلة، والسيب: مجرى الماء، وسيب الشيء تركه، وسيب الدابة أو الناقة تركها تسيب حيث تشاء، وساب في الكلام خاض فيه بهذر، وسائب اسم من ساب يسيب[186].

الشواهد:

اسم ورد في نقوش صفائية أخرى[187].

---

(180) ملكاوي، الصيغ الطلبية (الدعائية) في النقوش الصفوية، ص 141 ;LP, p 80

(181) بيستون، ص 90.

(182) مريخ، العربية القديمة ولهجاتها، ص 342.

(183) الخريشة، نقوش صفوية من بيار الغصين، نقش 201، ص 55.

(184) ملكاوي، الصيغ الطلبية (الدعائية)، ص 14؛ السعيد، = نقوش ثمودية من تبوك، ص 106 ;CIS, 137.

(185) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج 3، ص 119.

(186) ابن منظور، ج 1، ص 477.

(187) طلافحه، لغة النقوش الصفوية وصلتها بلهجة أهل البادية، نقش 34: 59؛ Ababneh, I, A. Neue Safaitische, n807, P. 318.

وحور

الواو حرف استئناف، الحاء، والواو، والراء، أصل صحيح له ثلاثة أصول أحدها اللون، والثاني الرجوع، والثالث أن يدور الشيء دوراً. فأما الأول فالحور شدة بياض العين في شدة سوادها، وأما الرجوع فيقال حار يحور إذا رجع، وأما الأصل الثالث فيقال المحور وهي الخشبة التي تدور في المحالة[188]، الحور الرجوع عن الشيء وإلى الشيء، الحور الرجوع[189]، حار يحور لغة بعض حمير في حار يحور إذا رجع[190]، قال تعالى ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾﴾ {سورة الانشقاق آية 14}، أي ظن أن لن يرجع إلى ربه، ولن يحييه الله بعد موته للحساب والجزاء، فلذلك كفر وفجر[191].

الشواهد:

وهو فعل شائع الاستعمال في نقوش الصفائية [192]، وفي السبيئة ورد حور وتفيد معنى نفذ أمر، أو مرسوم[193]، وترد أيضاً في السبيئة كلمة يحور، حور بمعنى أقام سكن ممستوطن[194]، وورد في الثمودية "ح و ر" عاد رجع[195].

بعر

الباء حرف جر، عر اسم مفرد مذكر، العَيْر الحمار أياً كان أهلياً أو وحشياً، وقد غلب على الوحشي، والأنثى عَيْرة. أما العِيرُ مؤنثة فهي: القافلة وقيل العِيْر هي الإبل تحمل المِيرةَ[196]، قال تعالى ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾﴾ {سورة يوسف آية 94}.

الشواهد:

اسم ورد في نقوش صفائية أخرى[197]، وفي العبرية ورد "עַיִר" وتعني جحشاً، حماراً[198].

النقش رقم 12

ل ب ن ك ل ب ت ع ر

المعنى

ل بن كلبت الحمار الوحشي

الإيضاح

ل بن

بدأ بلام التمليك وأتبعه باسم البنوة "بن"، ويحتمل أن يكون "ب ن ك ل ب ت" علم مركب من "بن"+"ك ل ب ت" علم، وورد مثل هذه التراكيب في نقوش صفائية أخرى (WH, 371)، وله دلالة على اختصار الاسم المركب مع الإلهة، انظر النقش رقم 8.

كلبت

اسم علم مفرد مذكر على وزن فَعْلة، الكلب كل سبع عقور، وكلاب اسم رجل ثم غلب على الحي والقبيلة، وبطون كلاب عشرة أبطن[199]، أما ظاهرة إلحاق التاء فتكون في بعض الأسماء في النقوش الصفائية انظر النقش رقم 8.

(188) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج 2، ص 115.

(189) ابن منظور، ج 4، ص 218.

(190) سلوم، المعجم الكامل في لهجات الفصحى، ص 118.

(191) الصابوني، صفوة التفاسير، ج 20، ص 37.

(192) Ababneh, I, A., Neue Safaitische, In679, P. 288.

(193) بيستون، ص 73.

(194) بيستون، ص 73.

(195) المهياش، مفردات النقوش الثمودية دراسة دلالية مقارنة في إطار اللغات السامية، ص 66.

(196) ابن منظور، ج 4، ص 620.

(197) الروسان، نقوش صفوية من وادي قصاب بالأردن، الرياض، نقش 7، ص 52.

(198) Fowler, J. Theophric Personal Names In Anncitnt Hebrew, p. 778.

(199) ابن منظور، ج 1 ، ص 722.

الشواهد:

اسم ورد في نقوش صفائية أخرى[200]، وفي الثمودية ورد على صيغة "ك ل ب"[201]، وفي اللحيانية وردد على صيغة"ك ل ب"[202]، وفي القتبانية ورد على صيغة"ك ل ب ت"[203]، وفي المعينية ورد على صيغة "ك ل ب" و"ك ل ب ت"[204]، وفي الآرامية ورد على صيغة "ك ل ب و"[205].

عر انظر النقش رقم 11.

النقش رقم 13

ل ب هـ ل هـ ع م س ي

المعنى

ل بهل العمسي

الإيضاح

بهل

اسم علم مذكر بدأ بلام التمليك على وزن فَعَلَ، الباء والهاء واللام أصل صحيح له أصول ثلاثة أحدها الترك والتخلي، والثاني جنس في الدعاء، والثالث قلة في الماء[206]، البهل: العناء بالطلب، وأبهل الناقة أهملها وسيبها ، وباهلة قبيلة من قيس عيلان[207]، قال تعالى ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾ {سورة آل عمران آية 61} نتضرع إلى الله سبحانه وتعالى[208].

الشواهد:

اسم علم ورد في نقوش صفائية أخرى[209]، وورد في السبئية بصيغة "ب هـ ل" وبصيغة "ب هـ ل ن"[210]، وورد كذلك بالسبئية بصيغة "ب هـ ل م" اسم لقبيلة[211]، وكذلك ورد بالقتبانية بصيغة نفسها "ب هـ ل م"[212]، وفي العبرية ورد الفعل"בָּהַל" بمعنى ممر، مضيق، مأزق[213]، وفي السريانية ورد "ܒܗܠ" بمعنى هدأ[214].

هعمسي

الهاء أداة التعريف في اللهجة الصفائية: العين والميم والسين، أصل صحيح يدل على شدة في اشتباه والالتواء في الأمر: العماس الحرب الشديدة، وأعمس الطريق التبس وعمس الخبر أظلم[215]، والياء للنسبة، أو جاء على لفظ المنسوب وليس بمنسوب، والعماس اسم من أسماء الأسد[216]، العميس: الأسد الشديد[217]. وأرى أن "عمسي" صيغة نِسْبة "لبهل" مؤلفة من "هـ" أداة تعريف + "ع م س" اسم + "ي" ياء النسبة "فتصبح العمسي"، ويحتمل أن تكون هناك قراءة أخرى لهذا النقش، لأن هذا الاسم سبق بأداة التعريف للجنس. وهذا يشبه صيغاً عديدة في النقوش

(200) HIn, 503.
(201) HIn, 502 .
(202) أبو الحسن، نقوش لحيانية من منطقة العلا، نقش 287، ص 213.
(203) RES, 4950.
(204) RES, 3379.
(205) Maraqten., Die semitischen Personennamen in den alt-und, p. 174.
(206) ابن فارس، معجم مقاس اللغة، ج 1 ، ص 310.
(207) ابن منظور، ج 11، ص 71.
(208) الصابوني، صفوة التفاسير، ج 2 ، ص 27.
(209) الروسان، نقوش صفوية من وادي قصاب بالأردن، دراسة ميدانية تحليلية مقارنة، نقش 126، 128؛ الخريشة، = نقوش صفوية من بيار الغصين، نقش 467، ص 105.
(210) HIn, 123.
(211) بافقيه، مختارات من النقوش اليمنية القديمة، ص 421.
(212) Hayajneh, H., Die Personennamen der qatabanichen, p. 101.
(213) Gesenius., Hebrew and English Lexice, Oxford , At The Clarendon Press, 1978, p. 96.
(214) Costaz, Dictionaire Syrique - Francais, Dictionary, p. 25.
(215) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج 4، ص 142.
(216) ابن خالويه، (370 هـ)، أسماء الأسد، 1989، ص 21.
(217) رضا، معجم متن اللغة، بيروت، 1958، ج 4، ص 206 .

الصـفائية، وكمـا ورد في الـنقش رقـم 6"، فتكـون القراءة الثانية "هذا الأسد ل بهل".

الشواهد:

ورد في العبرية "עָמַס" وتعني حمل، نقل[218].

الخلاصة:

قدم هذا البحث دراسة تحليلية لغوية لثلاثة عشر نقشاً من الفرع الصفائي كُتبت بلهجةٍ عربيةٍ شمالية، وتبرزُ أهمية هذه النقوش بأنها أخبرت عن استخدام بعض الصيغ الطلبية الدعائية لعدد من الآلهة في طلب النعم والشمولية في هذه الدعوة. ويعكس هذا مدى طموحاتهم وما يشغل أفكارهم من الأماني والتمنيات. ويظهر هذا البحث استخدام بعض الصيغ ما يطابق ما ورد في القرآن الكريم مثل: لاتذر. ويطرح هذا البحث شروحات جديدة لبعض الأسماء مثل: معنن، شعهم، جلهم، قرسم، نفر، نعم، وأوردت هذه النقوش اسماً جديداً للأسد هو عمس، وأفعالاً مثل: أوسه، تذر. ويشير هذا البحث إلى أن الإمالة والإبدال ربما تعالج نهايات بعض الأسماء والأفعال والواردة بالواو والياء مثل: شتي، شتو، رضو، رضي. كما تحاول هذه الدراسة إظهار الأهمية التاريخية والاجتماعية والدينية لهذه النقوش، ومدى ارتباطها باللهجات العربية القديمة والحديثة، وتتبع وإظهار ملامح وصفات اللهجة الصفائية.

قائمة المختصرات:

ARNA: Winnett, F. and Reed, W. 1970.

HIN: Harding, G. L. 1971.

ISB: W. G . Oxtoby. 1968.

L: Littmann, E. 1940.

LP: Littmann, E. Safaitic Inscriptions, 1943.

PNNR: Negev, A., Pesonal Names in the Nabatean Realem, 1990.

PNPI: Stark, Pesonal Names in Palmyrene Inscriptions, 1971

RES: South Arabian Insciptions in: Repertoire d Epigraphie, Semitique, Acadamie des Insciptions et, Bells-Lettrs, Paris.

RNP: Ryckmmans,G., 1950

TIJ: Harding, G. and Littmann, E. 1952.

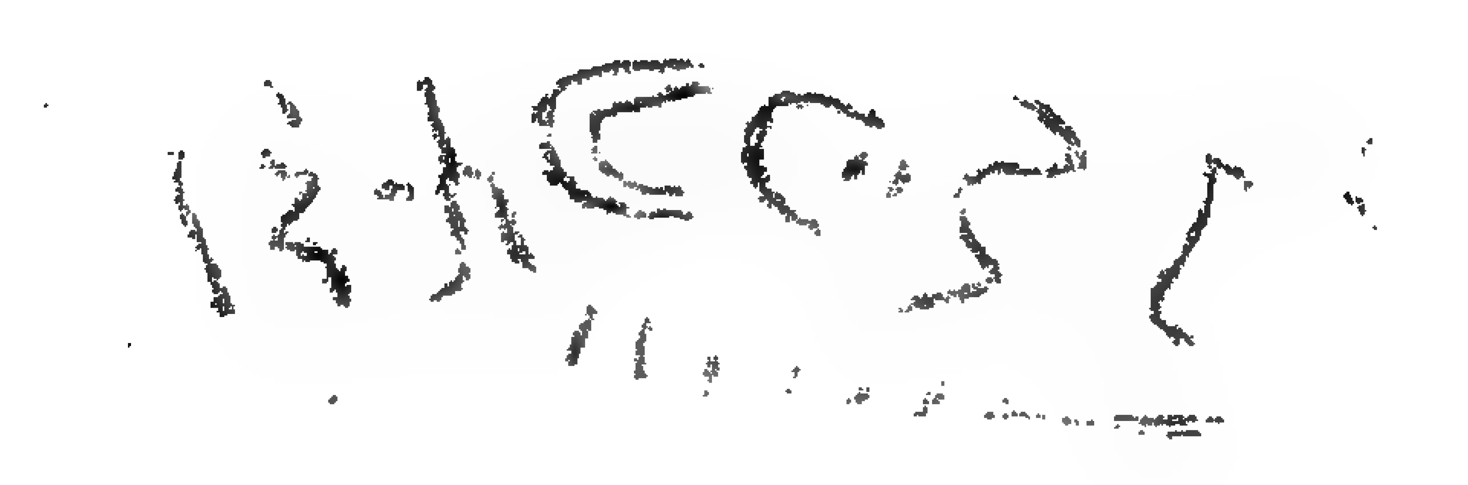
WH: Winnett. F. V. and Harding, G. L. 1978.

WR: Winnett, F, V., and Reed, W, L., 1973.

(218) Geseniu., Hebrew and English Lexice, p. 774.



اللوحة 1: لقطة للحجر الذي يحتوي النقش: 1.



الشكل 1: تفريغ كتابة النقش 1 في اللوحة 1



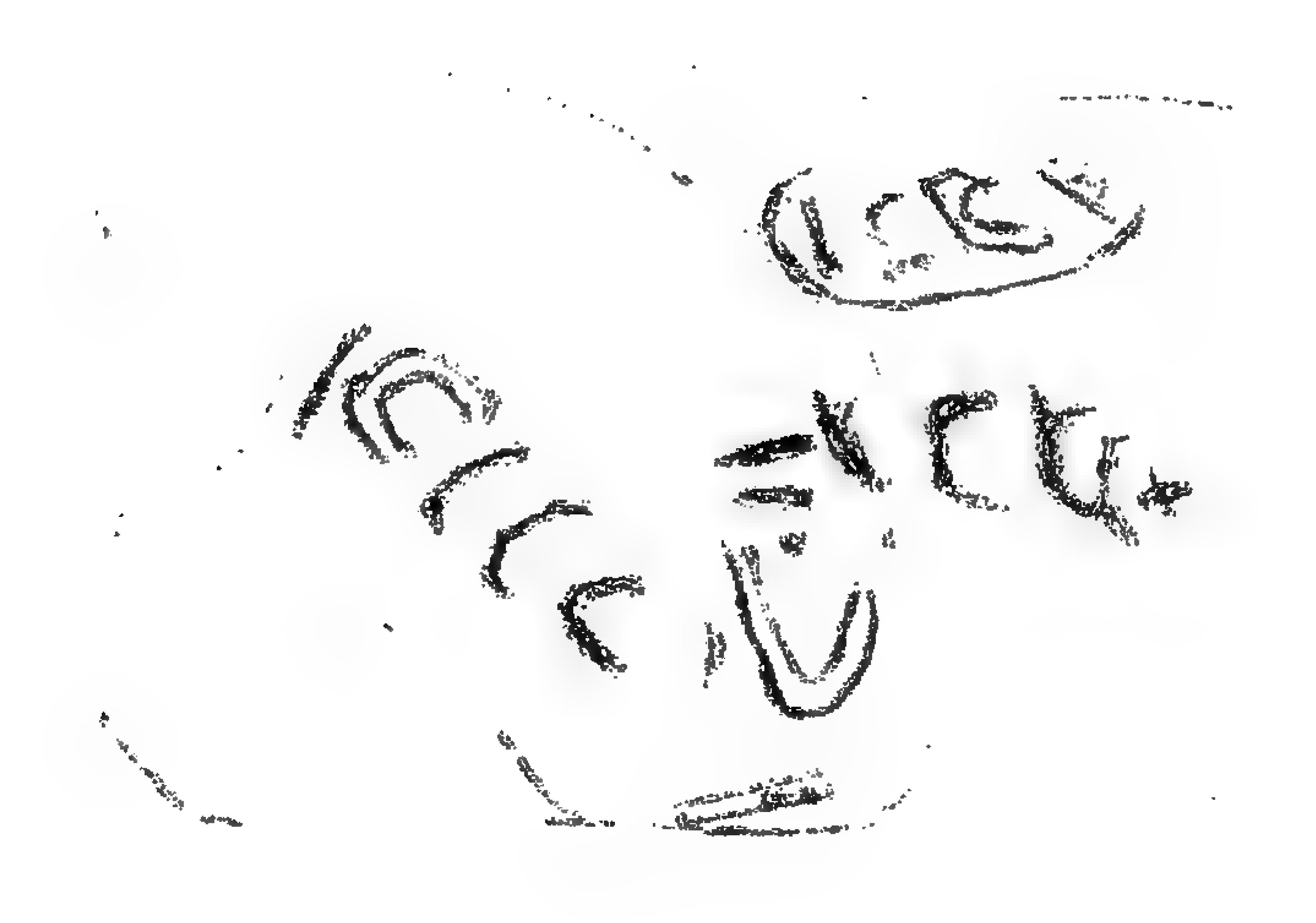
اللوحة 2: لقطة للحجر الذي يحتوي النقوش ذوات الأرقام: (2، 3، 4، 5).



الشكل 2: تفريغ كتابة النقوش ذوات الأرقام (2، 3، 4، 5) في اللوحة 2.



اللوحة 3: لقطة للحجر الذي يحتوي النقشين: (6، 7).



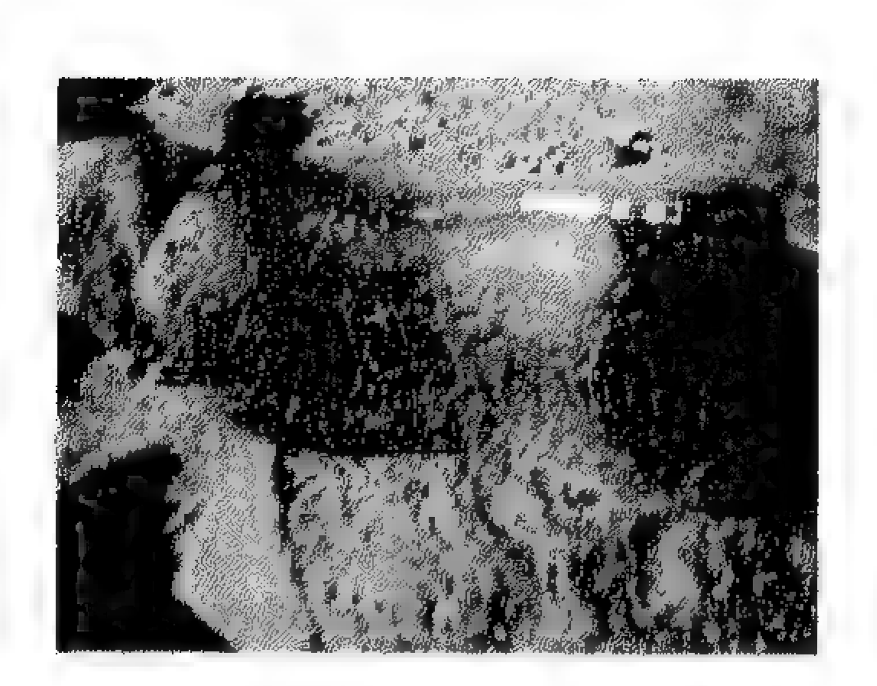
الشكل 3: تفريغ كتابة النقشين (6، 7) في اللوحة 3.



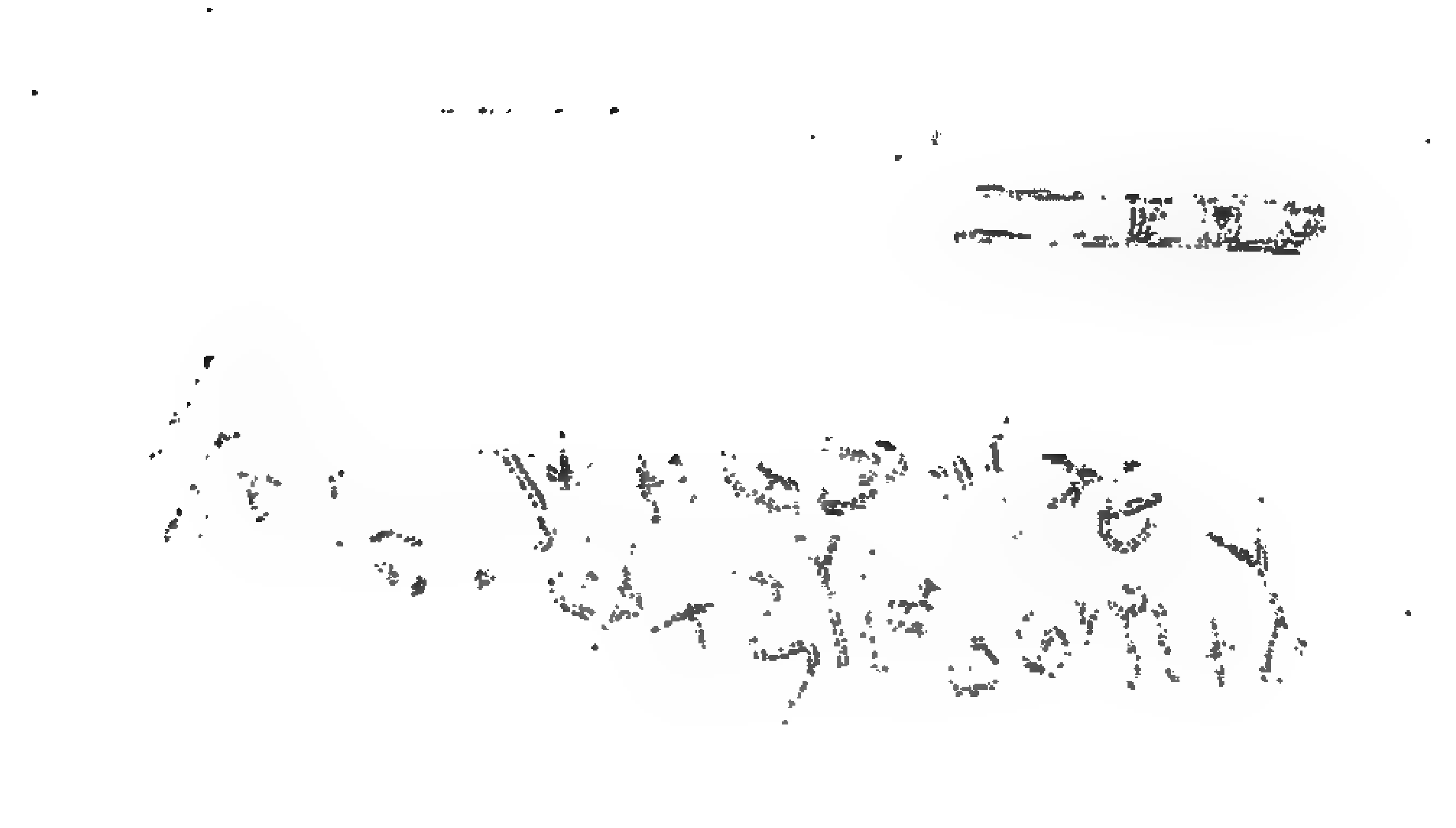
اللوحة 4: لقطة للحجر الذي يحتوي النقشين (8، 9).



الشكل 4: تفريغ كتابة النقشين (8، 9) في اللوحة 4 .



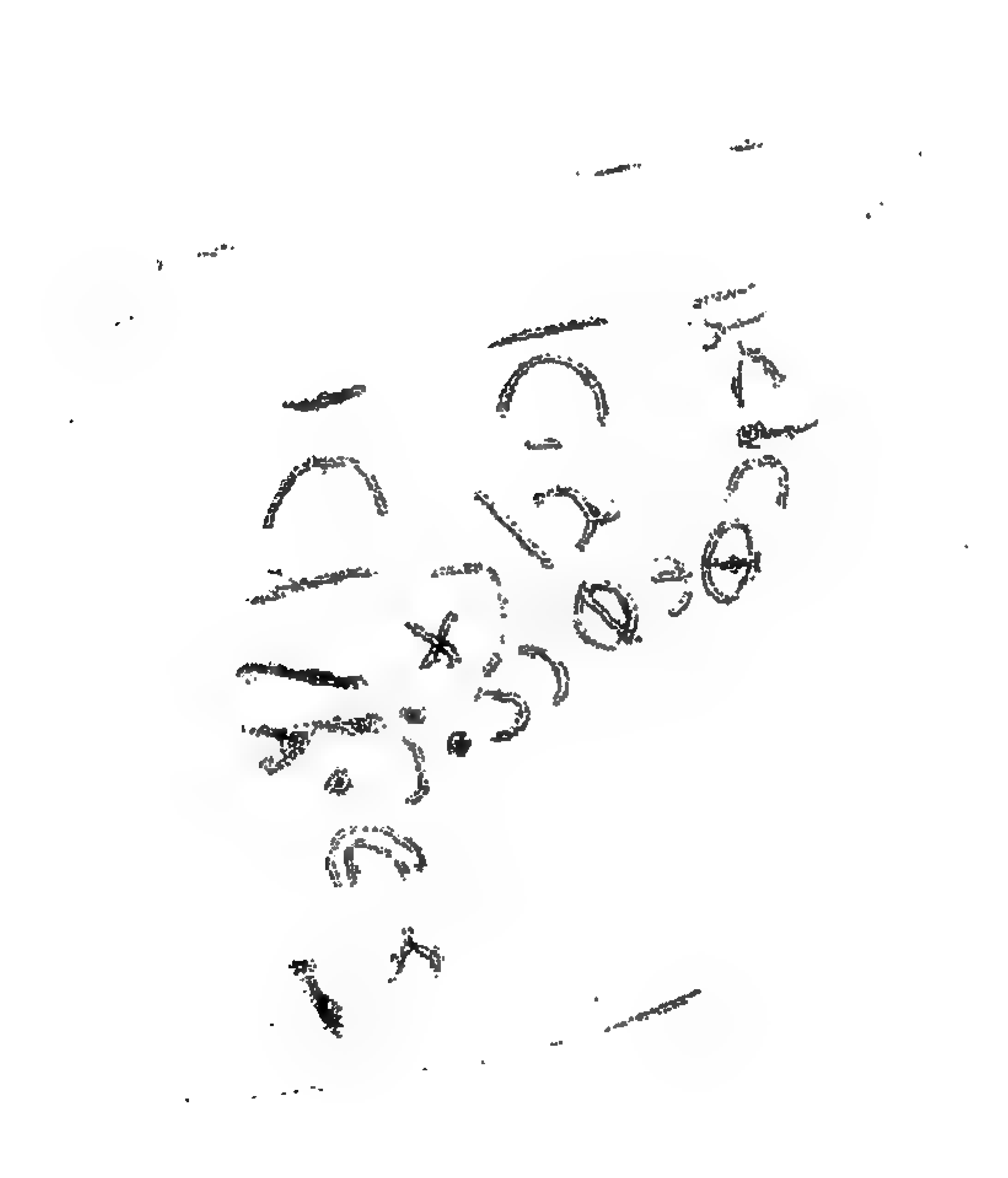
اللوحة 5: لقطة للحجر الذي يحتوي النقش 10.



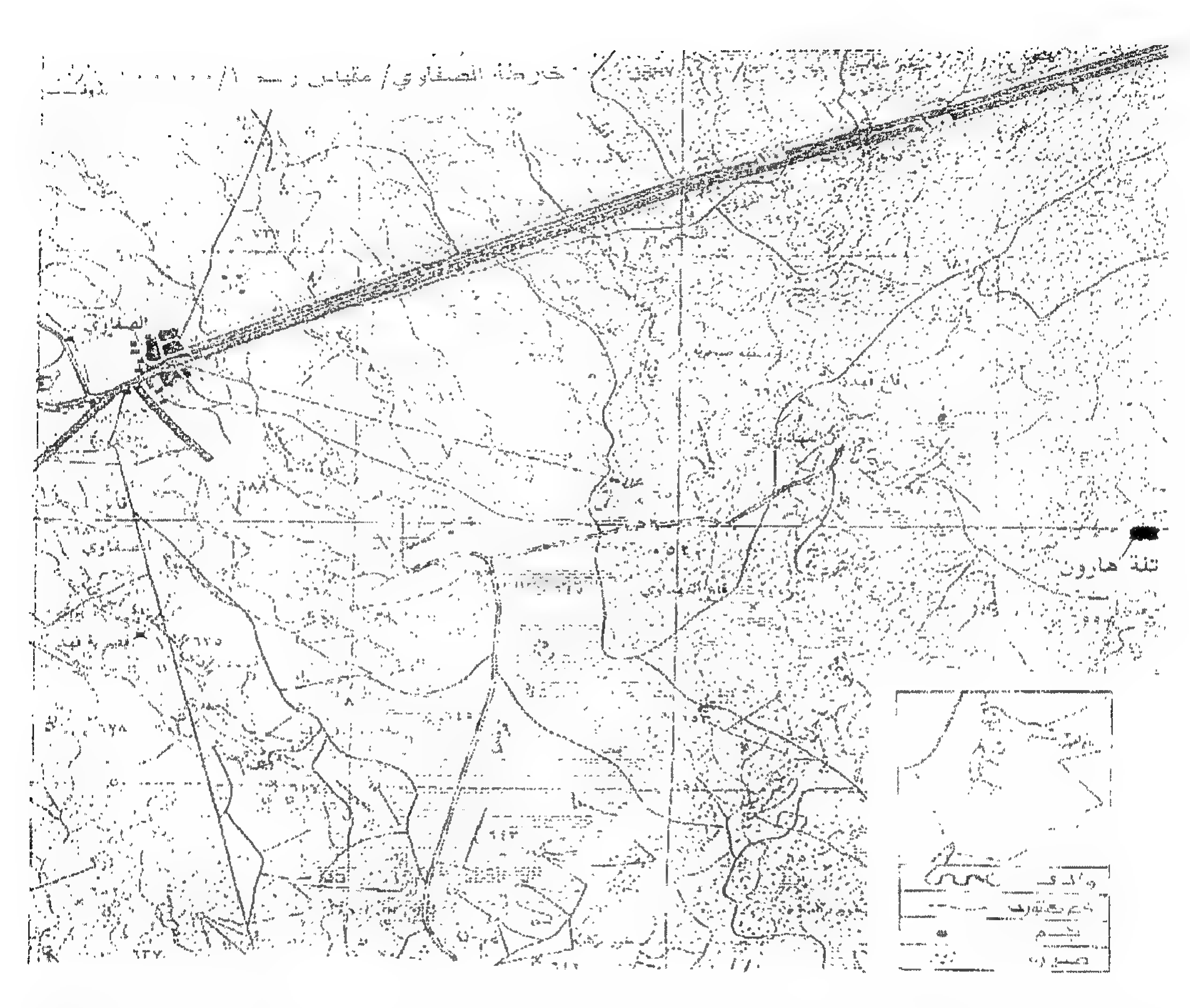
الشكل 5: تفريغ كتابة النقش 10 في اللوحة 5.



اللوحة 6: لقطة للحجر الذي يحتوي النقش 11، 12، 13



الشكل 6: تفريغ كتابة النقش (11، 12، 13) في اللوحة 6.



الخريطة 1: موقع تلة هارون إلى الطرف الشرقي من قاع الفهدة إلى الجنوب الشرقي من بلدة الصفاوي في المنطقة الشرقية من الأردن، قرب طريق عمان ـ بغداد.

العصور، المجلد الثامن عشر، الجزء الثاني، 33 – 58 (2008م)

معارضة اليهود الفكرية للنبي صلى الله عليه وسلم في العهد المدني

د. بسام بن عبد العزيز بن محمد الخراشي
قسم التاريخ والحضارة بكلية العلوم الاجتماعية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث:

تناول البحث بالدراسة معارضة اليهود الفكرية للنبي ﷺ في العهد المدني، ومحاولتهم إثارة بعض الشبهات للتشكيك في صدق نبوته ﷺ، وجدلهم في القرآن الكريم، ودعواهم أن الهدى في اتباعهم، ومحاولتهم القدح في ذات الله – عز وجل – وبيان أن الجذور التاريخية للحقد اليهودي كانت قبل مولد النبي ﷺ، وتتمثل في حقدهم وعدائهم المستمر مع القبائل العربية المجاورة في المدينة، ثم حالة الذهول وخيبة الأمل حينما عرفوا أن النبي ﷺ الذي يتوعدون به العرب ليس منهم، كما كانوا يأملون، وإنما خرج من أبناء عمومتهم من العرب، ولهذا ازدادت حالة الاحتقان والحسد في نفوسهم من ذلك الحين، وإلى يومنا هذا، وذلك باستخدام كافة الوسائل للقضاء على الإسلام وأهله.

المقدمة وأهمية الموضوع:

الحمد لله الذي بين لعباده كيد أعدائه اليهود، أعداء ملائكته وكتبه ورسله والمؤمنين وخلقه أجمعين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد الذي رسم لأمته المنهج الأمثل في التعامل معهم، فصلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد.

فإن المتتبع لسير الأحداث والعلاقات بين المسلمين واليهود يلمس كيداً مريراً يملأ صدور هؤلاء القوم تجاه الإسلام والحضارة الإسلامية. وهذا الكيد والخوف والترقب لا شأن لنا به إن كانت مجرد إحساس نفسي وشخصي، أما إذا كان يشكل الركيزة التي تبلور مواقف القوم من الشعوب الإسلامية دينياً، وسياسياً، واقتصادياً، فإن موقفنا يتغير بشكل حاسم.

وقد صور لنا القرآن الكريم العديد من المواقف عن اليهود تبين خفايا نفوسهم، وانحراف شخصياتهم، وأمراض قلوبهم، وسجل عداوتهم الأزلية للخير والفضيلة واتباع الصراط المستقيم، وأشار إلى خطورتهم على البشرية في كل مراحلها، وحدد وجودهم وتاريخهم من خلال سخط الله - عز وجل - عليهم، كما بين القرآن الكريم موقفهم من دعوة نبينا محمد ﷺ وما جاء به لهداية البشرية، وتضمنت الشواهد الحديثية أيضاً المنهج النبوي في التعامل معهم والحذر من كيدهم ومكرهم وإفسادهم.

وهذا البحث يهدف إلى «كشف معارضة اليهود الفكرية للنبي ﷺ في العهد المدني». وقد كان من الدوافع للكتابة في هذا الموضوع هو:

الرغبة في أن أسهم بجهد متواضع في إكمال وتسديد بعض النقص إن وجد في بعض الدراسات،

لاسيما فيما يتعلق بالجانب الفكري وتفاصيل الحوار الذي دار بين النبي ﷺ واليهود في المدينة، ولتوضيح الجذور التاريخية لعداوة اليهود للمسلمين منذ فجر الإسلام وحتى قيام الساعة.

الحاجة الماسة إلى معرفة منهج النبي ﷺ في التعامل مع هذه الفئة؛ لاسيما في هذا الزمن الذي ازدادت فيه حدة المواجهات الفكرية بين المسلمين وأعدائهم من اليهود والنصارى ومن هاودهم وناصرهم وأيدهم في أفكارهم وتوجهاتهم، والتي ترمي إلى تشويه وطمس الوجه المشرق للحضارة الإسلامية، والتنقص والازدراء بتعاليم الدين الحنيف، والتطاول على مقام خاتم الأنبياء والرسل نبينا محمد ﷺ عبر وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية، والشبكة العنكبوتية (الإنترنت)، ولمواجهة أبعاد هذه الأخطار ينبغي لنا جميعاً التأسي والاقتداء بمنهج النبي ﷺ في الرد على هذه الشبهات ودحضها.

ولعل من الأهمية التذكير بقضية المسلمين الأولى وهي استرداد بيت المقدس من أيدي اليهود، فأحببت أن أقدم شيئاً يبعث روح الأمل والتفاؤل من جديد لمستقبل مشرق إن شاء الله. وهنا يشير الباحث إلى عدد من الدراسات القيمة التي تناولت تاريخ اليهود وأحوالهم، ومنها: (تاريخ اليهود العام)[1]، و(بنو إسرائيل في نبأ القرآن الكريم وخبر العهد القديم)[2] للدكتور صابر طعيمة، و(اليهود في القرآن)[3] لمحمد عزة دروزة، و(اليهود في القرآن)[4] لعفيف طبارة، و(بنو إسرائيل في الكتاب والسنة)[5] لمحمد سيد طنطاوي، و(الشخصية اليهودية من خلال القرآن الكريم)[6] لصلاح عبدالفتاح الخالدي، و(آثار العنصرية اليهودية في المجتمع الإسلامي)[7] للدكتور أحمد بن عبدالله الحسيني، و(مكايد اليهود عبر التاريخ)[8] عبدالرحمن الميداني وغيرها.

على أي حال فإنه ووفق ما أملته المادة العلمية المتاحة، واقتضته طبيعة الدراسة فقد تم تناول الموضوع عبر محورين:

المحور الأول: يتناول مجيء اليهود إلى جزيرة العرب واستقرارهم في المدينة. ويتكون من مبحثين، ويندرج تحتهما عدد من الفقرات المتفرعة:

المبحث الأول: اليهود في المدينة قبل الهجرة الأسباب والعوامل، ومن ثم تطرقت إلى ذكر بطون اليهود وأماكن سكناهم، وأثرهم في المدينة قبل الهجرة.

المبحث الثاني: ويتناول موقف اليهود من الدعوة بعد الهجرة ويتضمن أولاً: حالة التربص والانتظار عند اليهود. وثانياً: قبولهم الموادعة.

المحور الثاني: ظاهرة المعارضة للدعوة في الميدان الفكري والثقافي من خلال مبحثين يندرج تحتهما عدد من الفقرات المتفرعة على النحو التالي:

المبحث الأول: عوامل المعارضة (البغي والحسد للرسول ﷺ وزعمهم بأنهم ليسوا مخاطبين بالإسلام، رؤيتهم لاتحاد الأوس والخزرج، قوة الوحي القرآني وصدقه في مقابل ضعف التوراة المحرفة).

المبحث الثاني: ويتناول أبرز صور المعارضة الفكرية وأساليبها ومنها: إثارة بعض الشبهات للتشكيك في صدق نبوته ﷺ وجدلهم في القرآن الكريم، والزعم بعدم تناسق القرآن الكريم،

(1) ط 2، بيروت، دار الجيل، 1403هـ.
(2) ط 2، بيروت، عالم الكتب، 1404هـ.
(3) ط 1، القاهرة، مكتبة النهضة. د.ت.
(4) ط 1، بيروت، دار العلم للملايين، د.ت.
(5) ط 2، دار مكتبة الأندلس، 1392هـ.
(6) ط 1، دمشق، دار القلم، 1407هـ.
(7) رسالة دكتوراه، الرياض، كلية الشريعة، جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، 1412هـ.
(8) ط 2، دمشق، دار القلم، 1398هـ.

دعواهم أن الهدى في اتباعهم، القدح في الذات الإلهية ومن ثم دعوى القرب من الله، استخدام الشعر في التحريض على المسلمين وضرب وحدتهم الداخلية، والمجادلات في بعض التشريعات (صرف القبلة) وغيرها من الأحكام التي سيمر بنا تناولها بالتفصيل إن شاء الله.

ثم تأتي بعد ذلك الخاتمة وفيها أبرزت عدداً من النقاط والنتائج التي تم التوصل إليها من خلال هذه الدراسة.

هذا وأسأل الله تعالى العون والتوفيق بأن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعله من العلم الذي ينتفع به، إنه قريب مجيب الدعوات. وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، والحمد لله رب العالمين.

المحور الأول: مجيء اليهود إلى جزيرة العرب واستقرارهم في المدينة:

تعددت الآراء حول مجيء اليهود إلى الجزيرة العربية، والمكان الذي هاجروا منه، والزمان الذي قدموا فيه، فهناك من يقول: إن بداية نزوحهم كان من الشام في القرنين الأول والثاني بعد الميلاد، وذلك حينما تمكن الرومان من بسط نفوذهم السياسي والعسكري على الشام ومصر، مما أدى إلى هجرة أعداد من اليهود إلى جزيرة العرب لبعدها عن سيطرة الرومان الذين أفزعوهم، وقيل: إن هجرة اليهود إلى جزيرة العرب اشتدت بعد فشل التمرد اليهودي ضد الرومان الذي أخمده الإمبراطور تيتوس في عام 70م، وقد وصل بعض هؤلاء اليهود المهاجرين إلى المدينة، وقيل: إنه بعد تنكيل القائد الروماني هادريان لليهود، اندفعت الأفواج اليهودية هاربة تقصد العديد من البلدان، وكان من بين تلك الأفواج مجموعات نزلت يثرب[9] وأصبح لهم نفوذ سياسي واقتصادي مؤقت في المنطقة.

المبحث الأول: اليهود في المدينة قبل الهجرة:

أولاً: أسباب اختيار اليهود المدينة:

إن اختيار اليهود لمنطقة المدينة يعود إلى عدة عوامل منها: ما ورد في التوراة من بشرى نبوته ﷺ قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[10]

وأيضاً ما جاء عن الأحبار والرهبان من بشارات قرب خروجه ﷺ في بلاد الحجاز - كثير، ومن ذلك ما جاء أن رجلاً من يهود الشام يقال له: ابن الْهَيِّبَان قدم إلى المدينة، وحينما حضرته الوفاة قال: يا معشر يهود، ما ترونه أخرجني من أرض الخمر والخمير إلى أرض البؤس والجوع؟ قالوا: إنك أعلم، قال: فإني قدمت هذه البلدة أترقب خروج نبي قد أظل زمانه[11].

ثانياً: بطون اليهود وأماكن سكناهم:

كان البارزون من بطون يهود ثلاث قبائل انتشرت في منطقة المدينة هي: بنو قينقاع استوطنوا وسط المدينة من الشرق إلى الغرب، وكانوا يشتهرون بالصياغة والصناعة، وبنو النضير قد استوطنوا جنوب

(9) يراجع: علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط3، بيروت، دار العلم للملايين، 1980م، ج 6، ص ص 512 - 515. ومحمد بيومي مهران، دراسات في تاريخ العرب القديم، ط 1، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1397هـ ص ص 447 - 450، واستخدم الباحث يثرب هنا =

= لأن الحديث عما قبل الهجرة والإسلام.

(10) الأعراف آية: 157.

(11) يراجع للمزيد: عبدالملك بن هشام (ت213هـ) السيرة النبوية، علق عليها طه عبدالرؤوف سعد، ط 1، بيروت، دار الجيل، ج 1، ص ص 197 - 199.

يثرب وكانوا يشتهرون بالزراعة، وبنو قريظة وقد استوطنوا شرق المدينة، وكانوا يشتهرون بالزراعة، وهناك بقية بطون يهود الأخرى الأقل أهمية والتي تسكن المدينة وأطرافها، وقيل: إنها تزيد على العشرين بطناً مثل: بني عكرمة، وبني محمر، وبني زعورا، وبني الشطيبة، وبني جشم، وبني بهدل، وبني عوف، وبني معاوية، وبني مريد، وبني القصيص، وبني ثعلبة، وغيرهم[12].

ثالثاً: أثرهم في المدينة قبل الهجرة:

خضع المجتمع المدني في ذلك الوقت لسيطرة اليهود الاقتصادية والسياسية والفكرية، ونقلوا بعض آثارهم وطوابعهم، ومن ذلك أنهم نقلوا من الشام فكرة بناء الآطام أو الحصون، حيث بلغ عددها في المدينة تسعة وخمسين أطماً[13] كما حملوا معهم خبراتهم الزراعية والصناعية، مما أثر في ازدهار بساتين المدينة حيث النخيل والأعناب وبعض الحبوب، كما ظهر الاهتمام بتربية الدواجن والماشية، وكان على رأس الأعمال الاقتصادية التي نقلها اليهود في ذلك الوقت التعامل بالربا، وكما أثر اليهود على المجتمع المدني فقد تأثروا بالقبائل العربية المجاورة لهم، فظهرت طوابع الحياة القبلية على اليهود بما فيها من عصبية وكرم واهتمام بالشعر، وتدريب السلاح، وطغيان النزعة القبلية على يهود جعلهم لا يعيشون ككتلة دينية واحدة بل قبائل متنازعة[14] ومع ذلك وطن اليهود لأنفسهم مركزاً متميزاً بين تلك القبائل العربية، وذلك من خلال جانبين هما:

(12) السمهودي، علي بن عبدالله (ت911هـ)، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ط 1، القاهرة، الآداب، 1326هـ، ج 1، ص ص 112- 116.

(13) يراجع: السمهودي، المصدر نفسه، ص 116.

(14) العمري، أكرم ضياء، السيرة النبوية الصحيحة، ط 4، الرياض، مكتبة العبيكان، 1421هـ، ج 1، ص 229.

الجانب الفكري والثقافي بادعائهم أنهم أرقى من العرب، وأنهم أهل دين وكتابهم (التوراة) وأبناء الأنبياء، وهذه حقائق أريد بها باطل. فقد اتخذها اليهود وسيلة للاستعلاء على العرب والسيطرة على شؤونهم، وقد استخدموا هذا الجانب الثقافي والعلمي لتحقيق الجانب الثاني وهو الجانب العملي: حيث برعوا في استخدام أساليب الحيل والدسائس والغدر التي مردوا عليها في كل أجيالهم[15]، وذلك من أجل تحقيق سيطرتهم على العرب في كافة شؤون الحياة السياسية والدينية، والاقتصادية والعسكرية.

ولقد استمرت السيطرة اليهودية في يثرب في كافة مجالات الحياة حتى قدم إليها (الأوس والخزرج) وهما قبيلة من الأزد اليمنية المهاجرة بسبب تصدع سد مأرب حوالي عام 347م، حيث عانوا سيطرة يهود مثل ما عاناه إخوانهم من القبائل العربية الأخرى، ولكن الأوضاع ما لبثت - بعد فترة - أن تبدلت، وذلك حيث ذهب مالك بن العجلان السالمي أحد أشراف الخزرج إلى الشام، حيث أبناء عمومتهم من قبيلة الأزد اليمنية المهاجرة وطلب منهم النصرة على اليهود، فعاهد الله زعيمهم[16] أن لا يمس طيباً ولا يأتي النساء حتى يذل يهود يثرب ويكون الأوس والخزرج أعز أهلها، فأرسل جيشاً كبيراً إلى المدينة تمكن من القضاء على كبار اليهود وساداتهم وأشرافهم، وبذلك أصبحت الكلمة السياسية العليا للعرب من الأوس والخزرج[17]، وما أن استقر الأمر في يثرب للأوس والخزرج حتى دب النزاع على السيادة بينهم، وأدى ذلك إلى نشوب حروب دامية لا تهدأ حيناً حتى

(15) سعيد، عبدالستار فتح الله، معركة الوجود بين القرآن والتلمود، ط 1، القاهرة، دار النصر، 1400هـ، ص 75.

(16) ويقال له أبو جبيلة عبيد بن سالم بن مالك بن سالم الخزرجي، عز الدين علي بن أبي الكرم، ابن الأثير (ت 630 هـ): الكامل في التاريخ، ط 5، بيروت، دار الكتاب العربي، 1405هـ، ج 1، ص 402.

(17) ابن الأثير، المصدر نفسه، ص 402.

تبدأ عنيفة من جديد، وكان آخر هذه الحروب ما وقع في عام 5 ق. هـ 617م وهو يوم بعاث الذي هلك فيه زعماؤهم وتصدعت قوتهم وتعرض مركزهم في يثرب للانهيار، وكان اليهود يذكون هذا الخلاف بين الطرفين لكي يستعيدوا مكانتهم المفقودة في يثرب.[18]

وكانوا دوماً يستفتحون على العرب ويبشرونهم بقرب مبعث نبي خاتم، وأن هذا النبي سيكون يهودياً، وسيبعث فيهم وسيبيح لهم دماء العرب وأموالهم، ولهذا ما إن سمع الأوس والخزرج برسول الله ﷺ حتى تداعوا إليه وتنادوا للإيمان به، وقالوا لبعضهم بعضاً: هذا هو النبي الذي كان يحدثكم عنه اليهود، فلا يسبقونكم إليه[19]. وقد عبرت عائشة - رضي الله عنها- عن أثر تلك الحروب والمنازعات بين الأوس والخزرج في إقبالهم على الإسلام بقولها: « كان يوم بعاث يوماً قدمه الله لرسوله ﷺ فقدم رسول الله ﷺ وقد افترق ملؤهم، وقتلت سرواتهم، وجرحوا، قدمه الله لرسوله ﷺ في دخولهم الإسلام»[20].

المبحث الثاني: موقف اليهود من الدعوة بعد الهجرة:

مر بنا أن أحبار اليهود قد تحدثوا عن نبي يبعث ووردت صفاته في كتبهم، وكان من المنتظر أن يكون اليهود أول من يؤمن به ويصدق نبوته ﷺ قبل الهجرة، إلا أن اليهود وقفوا طيلة العهد المكي الذي دام ثلاثة عشر عاماً وراء مشركي قريش يتبادلون معهم الوفود، ويتصلون بهم سرًا من أجل القضاء على دعوته ﷺ في مهدها[21] وقد تبين هذا الموقف الرافض بصورة واضحة وجلية بعد الهجرة إلى المدينة، وذلك على النحو التالي:

أولاً: التربص والانتظار:

تشير كتب السيرة التي بين أيدينا إلى أن النبي ﷺ حينما استقر في المدينة شرع في بناء مجتمع إسلامي موحد ومتماسك، وذلك لتوطيد سلطان الإسلام في ربوعها الطاهرة بين سكانها، وهم المسلمون (أصحابه الصفوة الكرام البررة - رضي الله عنهم-)، والكفار المشركون الذين لم يؤمنوا بعد، وهم من صميم القبائل العربية، وأهل الكتاب (اليهود والنصارى)[22]. وما يعنينا هنا سوى موضوع بحثنا (اليهود).

فقد أحدثت تلك التحولات والمتغيرات السياسية والاجتماعية عند اليهود حالة من التربص والانتظار، لاسيما أنهم قد عرفوا أن النبي ﷺ ليس من قومهم بني إسرائيل كما كانوا يأملون، وإنما من أبناء عمومتهم من العرب، وعلى الرغم من ذلك شارك بعض اليهود في البداية المسلمين من (المهاجرين) و(الأنصار) في استقبال النبي ﷺ ربما رغبة في استمالته - عليه الصلاة والسلام - إليهم، وبعضهم الآخر تنكروا لدعوته ﷺ منذ اليوم الأول من الهجرة، وعلى رأسهم أكثرية الأحبار وهم القادة المسموع لهم في كافة المجالات: الدينية، والسياسية، والعسكرية وغيرها، والذين كانوا هم المحرك لكافة الأحداث العدائية التي جرت - فيما بعد - بين المسلمين واليهود[23] فقد كان النبي ﷺ في البداية يحب موافقة اليهود فيما لم يؤمر فيه بشيء، فعن عبدالله بن عباس - رضي

(18) الشريف، احمد بن إبراهيم، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ﷺ، ص 338.

(19) ابن هشام، السيرة النبوية، ج 2، ص 54، 55.

(20) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب مناقب الأنصار، باب مناقب الأنصار، الحديث رقم (3777).

(21) خليل، عماد الدين، دراسة في السيرة النبوية، ط 13، بيروت، دار النفائس، 1412هـ، ص 322.

(22) المباركفوري، صفي الرحمن، الرحيق المختوم، ط 1، الرياض، المكتبة التدمرية، 1420هـ، ص 177.

(23) طنطاوي، محمد سيد، بنو إسرائيل في القرآن والسنة، ط 3، بيروت، دار مكتبة الأندلس، 1392هـ، ص 134.

الله عنه - قال: «كان النبي يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء»[24]. ومن ذلك:

أ ـ مسألة صيام (يوم عاشوراء):

فعن عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما- قال: « إن رسول الله ﷺ قدم المدينة فوجد اليهود صياماً يوم عاشوراء، فقال لهم رسول الله ﷺ ما هذا اليوم الذي تصومونه؟ فقالوا: هذا يوم عظيم أنجى الله فيه موسى، وأغرق فيه فرعون وقومه، فصامه موسى شكراً، فنحن نصومه، فقال الرسول ﷺ: فنحن أحق وأولى بموسى منكم، فصامه رسول الله ﷺ وأمر بصيامه »[25].

ب ـ مسألة استقبال (بيت المقدس) في الصلاة:

فعن البراء بن عازب - رضي الله عنه- قال: « إن النبي ﷺ أول ما قدم المدينة صلى قبل بيت المقدس، وكانت اليهود قد أعجبهم إذ كان يصلي قبل بيت المقدس »[26].

وقد سلك الرسول ﷺ في سبيل دعوة اليهود كل وسيلة من شأنها إقناعهم بصدق نبوته، حيث ساق لهم من الأدلة القولية والنقلية ما يحملهم - لو كانوا ممن فتح الله على قلوبهم لقبول الحق والهدى - قال النبي ﷺ: « لَوْ آمَنَ بِي عَشَرَةٌ مِنْ الْيَهُودِ لآمَنَ بِي الْيَهُودُ»[27]. ولا يعني هذا عدم إسلام أحد منهم حين قدم النبي ﷺ، بل أسلم عدد منهم مثل: الحصين بن سلام اليهودي الذي كان من كبار أحبارهم، وتسمى باسم (عبد الله بن سلام)[28]، وأخوه ثعلبة بن سلام[29]، ومخيريق النضري[30]، وثعلبة بن سعية[31]، وأسد بن سعية القرظي[32] وغيرهم، وأحدث ذلك ردود فعل عارمة زادت من حالة الغضب والاحتقان اليهودي ضد الدعوة، وقد عبروا عن ذلك بقولهم: « ما آمن بمحمد ولا اتبعه إلا شرارنا، ولو كانوا من أخيارنا ما تركوا دين آبائهم وذهبوا إلى غيره .. »[33].

ثانياً: قبول الموادعة:

رغب النبي ﷺ في أن يزيد من أسباب التعاون في المجتمع المدني، فعمل على تنظيم العلاقات - بصورة رسمية - بين سكان المدينة لاسيما مع اليهود، وذلك من خلال عدة معاهدات استهدفت توضيح التزامات كل طرف، وتحديد الحقوق والواجبات، وقد سميت في المصادر المتقدمة (بالكتاب والصحيفة) وأطلقت الأبحاث الحديثة عليها لفظ الدستور والوثيقة[34].

وهناك جدل حول هذه الوثيقة من ناحية صحتها، فقد أوردها ابن إسحاق (ت 151 هـ) في سيرته دون إسناد مما جعل روايته ضعيفة[35] ونقلها ابن سيد الناس عن ابن أبي خيثمة من طرق ضعيفة[36]، كما أوردها أبو عبيد القاسم بن سلام رواها بإسناد منقطع

---

(24) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب مناقب الأنصار، باب إتيان اليهود للنبي ﷺ حين قدم المدينة رقم الحديث (3944).

(25) المصدر نفسه، رقم الحديث (3943).

(26) المصدر نفسه، كتاب الإيمان، باب الصلاة من الإيمان، رقم الحديث (40).

(27) المصدر نفسه: الحديث رقم (3941).

(28) توفي بالمدينة سنة 43هـ، يراجع ترجمته: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج 2، ص ص 320 - 321.

(29) ذكره ابن حجر في الإصابة، ج 1، ص 199.

(30) استشهد في غزوة أحد، ابن حجر، المصدر نفسه، ج 3، ص 393.

(31) ذكره ابن حجر وقال عنه: أحد من أسلم من اليهود، المصدر نفسه، ج 1، ص 199.

(32) ابن حجرن المصدر نفسه، ج 1، ص 33.

(33) يراجع: ابن هشام، السيرة النبوية، ج 2، ص 147.

(34) العمري، أكرم ضياء، السيرة النبوية الصحيحة، ط 4، الرياض، مكتبة العبيكان، 1421هـ، ص 272.

(35) ابن هشام، السيرة النبوية، ج 2، ص 106.

(36) سيد الناس، محمد بن محمد بن (ت 734هـ)، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، تحقيق: محمد العيد الخطراوي وزميله، ط 1، المدينة المنورة، دار التراث، 1413هـ، ج 1، 320هـ

يقف عند الزهري[37] كما وردت في كتب الحديث نصوصٌ من الوثيقة بأسانيد متصلة، وبعضها أوردها البخاري ومسلم، فهذه النصوص جاءت في أحاديث صحيحة، وقد احتج بها الفقهاء وبنوا عليها أحكامهم.

وعلى أية حال يرى بعض الباحثين أن الوثيقة بشكل عام مقبولة بالنظر إلى ما ذكرناه[38]، ونظراً للاعتبارات التالية:

1- أن بعض المصادر التاريخية التي بين أيدينا قد أوردت هذه الوثيقة أو بعض نصوصها[39].

2- أن أسلوب الوثيقة ينم عن أصالتها «فنصوصها مكونة من جمل قصيرة بسيطة وغير معقدة التركيب، يكثر فيها التكرار، وتستعمل كلمات وتعابير كانت مألوفة في عصر الرسول ﷺ ثم قل استعمالها فيما بعد حتى أصبحت مغلقة على غير المتعمقين في دراسة تلك الفترة، وليس في هذه الوثيقة نصوص تمدح أو تقدح فرداً أو جماعة، أو تخص أحداً بالإطراء أو الذم، لذلك يمكن القول بأنها وثيقة أصلية وغير مزورة»[40].

3- التشابه الكبير بين أسلوب الوثيقة وأساليب كتب النبي ﷺ الأخرى يعطيها توثيقاً آخر[41].

على أي حال فإن الوثيقة تضمنت عدة بنود نظم النبي ﷺ من خلالها العلاقات بين سكان المدينة لاسيما اليهود ولعل من أبرز بنودها:

1- أن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.
2- وأن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم، إلا من ظلم نفسه وأثم، فإنه لا يوتغ[42] إلا نفسه وأهل بيته.
3- وأن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف.
4- وأن ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف.
5- وأن ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف.
6- وأن ليهود بني جشم مثل ما ليهود بني عوف.
7- وأن ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف.
8- وأن ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف، إلا من ظلم وأثم، فإن لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته.
9- وأن جفنه بطن من ثعلبة كأنفسهم.
10- وأن لبني الشطيبة مثل ما ليهود بني عوف، وأن البر دون الإثم.
11- وأن موالي ثعلبة كأنفسهم.
12- وأن بطانة يهود كأنفسهم.
13- وأنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد.
14- وأنه لا ينحجز على ثأر جرح، أنه من فتك

---

(37) الأموال، تحقيق محمد خليل هراس، ط2، القاهرة، دار الفكر، 1395هـ، ص 126.

(38) يراجع للمزيد حول طرق ورود الوثيقة، أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة، ج 1، ص ص 272 - 276.

(39) يراجع على سبيل المثال: أحمد بن يحيى البلاذري (ت 279هـ)، انساب الأشراف، تحقيق محمد حميد الله، ط 1، القاهرة، دار المعارف المصرية، (دت) ج 1، ص 286، الطبري، محمد بن جرير (ت 310هـ)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 1، القاهرة، دار المعارف المصرية، 1961م، ج 2، ص 479 ، المقدسي، المطهر بن طاهر ، (ت 355هـ) كتاب البدء والتاريخ، عناية كلمان هوار، ط 1، =

= باريس (دت)، 1903م، ج 4، ص 179 وعلي بن أحمد بن سعيد بن حزم (ت 456هـ) جوامع السيرة، ط 1، بيروت دار الكتب العلمية، 1403هـ، ص 73، وابن كثير، البداية والنهاية، ج 4، ص 224، 225.

(40) يراجع: العلي، صالح، تنظيمات الرسول ﷺ الإدارية في المدينة، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج 17، بغداد 1969م، ص 504

(41) العمري، أكرم ضياء، المرجع السابق، ص 276.

(42) الوَتَغُ بالتحريك الهَلاكُ، وَتِغَ يَوْتَغُ وتَغاً فسَدَ وهلَكَ وأَثِمَ، يراجع، ابن منظور، لسان العرب، مادة وتغ.

فبنفسه وأهل بيته إلا من ظلم وأن الله على أبر من هذا.

15- وأن على يهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم.

16- وأنه لا يأثم امرؤ بحليفه، وأن النصر للمظلوم.

17- وأن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة.

18- وأن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم.

19- وأنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها.

20- وأن ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث، أو اشتجار يخاف فساده، فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله ﷺ، وأن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره.

21- وأنه لا تجار قريش ولا من نصرها.

22- وأن بينهم النصر على من دهم يثرب.

23- وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه فإنهم يصالحونه ويلبسونه، وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإن لهم على المؤمنين إلا من حارب في الدين.

24- على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم.

25- وأن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على ما لأهل هذه الصحيفة مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة، وأن البر دون الإثم لا يكسب كاسب إلا على نفسه.

26- وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم، وأنه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم وأثم، وأن الله جار لمن بر واتقى ومحمد رسول الله ﷺ[43].

ويلاحظ من خلال هذه الوثيقة ما يلي:

1- أن الوثيقة تبين المنهج الذي اختطه النبي ﷺ لبناء مجتمع متكامل ومتعاون في هذه المرحلة الحاسمة.

2- تبين أيضاً كيفية التعامل والتعايش مع الرأي الآخر لاسيما أهل الديانات والمعتقدات والمذاهب المخالفة.

3- جعلت الوثيقة السلطة القضائية العليا في المدينة للنبي ﷺ وفي هذا مكسب كبير للدعوة.

4- موقف النبي ﷺ المتسامح مع اليهود، حيث أقرت الوثيقة مفهوم الحرية الدينية بواسع معانيها، والضرب بعرض الحائط مبدأ التعصب ومصادرة الآراء والمعتقدات، ولم تكن المسألة مسألة تكتيك مرحلي ريما يتسنى للرسول ﷺ تصفية أعدائه في الخارج لكي يبدأ بتصفية أخرى إزاء أولئك الذين عاداهم، وحاشاه إنما صدر هذا الموقف السمح المنفتح عن اعتقاد بأن اليهود باعتبارهم أهل كتاب سيتجاوبون مع الدعوة الجديدة، وينهضون لإسنادها في لحظات الخطر والصراع ضد العدو الوثني المشترك، أو أنهم - على أسوأ الاحتمالات - سيكفون أيديهم عن إثارة المشكلات والعقبات ووضع العراقيل في طريق الدعوة، وهي تبني دولتها الجديدة، لكن الذي حدث وطيلة العهد المدني غير مجرى العلاقات بين المسلمين واليهود، وجمد البنود المتعلقة بهم، لا لشيء إلا أنهم اختاروا النقض على الوفاء، والخيانة على الالتزام[44]، حيث

(43) يراجع: حميد الله، محمد، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ط 3، بيروت، دار الإرشاد، د.ق، ص ص 57 - 64.

(44) يراجع للمزيد: خليل، عماد الدين، دراسة في السيرة، ص ص 151 - 152.

ظلوا يكيدون للإسلام وأهله بشتى الوسائل والأساليب وعلى كافة الأصعدة الفكرية والعسكرية - كما سيمر بنا في الفقرات التالية - .

المحور الثاني: ظاهرة المعارضة للدعوة في الميدان الفكري والثقافي:

المبحث الأول: عوامل المعارضة:

أولاً: ما انطوت عليه الشخصية اليهودية من خصائص وسمات، وصفها القرآن الكريم في عدة مواضع فهم كاذبون، محرفون، حاسدون، ضالون، مضلون[45]، يميلون إلى التجمع في أمكنة خاصة، والنظرة الدونية للآخرين إلى غير ذلك من الرذائل الأخلاقية والمفاسد السلوكية، ولا يسلم من هذه القبائح والرذائل الأخلاقية والمفاسد السلوكية إلا الأنبياء من بني إسرائيل الذين اصطفاهم الله - عز وجل- وكذلك الصالحون الذين اتبعوا الحق الذي جاء به محمد ﷺ قال تعالى:﴿ ۞ لَيْسُوا سَوَاءً ۗ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾[46].

قال ابن كثير - رحمه الله- : نزلت هذه الآيات فيمن آمن من أحبار أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأسد بن عبيد وغيرهم، أي لا يستوي من تقدم ذكرهم بالذم من اليهود وهؤلاء الذين أسلموا ولهذا قال تعالى : ﴿ ۞ لَيْسُوا سَوَاءً ﴾ أي ليسوا كلهم على حد سواء، بل منهم المؤمن ومنهم المجرم[47].

ثانياً: البغي والحسد لرسول الله ﷺ لأنه بعث من العرب وليس من بني إسرائيل ولذلك حاربوه قال تعالى: ﴿ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ ﴾[48]. كما طال البغي والحسد المسلمين لأن الله انعم عليهم بالإسلام وجعلهم خلفاء الأرض وشهداء على الناس وأمناءه على دينه ورسالته، قال تعالى : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ۖ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾[49] وما زال هذا الحسد والبغي مستمرا حتى اليوم وهو الذي يحكم علاقات اليهود بالمسلمين.

ثالثاً: زعمهم بأنهم ليسوا مخاطبين بالإسلام، فكانوا للأسف وهم أهل كتاب أول كافر به قال تعالى: ﴿ وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴿٤١﴾ ﴾[50] وقال تعالى في آية أخرى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ﴾[51] وقوله تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ ﴾[52].

---

(45) الخالدي، صلاح عبدالفتاح، الشخصية اليهودية من خلال القرآن، ط 11، دمشق، دار القلم، 1407هـ، ص 255.

(46) آل عمران آية: 113 - 115.

(47) يراجع: تفسير القرآن العظيم، صحح بإشراف خليل الميس، ط 2، بيروت، دار القلم، ج1، ص 342.

(48) الشورى آية: 14.

(49) البقرة آية: 109.

(50) البقرة آية: 41.

(51) البقرة آية: 91.

(52) آل عمران آية: 70 - 71.

رابعاً: رؤيتهم لاتحاد الأوس والخزرج في ظل الإسلام حيث اجتمعت كلمتهم بعد أن كانوا متفرقين، فأحزنهم ذلك وضايقهم وفجر أحقادهم[53].

خامساً: قوة الوحي القرآني وصدقه في مقابل ضعف التوراة المحرفة التي كتبوها بأيديهم وقالوا هذا كلام الله، وشرعوا الشرائع من عندهم ثم قالوا: هذا شرع الله قال تعالى: ﴿ ۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾[54].

سادساً: اختلاف المفاهيم العقدية بين الإسلام واليهودية المحرفة فكانت عقيدتهم نتاجاً يهودياً، وليست ديناً ربانياً، دينهم وعقيدتهم لهم، وهو فضل لهم يجب أن لا ينال «حتى الإله في النظرة اليهودية إله خاص ببني إسرائيل، لا يحب إلا هذا الشعب، ولا ينزل نعمته ورحمته إلا عليه، ولا يكتب نصره وتوفيقه إلا له، ومن أجله خلق الكون، ولأجله خلق الأرض، ولخدمته خلق الناس أجمعين»[55] وفي ذلك قال الحاخام أباريانيل اليهودي: « خلق الله الأجنبي على هيئة الإنسان ليكون لائقاً لخدمة اليهود الذين خلقت الدنيا لأجلهم ....»[56].

والأصل أن الديانات السماوية مصدرها الله، وأن دين محمد ﷺ وما نزل على موسى عليه السلام لا يختلفان، وقد بين الله - عز وجل- أن لكل أمة من الأمم شريعتها ومنهاجها وإن اتحد الأصل، قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾[57] على أي حال هذه العوامل التي أشرنا إليها ساعدت على زيادة نشاط الجدل والمعارضة الفكرية عند اليهود ضد الإسلام والنبي ﷺ.

المبحث الثاني: صور وأساليب المعارضة الفكرية:

أولاً: إثارة بعض الشبهات والتشكيك في صدق نبوته ﷺ:

مر بنا أن اليهود كانوا يعلمون يقيناً بمبعث النبي ﷺ قبل أن يهاجر إلى المدينة، ولكن أكثريتهم، لاسيما من الأحبار، لم يعيروا هذا الأمر اهتمامهم - وكأنه لا يعنيهم - لأنهم عرفوا أنه ليس من قومهم بني إسرائيل، وإنما هو من أبناء عمومتهم بني إسماعيل عليه السلام من العرب.

ولذلك عندما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة، عمل على دعوتهم كغيرهم من الناس إلى الدخول في الدين الجديد إلا أن غالبيتهم على الرغم من علمهم الأكيد بصدق نبوته إلا أنهم لم يستجيبوا لدعوته ﷺ فقال تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ ﴾[58].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾[59].

ولم يكتف اليهود بهذا الموقف الرافض للدعوة، بل أخذوا في التشكيك في صدق نبوته عن طريق إثارة بعض الشبهات منها:

(53) ابن هشام، السيرة النبوية، ج 2، ص ص 146 - 147.

(54) البقرة آية: 75.

(55) الخالدي، صلاح، الشخصية اليهودية، ص 133.

(56) يراجع للمزيد: روهلنج، الكنز المرصود في قواعد التلمود، = ترجمة: يوسف نصر الله، ط 1، دار القلم، ص 75.

(57) المائدة آية: 48.

(58) المائدة آية: 19.

(59) البقرة آية: 101.

1- الزعم بأن محمداً ليس هو النبي المنتظر.

وقد ورد في ذلك روايات كثيرة منها: ما رواه ابن إسحاق عن ابن عباس قال: إن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل مبعثه، فلما بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه، فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور أخو بني سلمة: يا معشر يهود، اتقوا الله وأسلموا، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن أهل شرك، وتخبروننا أنه مبعوث، وتصفونه لنا بصفته، فقال سلام بن مشكم أحد بني النضير: ما جاءنا بشيء نعرفه، وما هو بالذي كنا نذكره لكم[60] فأنزل الله في ذلك قوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾[61].

كما ورد أن اليهود أتوا إلى النبي ﷺ وقالوا: يا محمد ما جئتنا بشيء نعرفه وما أنزل الله عليك من آية فنتبعك بها[62]، فأنزل الله قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿٩٩﴾﴾[63] وقد جاء في إسلام الحصين بن سلام وهو من كبار أحبار اليهود سماه النبي ﷺ بعد إسلامه عبدالله بن سلام قال للنبي ﷺ قد علمت أني من علمائهم، وأن أبي كان من علمائهم، إني أشهد أنك رسول الله، وأنهم يجدونك مكتوباً عندهم في التوراة، فأرسل إلى فلان وفلان ومن سماه من اليهود، وخبئني في بيتك، وسلهم عني وعن أبي، فخبأه في بيته، وأرسل إليهم فدخلوا عليه فقال لهم ﷺ ما الحصين فيكم؟ قالوا: خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، حبرا وعالمنا، قال ﷺ : أرأيتم إن أسلم تسلموا؟ قالوا: أعاذه الله من ذلك، فدعاه النبي فخرج ثم قال: أشهد أنك رسول الله، وأنهم يجدونك مكتوباً عندهم في التوراة، وأنك تبعث بالهدى ودين الحق، فقالوا: إنه شرنا وابن شرنا، وأخذوا ينتقصونه وخرجوا كفاراً[64] فأنزل الله قوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾﴾[65].

قد كانت شهادة عبدالله بن سلام وهو من علمائهم وحبر من أحبارهم أوضح الأدلة على صدق نبوته ﷺ ، ولكن اليهود عموا وصموا وقالوا للنبي ﷺ: إن أفئدتنا مغلفة فلا تصل إليها دعوتك فحقت عليهم لعنة الله - جزاء كفرهم- [66] قال تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾[67].

2- الزعم بأنه لم يرد للنبي ﷺ ذكر في كتبهم.

من الشبهات التي أثارها اليهود أن أحبارهم كانوا يكتبون أشياء مغلوطة من عندهم يغيرون فيها ما ذكر عن النبي ﷺ ويدعون أنها في كتابهم التوراة، يريدون بذلك عرض الدنيا، ولصد الناس عن قبول دعوته ﷺ وقد كشف الله هذا الزيف بقوله: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾[68].

---

(60) ابن هشام، السيرة النبوية، ج 2، ص 140.

(61) البقرة آية : 89.

(62) يراجع: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 1، ص 119.

(63) البقرة آية: 99.

(64) ابن هشام، السيرة النبوية، ج 2، ص 118.

(65) الأحقاف آية: 10.

(66) يراجع: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 1، ص 111.

(67) البقرة آية: 88.

(68) البقرة آية : 78 - 79.

وعندما ذكر لهم النبي ﷺ ما أخذ الله عليهم له من الميثاق وما عهد الله إليهم فيه أنكروا ذلك وقالوا: والله ما عهد إلينا في محمد عهد، وما أخذله علينا من ميثاق، فأنزل الله فيه : ﴿ أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾(69).

قال اليهود بعد ذلك للنبي ﷺ ما جئتنا بشيء نعرفه، وما أنزل الله عليك من آية فنتبعك لها، وجاء الرد على هذه الشبهة التي أثارها اليهود من الله - عز وجل- في كتابه قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴾(70).

3- مطالبتهم أن ينزل النبي ﷺ عليهم كتاباً من السماء:

فقد ذهب جماعة منهم، وفي مقدمتهم رافع بن حريملة ووهيب بن زيد إلى النبي ﷺ وقالوا له: نريد أن تنزل علينا كتاباً من السماء كما نزلت التوراة على موسى، نريد صحفاً من الله مكتوبة إلى فلان وفلان بتصديقه فيما جاءهم به، وهذا إنما قالوه على سبيل التعنت والعناد والكفر والإلحاد فقال الله لنبيه: لقد سألوا موسى شيئاً أكثر من ذلك حيث طلبوا رؤية الله جهرة(71) قال تعالى : ﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴾(72).

4- الزعم بأن الله أمرهم في التوراة ألا يؤمنوا برسول حتى يأتيهم بقربان تأكله النار:

تشير الروايات إلى أن اليهود أتوا إلى النبي ﷺ فقالوا: يا محمد، تزعم أن الله بعثك إلينا رسولاً، وأنزل عليك كتاباً، وإن الله عهد إلينا في التوراة ألا نؤمن لرسول حتى يأتي بقربان، يقدمه لله، فإن قبل جاءت نار فأحرقته، وإلا بقي مكانه فافعل ذلك حتى نتبعك، وإلا فلا(73) فرد الله - عز وجل- على هذه الشبه بقوله: ﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾(74).

كما طلبوا من النبي ﷺ أن يخاطبهم الله مباشرة ليشهد بصدق نبوته ﷺ فأنزل الله في ذلك قوله: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾(75).

فهذا الطلب اليهودي وهو أن (يكلمهم الله مباشرة) ليس الهدف منه البحث عن الحقيقة وهي صدق نبوته - عليه الصلاة والسلام- لإتباعه، وإنما الهدف هو المعاندة، ومحاولة إحراج النبي ﷺ والتشكيك في صحة نبوته - عليه الصلاة والسلام - .

ويمتد الحوار الفكري بين النبي ﷺ واليهود من خلال الأسئلة المتكررة التي كانوا يوجونها إليه، أملاً في عدم جوابه لإظهاره أمام الناس بمظهر العاجز عن إجابة مطالبهم ومن ذلك:

5- سؤالهم عن علامة النبي:

فعن عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما -

(69) البقرة آية: 100.

(70) البقرة آية : 99.

(71) يراجع ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 1، ص 491.

(72) النساء آية: 153.

(73) يراجع: الشوكاني، محمد بن علي (ت 1250هـ)، فتح القدير، ط 1، بيروت، دار الفكر، 1403هـ، ج 1، ص ص 406 - 407.

(74) آل عمران آية: 183.

(75) البقرة آية: 118.

قال: «أقبلت يهود إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم، أخبرنا عن علامة النبي، قال: تنام عينه ولا ينام قلبه»[76] ثم قالوا: فأخبرنا عما حرم إسرائيل على نفسه، قال: أنشدكم بالله وبأيامه عند بني إسرائيل، هل تعلمون أنه كان أحب الطعام والشراب إليه ألبان الإبل ولحومها، وأنه اشتكى شكوى، فعافاه الله منها، فحرم على نفسه أحب الطعام إليه شكراً لله، فحرم على نفسه لحوم الإبل وألبانها؟ قالوا: اللهم نعم[77].

6- ومن الأسئلة التي وجهها اليهود إلى الرسول ﷺ سؤالهم عن الروح:

ويلاحظ اختلاف المصادر في بيان المقصود بالروح هنا، فعند ابن هشام في السيرة « قالوا: فأخبرنا عن الروح، قال: أنشدكم بالله وبأيامه عند بني إسرائيل، هل تعلمونه جبريل، وهو الذي يأتيني؟ قالوا: اللهم نعم، ولكنه يا محمد لنا عدو، وهو ملك، إنما يأتي بالشدة وبسفك الدماء ولولا ذلك لاتبعناك، قال: فأنزل الله - عز وجل- فيهم[78]: ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾[79].

وجاء عند البخاري عن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه- قال: « بينما أنا مع النبي ﷺ في حرث وهو متكئ على عسيب، إذ مر اليهود، فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، فسألوه عن الروح، فأمسك النبي ﷺ فلم يرد عليهم شيئاً، فعلمت أنه يوحى إليه، فقمت مقامي، فلما نزل الوحي[80] قال: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾[81].

وهذا السياق يقتضي أن هذه الآية الكريمة (مدنية) مع أنها (مكية) لأنها نزلت جواباً عن سؤال كفار قريش الذين استشاروا اليهود في معرفة صدق الرسول ﷺ ، وقد أجاب الإمام ابن كثير - رحمه الله- عن ذلك بقوله: « وقد تكون نزلت عليه بالمدينة مرة ثانية كما نزلت عليه بمكة قبل ذلك، أو أنه نزل عليه الوحي بأن يجيبهم عما سألوه بالآية المتقدم إنزالها عليه وهي: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾[82].

وقد احتج اليهود على ما جاء في آخر الآية الكريمة السابقة: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ بسعة علمهم الذي تحويه التوراة، فعن عطاء بن يسار - رحمه الله تعالى - قال: « لما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة أتاه أحبار يهود، فقالوا: يا محمد، ألم يبلغنا أنك تقول: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ أفتعنينا أم قومك؟ قال: كلا قد عنيتكم، قالوا: فإنك تتلوا أنا قد أوتينا التوراة وفيها تبيان كل شيء، فقال رسول الله ﷺ هي في علم الله قليل، وقد أتاكم ما إن عملتم به انتفعتم »[83] فأنزل الله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾[84].

(76) الإمام أحمد بن حنبل (ت 241هـ)، المسند، ط 1، بيروت، المكتب الإسلامي، ج 4، ص 161، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم، ج 1، ص ص 114 - 115.

(77) ابن هشام، السيرة النبوية، ج 2، ص 137.

(78) ابن هشام، المصدر نفسه، ص 137.

(79) البقرة آية : 98 - 100.

(80) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب (ويسألونك عن الروح) رقم الحديث (4721).

(81) الإسراء آية: 85.

(82) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم، ج 3، ص 55.

(83) الطبري، مرجع سابق، ج 15، ص 157.

(84) لقمان آية: 27.

فالروح مما استأثر الله تعالى بعلمه دون خلقه، أما من أطلعهم عليه من علم كالتوراة فهو في علم الله قليل، حيث يقول عن نفسه سبحانه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾[85].

وعن أبي بن كعب - رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: قال موسى للخضر - عليهما السلام- : « أَتَيْتُكَ لِتُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَنِيهِ اللَّهُ لا تَعْلَمُهُ وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَكَهُ اللَّهُ لا أَعْلَمُهُ فلما ركبا في السفينة جاء عصفور، فوقع على حرف السفينة فَنَقَرَ فِي الْبَحْرِ نَقْرَةً أَوْ نَقْرَتَيْنِ قَالَ لَهُ الْخَضِرُ يَا مُوسَى مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلاَّ مِثْلَ مَا نَقَصَ هَذَا الْعُصْفُورُ بِمِنْقَارِهِ مِنَ الْبَحْرِ »[86].

7- ومن الأسئلة التي وجهها اليهود إلى الرسول ﷺ سؤالهم عن ذي القرنين:

فعن ابن إسحاق - رحمه الله - قال: «جاء حيي ابن أخطب وكعب بن أسد وأبو رافع وأشيع وشمويل ابن زيد، إلى رسول الله ﷺ، فسألوه عن ذي القرنين»[87] فقال الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ۝ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ۝ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ۝ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ۝﴾[88].

8- ومن الأسئلة التعنتية التي وجهها اليهود إلى الرسول ﷺ سؤالهم عن ذكورة الولد وأنوثته:

فعن ثوبان - رضي الله عنه- قال: « كنت قائماً عند رسول الله ﷺ فجاء حبر من أحبار اليهود، فقال: السلام عليكم يا محمد! جئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان، قال: ينفعك إن حدثتك؟ قال: أسمع بأذني، قال: جئت أسألك عن الولد، قال: ماء الرجل أبيض، وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا، علا مني الرجل مني المرأة ذكراً بإذن الله، وإذا علا مني المرأة مني الرجل آنثا بإذن الله، قال اليهودي: قد صدقت، وإنك لنبي ثم انصرف فذهب »[89].

9- ومن الأسئلة التعنتية، سؤالهم عن الرعد:

فعن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما- قال: « أقبلت يهود إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: يا أبا القاسم، أخبرنا ما هذا الرعد؟ قال: ملك من ملائكة الله - عز وجل- موكل بالسحاب بيده أو في يده مخراق من نار يزجر به السحاب، يسوقه حيث أمر الله، قالوا: فما هذا الصوت الذي يسمع؟ قال: صوته. قالوا: صدقت»[90].

10- سؤالهم وجدلهم في اليوم الآخر:

جادل جماعة من اليهود النبي ﷺ عن اليوم الآخر وقيام الساعة، فقالوا: يا محمد أخبرنا متى تقوم الساعة إن كنت نبياً كما تقول،[91] فجاء الرد على هذا التساؤل من الله - عز وجل - قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝﴾[92].

(85) البقرة آية: 255.

(86) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام، رقم الحديث (3401).

(87) ابن هشام، مرجع سابق، ج 2، ص 157.

(88) الكهف آية: 83 - 86.

(89) يراجع: مسند الإمام أحمد، ج 1، ص 274، وأخرجه مسلم = في صحيحه، كتاب الطهارة، باب صفة مني الرجل والمرأة، رقم الحديث (34 - 315).

(90) يراجع: مسند الإمام أحمد، ج 1، ص 274 رقم الحديث (2483).

(91) ابن هشام، السيرة النبوية، ج 2، ص 156.

(92) الأعراف آية: 187.

ثانياً: ومن الأساليب التزيد والافتراء ومحاولة فتنة النبي ﷺ وصده عن الدعوة.

روى ابن إسحاق في السيرة عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال كعب بن أسيد، وعبد الله بن صوريا، وشاس بن قيس: اذهبوا بنا إلى محمد لعلنا نفتنه عن دينه، فجاءوه فقالوا: يا محمد: إنك قد عرفت أنّا أحبار يهود وأشرافهم وساداتهم وأنّا إن اتبعناك اتبعنا يهود ولم يخالفونا، وإن بيننا وبين قومنا خصومة، فنحاكمهم إليك فتقضي لنا عليهم ونؤمن بك، فأبى ذلك ﷺ، وأنزل الله فيهم: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾[93] أي فإن أعرضوا عما جئت به من الهدى، ورأيت أنا لم نهلكهم، فاعلم أن الله يريد أن يعاقبهم ببعض ذنوبهم في الدنيا، وسيعاقبهم على بقيتها في الدار الآخرة ثم ويخهم الله - عز وجل - حيث أرادوا حكم الجاهلية - من المداهنة والميل - وعدلوا عن حكم الله، وهو أحسن الحاكمين[94]: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[95].

ومن إرجاف اليهود محاولتهم البائسة في صد المسلمين عن البذل والنفقة في سبيل الله.

تشير المصادر التي بين أيدينا إلى أن جماعة من اليهود كانوا يأتون إلى بعض المسلمين من الأنصار كانوا يخالطونهم، ينتصحون لهم من أصحاب رسول الله ﷺ فيقولون لهم: لا تنفقوا أموالكم فإن نخشى عليكم الفقر في ذهابها، ولا تسارعوا في النفقة فإنكم لا تدرون علام يكون[96]، فأنزل الله فيهم رداً على هذه الشبهة قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ ﴾[97].

ولم يتورع اليهود في مجادلة النبي ﷺ لصرف الناس عنه، فهذا رفاعة بن زيد التابوت، الذي كان معدودا من علماء اليهود وأحبارهم يكلم رسول الله ﷺ فيلوي لسانه ويقول: أرعنا سمعك يا محمد حتى نفهمك، ثم يطعن في الإسلام، ويدعو على الرسول بعدم السماع - إما لصمم أو لموت - ويقول له: راعنا من الرعونة[98] فيقول الله - عز وجل - : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾ ﴾[99].

وعلم الله المؤمنين الا يقولوا مثل هؤلاء: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ ﴾[100].

كما كان اليهود وأذيالهم من المنافقين إذا قدموا على النبي قالوا له: السام عليك يا محمد، والسام هو

---

(93) المائدة آية: 49.

(94) يراجع: ابن هشام، السيرة النبوية، ج 2، ص 154، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 2، ص ص 60 - 61.

(95) المائدة آية: 50.

(96) يراجع: ابن هشام، السيرة النبوية، ج 2، ص 149.

(97) النساء آية: 37 - 39.

(98) ابن هشام، السيرة النبوية، ج 2، ص 150.

(99) النساء آية: 44 - 46.

(100) البقرة آية: 104، يراجع: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 1، ص ص 435 - 436.

الموت والهلاك، وكان عليه السلام يسمع حقيقة ما يقولون، فيرد عليهم بقوله: (وعليكم).

ومرة سمعتهم عائشة - رضي الله عنها - فغضبت وقالت: بل عليكم السام واللعنة، فلم يرض ﷺ أن تستعمل ألفاظاً مثل ألفاظهم، وأراد لها أدب الخطاب حتى مع السفهاء والأعداء فقال لها: (مهلاً يا عائشة، إن الله يكره فاحش الكلام، بل قولي لهم مثلما قلت: (وعليكم) واسكتي[101].

وكانوا أيضاً يتناجون بما يؤذي المؤمنين، فكان المسلم إذا قرب منهم سكتوا، وفي ذلك من الريب والشك ما يحزن المؤمنين، فنهاهم الرسول عن المناجاة بالإثم، وكانوا يقولون: لو أن محمداً رسول حقاً، فلم لا يعذبنا الله بدعائنا عليه فنزل قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[102].

ثالثاً: ومن الأساليب أيضاً حوار اليهود وجدلهم في القرآن الكريم:

1- الزعم بأن الله لم ينزل كتاباً على بشر بعد موسى عليه السلام:

فيرد الله عليهم بأنه أوحى إلى محمد كما أوحى إلى نوح والنبيين من بعده[103] قال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ۚ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾[104].

دعاهم النبي ﷺ بعد ذلك إلى الإيمان بالقرآن، قالوا: لا نؤمن إلا بالتوراة، ونكفر بما عداها - مع يقينهم وعلمهم بأن القرآن الكريم حق مصدق لما جاء في التوراة - وقد بين الله - عز وجل - عنادهم وجدلهم في الحق، هل من إيمانكم بالتوراة قتل الأنبياء - الذين حرم الله قتلهم وأمركم باتباعهم؟ وهل من الإيمان عبادة العجل، ورفض ما جاء به موسى ؟ قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ۞ وَلَقَدْ جَاءَكُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا ۖ قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾[105].

كما قال الله تعالى في موضع آخر ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ

(101) يراجع: ابن كثير، المصدر السابق، ج 4، ص 283، وأخرجه البخاري في صحيحه كتاب الاستئذان، باب كيف يرد على أهل الذمة في الإسلام، رقم الحديث (6256).

(102) المجادلة آية: 8 - 10.

(103) يراجع: ابن هشام، السيرة النبوية، ج 2، ص 151، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 1، ص 502.

(104) النساء آية: 163 - 165.

(105) البقرة آية: 91 - 93.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝١٦٥ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ۝١٦٦﴾[106].

2- إنكارهم: أن يكون القرآن الكريم حقاً:

ينكر اليهود أن يكون (القرآن الكريم) حقاً من عند الله تعالى، فعن عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما- قال: « كلم رسول الله ﷺ رؤساء من أحبار يهود، منهم عبدالله بن صوريا، وكعب بن أسد، فقال لهم: يا معشر يهود، اتقوا الله وأسلموا، فوالله إنكم لتعلمون أن الذي جئتكم به لحق، فقالوا: ما نعرف ذلك يا محمد وجحدوا ما عرفوا، وأصروا على الكفر »[107] فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ۝٤٧﴾[108].

وهذه الآية الكريمة تتضمن تهديداً لليهود إن هم استمروا على كفرهم بكتاب الله تعالى (القرآن الكريم) الذي هو مصدق لما معهم من التوراة، بعقوبة طمس وجوههم، إما بمحو آثارها، فلا يبقى لها آذاناً ولا أعيناً ولا أنوفاً، ومع ذلك نجعلها من قبل أقفيتهم، فيمشون القهقرى على أدبارهم.

وإما بمحو آثارها من ناحية الحجاز التي هم بها، فنردها على أدبارها إلى ناحية الشام التي جاءوا منها، وإما بعقوبة طمسهم قردة، كما مسخ أسلافهم حين اعتدوا بالعمل يوم السبت الذي يحرم العمل عليهم فيه[109]. حيث يقول سبحانه: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ۝١٦٣ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝١٦٤ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ۝١٦٥ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ۝١٦٦﴾[110].

3- إنكارهم أن يكون القرآن الكريم متسقاً:

ينكر اليهود أن يكون القرآن الكريم متسقاً، كما تتسق التوراة، تشير كتب السيرة إلى أن جماعة من اليهود جاءوا إلى النبي ﷺ وهم محمود بن سيحان، ونعمان بن أضاء، وبحري بن عمرو، وعزيز بن أبي عزيز، وسلام بن مشكم، فقالوا: أخبرنا يا محمد بهذا الذي جئتنا به أحق من عند الله - عز وجل- ، فإنا لا نراه متسقاً كما تتسق التوراة، فقال لهم رسول الله ﷺ: أما والله إنكم لتعرفون أنه من عند الله تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة، ولو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله ما جاءوا به، فقالوا: يا محمد أما يعلمك هذا إنس ولا جان؟ فقال رسول الله ﷺ: أما والله إنكم لتعلمون أنه من عند الله تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة والإنجيل، فقالوا: يا محمد، إن الله يصنع لرسوله إذا بعثه ما شاء، ويقدر منه على ما أراد، فأنزل علينا كتاباً نقرؤه ونعرفه، وإلا جئناك بمثل ما تأتي به»[111] فأنزل الله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ۝٨٨﴾[112].

فسؤال اليهود للرسول ﷺ: « أخبرنا يا محمد بهذا الذي جئتنا به أحق من عند الله - عز وجل- »؟! سؤال ظاهر في التعنت، أفينتظرون من الرسول ﷺ أن

(106) النساء آية: 165 - 166.
(107) ابن هشام، المصدر السابق، ج 2، ص 150.
(108) النساء آية: 47.
(109) الطبري، مصدر سابق، ج 5، ص 121.
(110) الأعراف آية: 163 - 166.
(111) ابن هشام، السيرة النبوية، ج 2، ص 157.
(112) الإسراء آية: 88.

يقول لهم: إن هذا القرآن ليس حقاً من عند الله - عز وجل- ، وإنما هو من كلامي؟! وهو يعلن على الملأ أنه رسول الله، وأن هذا القرآن كتاب الله[113].

وأما قولهم: «فإنا لا نراه متسقاً كما تتسق التوراة» فهو مكابرة عنيدة، لا ترافقها شبهة فضلاً عن أن تدعمها حجة، ذلك أن القرآن الكريم قد بلغ قمة الإعجاز في اتساق أسلوبه، وبلاغة عبارته، وروعة بيانه، بحيث لا يدانيه فيها أي كتاب من الكتب السماوية الأخرى، فقد شهد بذلك جميع الفصحاء والبلغاء، وأكد عجز أعدائه عن معارضته، بعد التحدي الجازم الذي ما فتئ الرسول يعلنه ويكرره»[114].

ولذلك لم يجد الرسول ﷺ ما يجيبهم به إلا أن يقول لهم: « أما والله إنكم لتعلمون أنه من عند الله تجدونه مكتوباً عندكم، ولو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله ما جاءوا به» . فلما عجزوا عن معارضة القرآن الكريم حاولوا أن يسلكوا مسلكاً آخر للطعن فيه، فنسبوه إلى غير الله تعالى، حيث قالوا: « يا محمد، أما يعلمك هذا إنس ولا جان؟»!

فأجابهم الرسول ﷺ الجواب السابق نفسه، حيث قال: «أما والله إنكم لتعلمون أنه من عند الله تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة والإنجيل».

وهكذا لم يجد الرسول ﷺ في مقابلة إصرارهم على الزوغان عن الحقيقة الناصعة التي يعرفون جواباً لسؤالهم إلا أن يصر على موقفه السابق منهم[115].

رابعاً: زعمهم وادعاؤهم أنهم على الحق والهدى:

زعم اليهود أنهم على حق، وأن كل من سواهم على باطل، وأنهم هم وحدهم على الهدى، وأن كل من سواهم على ضلال، لذا دعوا الآخرين أن يكونوا على ملتهم، ويهتدوا بهداهم إن أرادوا التقرب من ربهم ونيل رضوانه وجنته. فعن ابن عباس - رضي الله عنهما- قال: قال عبد الله بن صوريا الأعور لرسول الله ﷺ : ما الهدى إلا ما نحن عليه، فاتبعنا يا محمد تهتدِ، وقالت النصارى: مثل ذلك »[116]! فأنزل الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ ﴾[117].

وقد رد الله على اليهود دعواهم الباطلة هذه بأن الهدى في اتباع سبيلهم، بما جاء في الآية الكريمة السابقة مباشرة، حيث يقول سبحانه: ﴿ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ أي: قل يا محمد، لهؤلاء اليهود والنصارى: ليس الهدى في أن نتبع ملتكم، بل الهدى في أن نتبع ملة إبراهيم المستقيم على دين الوحدانية الإسلام البريء من كل دين يخالفها، سواء أكانت اليهودية أم النصرانية أم غيرهما.

ثم أرشد الله تعالى عباده المؤمنين في الآية الكريمة التالية مباشرة إلى جواب جامع، يدعو إلى إتباع الوحي الإلهي، الذي جاء به جميع المرسلين - عليهم السلام - دون تفريق بين أحد منهم حيث يقول سبحانه: ﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾[118].

ثم بين الله تعالى في الآية الكريمة التالية مباشرة أن اليهود والنصارى وغيرهم إن آمنوا بما دعوتموهم إليه فقد أصابوا الهدى، وإن أعرضوا عنه فهم معاندون مستكبرون، ولن يضروكم شيئاً، لأن الله

(113) الميداني، عبد الرحمن حسن، مكايد يهودية عبر التاريخ، ط 1، دمشق، دار القلم، 1398هـ، ص 64.

(114) الميداني، المرجع نفسه، ص 63.

(115) المرجع نفسه، ص 64.

(116) يراجع: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 1، ص 164.

(117) البقرة آية: 135.

(118) البقرة آية: 136.

تعالى ينصركم عليهم حيث يقول سبحانه: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾[119].

ثم وضح الله تعالى في الآية الكريمة التالية مباشرة أن دين الإسلام أولى من غيره بالاتباع، حيث يقول سبحانه: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَـٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾[120].

خامساً : القدح في الذات الإلهية:

ولعل من الدعاوى الباطلة محاولة اليهود الطعن في ذات الله - عز وجل - حتى يزعزعوا عقيدة المسلمين ليصرفوهم عن دينهم.

فقد أتى رهط من يهود إلى الرسول ﷺ فقالوا: يا محمد، هذا الله خلق الخلق، فمن خلق الله؟ فغضب رسول الله ﷺ فجاءه جبريل عليه السلام فسكنه، فقال: خفض عليك يا محمد، وجاءه من الله بجواب ما سألوه عنه[121] ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾[122].

ولم يقف التعنت اليهودي عند هذا الحد بل قالوا: فصف لنا يا محمد كيف خَلْقُه؟ كيف ذراعه؟ كيف عضده؟ فغضب رسول الله ﷺ أشد من غضبه الأول، فأتاه جبريل عليه السلام فقال له مثل ما قال له أول مرة، وجاءه من الله بجواب ما سألوه[123] قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾[124].

ولم ينفك اليهود يسيئون للنبي ﷺ ويؤذونه بما يثيرونه من أباطيل في ذات الله - عز وجل - ، فورد في السيرة أن أبا بكر الصديق - رضي الله عنه - قال لأحد أحبار اليهود يقال له فنحاص: ويحك يا فنحاص اتق الله وأسلم، فوالله إنك لتعلم أن محمداً رسول من عند الله، قد جاءكم بالحق تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة والإنجيل، فقال فنحاص: والله يا أبا بكر، ما بنا إلى الله من حاجة، وإنه إلينا لفقير، ما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا وإنا عنه لأغنياء، ولو كان عنا غنياً ما استقرضنا كما يزعم صاحبك، ينهاكم عن الربا ويعطيناه، ولو كان غنياً ما أعطانا الربا، يشير بذلك إلى قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَـٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾[125] فغضب أبو بكر - رضي الله عنه - وضرب وجه فنحاص ضرباً شديداً وقال: والذي نفسي بيده، لولا العهد الذي بيننا وبينكم لضربت عنقك يا عدو الله.

فذهب فنحاص إلى الرسول ﷺ وقال له: يا محمد أبصر ما صنع بي صاحبك، فقال الرسول ﷺ : «ما حملك على ما صنعت يا أبا بكر؟» فقص عليه ما كان، وقال: لقد غضبت لله مما قال، فضربت وجهه فجحد فنحاص ذلك، فأنزل الله قوله : ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾﴾[126].

ثم أشارت الآية إلى موقف أبي بكر والمسلمين من ذلك قال تعالى: ﴿۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن

(119) البقرة آية: 137.

(120) البقرة آية: 138.

(121) ابن هشام السيرة النبوية، ج 2، ص 157.

(122) الإخلاص آية: 1 - 4.

(123) ابن هشام، المصدر نفسه، ص 158.

(124) الزمر آية: 67.

(125) البقرة آية: 245.

(126) آل عمران آية : 181.

قَبۡلِكُمۡ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗاۚ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ ﴾[127].

ولما ضيق الله عليهم - جزاء كفرهم- وصفوه بالبخل الشديد في أقبح عبارة، فقد طلب رسول الله منهم العون المالي حسب العهد الذي بينهم، فاعتذروا عن شحهم بهذا القول الفاحش الذي لم يقله غيرهم، قال شاس بن قيس، وفنحاص وغيرهما: إن يد الله مغلولة، وقد بخل علينا فمن أين نجد ما ننفقه؟ فرد الله عليهم ولعنهم، وبين لرسوله أن ما ينزل من القرآن سيزيد اليهود طغياناً وكفراً، وإن اليهود سيلقي الله بينهم العداوة ومهما عملوا من فتن فإن الله سيبطلها، وهم سيكونون - ما عاشوا - ساعين للفساد والله لا يحبهم [128] ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۚ وَأَلۡقَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾[129].

وقد بين الله - عز وجل- في كتابه أن اليهود والمشركين أشد الناس عداوة للمؤمنين ﴿ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ ﴾[130] كما أن هؤلاء اليهود لا يدخرون وسعا في سبيل إفساد المسلمين في أي زمان ومكان، وإن المؤمنين ليرون البغض في أفواه اليهود، ولكن ما في قلوبهم أكبر، وإن المؤمنين يحبونهم، وهم لا يحبون المؤمنين، ويؤمنون بالقرآن والتوراة وهم يتظاهرون بالإيمان، ولكن إذا خلوا إلى أنفسهم عضوا الأنامل من الغيظ، ثم دعا الله على بني إسرائيل بأن يموتوا بغيظهم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ ﴾[131].

سادساً: زعمهم وادعاؤهم أنهم أبناء الله وأحباؤه:

حاول اليهود أن يسلكوا طريقاً آخر لمواجهة الدعوة وهو الافتراء على الله تعالى بقولهم: نحن أبناء الله وأحباؤه.

« أتى رسول الله ﷺ نعمان بن أضا وبحري بن عمرو وشاس بن عدي، فكلموه، فكلمهم رسول الله ﷺ ودعاهم إلى الله، وحذرهم نقمته، فقالوا: ما تخوفنا يا محمد، نحن والله أبناء الله وأحباؤه »[132] فأنزل الله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾[133].

كما أن النبي ﷺ تحدى اليهود إن كانوا صادقين في زعمهم أنهم أولياء لله من دون سائر البشر أن يتمنوا به الموت، فقد قال الله سبحانه فيهم: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ أَوۡلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوۡنَهُۥٓ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ قُلۡ إِنَّ ٱلۡمَوۡتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنۡهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمۡۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾[134].

---

(127) آل عمران آية: 186، يراجع: ابن هشام، السيرة النبوية، ج 2، ص ص 148 - 149.

(128) يراجع: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 2، ص ص 67 - 68.

(129) المائدة آية: 64.

(130) المائدة آية: 82.

(131) آل عمران آية: 118 - 119.

(132) يراجع: ابن هشام، السيرة النبوية، ج 2، ص 152.

(133) المائدة آية: 18.

(134) الجمعة آية: 6 - 8.

كما زعم اليهود أنهم لا يعذبون في النار إلا أياماً معدودة:

على الرغم من الجرائم والفظائع التي ارتكبها اليهود إلا أنهم كانوا يستهينون بها زعماً منهم أن الله لن يعذبهم عذاباً طويلاً مستمراً دائماً وإنما هي أيام معدودة أو معدودات ويدخلون الجنة بعدها.

فعن ابن عباس قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة واليهود تقول: إنما مدة الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنما يعذب الله الناس في النار بكل ألف سنة من أيام الدنيا يوماً واحداً في النار من أيام الآخرة، وإنما هي سبعة أيام ثم ينقطع العذاب.

فأنزل الله في ذلك من قولهم[135]: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ ﴾[136].

كما سجل القرآن الكريم هذا الزعم اليهودي الباطل في موضع آخر حيث قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[137].

حتى الجنة التي أعدها الله لعباده المؤمنين المتقين لم تسلم من هؤلاء اليهود الأرجاس، فقد جعلوها وقفاً على اليهود فقط، وحكراً عليهم من دون الناس، وقد أبطل الله سبحانه وتعالى هذا الزعم ونقضه قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾[138].

سابعاً: استخدام الشعر في التحريض على المسلمين وضرب وحدتهم الداخلية:

كان كعب بن الأشرف اليهودي من الشعراء، وقد غاظه انتصار المسلمين ببدر، فسافر إلى مكة ليواسي المشركين في قتلاهم ويحرضهم على أخذ الثأر، ويهجو النبي ﷺ وعندما سأله أبو سفيان قائلاً: «أناشدك الله أديننا أحب إلى الله أم دين محمد وأصحابه؟ وأينا أهدى إلى ربك وأقرب إلى الحق؟ قال كعب: أنتم أهدى منهم سبيلاً، فأنزل الله على رسوله ﷺ ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾ ﴾[139].

وعندما عاد إلى المدينة أخذ يقرض الشعر مشبباً بنساء المسلمين، فأهدر النبي ﷺ دم، وتصدى للقضاء عليه وقتله محمد بن مسلمة وأبو نائلة[140].

كما حاول اليهود إذكاء الفتنة بين الأوس والخزرج عندما دسوا شاباً يهودياً ينشد الشعر في يوم بعاث، وحمل كل فريق السلاح وخرجوا للقتال، وعلم بذلك الرسول ﷺ فهب مسرعاً فيمن معه من أصحابه حتى جاءهم وقال: يا معشر المسلمين، «الله الله، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم، بعد أن هداكم

(135) ابن هشام، السيرة النبوية، ج 2، ص 134.
(136) البقرة آية: 79 - 81.
(137) آل عمران آية: 23 - 24.
(138) البقرة آية: 111 - 112.
(139) النساء آية: 51.
(140) يراجع: البخاري، كتاب المغازي، باب قتل كعب بن الأشرف، رقم الحديث (4037) مهدي رزق الله أحمد، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ط 1، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، 1412هـ، ص ص 373 - 374.

الله للإسلام، وأكرمكم به، وقطع به عنكم أمر الجاهلية؟» فعرف القوم أنها نزعة شيطان، فألقوا السلاح وتعانقوا، وعادوا مع الرسول طائعين مطيعين[141].

فأنزل الله في شأن هذا اليهودي وفيمن تخاصموا من الأوس والخزرج ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾[142].

وهكذا فشلت محاولة اليهود التي دبروها للإيقاع بين المسلمين، ولكن شدة كراهيتهم للمسلمين وشدة حسدهم للرسول ﷺ والذي بينه القرآن الكريم في قوله: ﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ ﴾[143].

كل هذا جعلهم يسعون بشتى الوسائل لصرف الناس عن الدعوة، فهذه امرأة من اليهود كانت تشتم النبي ﷺ وتقع فيه، فخنقها رجل حتى ماتت فأهدر النبي ﷺ دمها[144].

ثامناً: المجادلات في بعض التشريعات ولعل من أبرزها:

1- جدلهم في تحويل القبلة:

استقبل اليهود حادث تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة في المسجد الحرام في مكة بالاستهزاء، وإثارة الشبهات، تشكيكاً للمسلمين في عقيدتهم.

فكان الرسول ﷺ في مكة يصلي بين الركنين الأسود واليماني فتكون الكعبة بين يديه، وهو مستقبل بيت المقدس، فلما هاجر إلى المدينة تعذر الجمع بينهما، فأمره الله تعالى بالتوجه إلى بيت المقدس فصلى إليه بضعة عشر شهراً[145] فعن البراء ابن عازب - رضي الله عنه- قال: « إن النبي ﷺ كان أول ما قدم المدينة صلى قبل بيت المقدس ستة عشر شهراً، أو سبعة عشر شهراً، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت، وأنه ﷺ صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر، وصلى معه قوم، فخرج رجل ممن صلى معه، فمر على أهل مسجد وهم راكعون، فقال: أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله ﷺ قبل مكة، فداروا كما هم قبل البيت، وكانت اليهود قد أعجبهم إذ كان يصلي قبل بيت المقدس، وأهل الكتاب، فلما ولى وجهه قبل البيت أنكروا ذلك[146].

وتشير الروايات إلى أن اليهود قبل التحويل أخذوا يشيعون في الناس أن النبي ﷺ قد اتبع قبلتهم وعما قريب سيتبع ملتهم، حيث اعتبروا ذلك نوعاً من اقتباس الهدي منهم، فعن ابن زيد - رحمه الله

---

(141) يراجع: ابن هشام، السيرة النبوية، ج 2، ص ص 146 - 147.

(142) آل عمران آية: 101 - 105.

(143) البقرة آية: 105.

(144) يراجع: شيخ الإسلام ابن تيمية، الصارم المسلول على شاتم الرسول، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط 1، = بيروت، دار الكتب العلمية، 1398هـ، ص ص 67 - 68.

(145) السهيلي، عبد الرحمن بن عبدالله، (ت581هـ) الروض الأنف، ط 1، القاهرة، دار الكتب الحديثة، 1967م، ج 2، ص 200.

(146) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الصلاة من الإيمان رقم الحديث (40).

تعالى- قال: « إن يهود تقول: والله ما درى محمد وأصحابه أين قبلتهم حتى هديناهم »[147] ولهذا تأثر النبي ﷺ من موقف اليهود السلبي الجاحد هذا، فانبثقت في نفسه أمنية التحول إلى الكعبة المشرفة، فأكثر من التضرع إلى الله تعالى والابتهال إليه كي يوجهه إلى قبلة أبيه إبراهيم عليه السلام فعن عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما- قال: « إن رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة أمره الله - عز وجل - أن يستقبل بيت المقدس، فاستقبلها رسول الله ﷺ ستة عشر شهراً، فكان رسول الله ﷺ يحب قبلة إبراهيم عليه السلام فكان يدعو وينظر إلى السماء »[148] وقد أجاب الله تعالى رجاء رسوله ﷺ فولاه القبلة التي يرضاها الكعبة المشرفة، حيث أنزل عليه سبحانه وتعالى: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾[149].

وقد استقبل المسلمون هذا التحويل للقبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام بالفرح لأن في توجهه إلى البيت الحرام تأليفاً لقلوبهم فهو مثابهم وموطن أمنهم، ومهوى أفئدتهم، ومركز تجمعهم، وجامع وحدتهم.[150]

في حين استقبل اليهود هذا التحويل بإثارة الشكوك والشبهات ضده ومن ذلك قولهم: ما الذي صرف محمداً عن قبلتنا؟ ترى أقبلتنا هي الحق أم الكعبة؟ إن كانت الأولى هي الحق فلم ينصرف عنها، وإن كانت الثانية هي الحق وما عداها باطل، فما الذي جعله يبقى على الباطل ستة عشر شهراً؟ إن هذا لدليل على أنه مزعزع غير صادق، ونسي هؤلاء السفهاء، أن لله الدنيا كلها مشرقها ومغربها، وأينما نتجه فنحن نتجه إليه سبحانه. ﴿ ۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ ﴾[151].

وكان في هذا الإرجاف وذلك التحول اختبار لقلوب المؤمنين حتى يظهر للرسول ﷺ ومن معه حال من يتبعه فيتجه إلى ما يتجه إليه ممن ينقلب على عقبيه فيرتد عن دينه ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾[152].

ثم قال اليهود أيضاً للمسلمين: ما تقولون في صلاة من مات منكم قبل أن تتحول القبلة؟ ولاشك أنها باطلة، فقال - عز وجل- : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾[153] أي ليذهب ثواب صلاتكم إلى بيت المقدس، أو كما يروى عن ابن عباس - رضي الله عنهما - ﴿ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ﴾ أي بالقبلة الأولى وتصديقكم نبيكم واتباعه إلى القبلة الأخرى أي ليعطينكم أجرهما جميعاً[154].

وقيل إن رفاعة بن قيس وقردم بن عمرو وكعب بن الأشرف ورافع بن أبي رافع، والحجاج بن عمرو، والربيع بن الربيع بن أبي الحقيق، وكنانة بن الربيع ابن أبي الحقيق جاءوا إلى النبي يقولون له: يا محمد،

(147) يراجع: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط 1، بيروت، دار الفكر، 1984م، ج 1، ص 20.
(148) المصدر نفسه، ص 20.
(149) البقرة آية: 144.
(150) طنطاوي، بنو إسرائيل في القرآن والسنة، ص 159.
(151) البقرة آية : 142.
(152) البقرة آية: 143.
(153) البقرة آية: 143.
(154) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 1، ص 169.

ما ولاك عن قبلتك التي كنت عليها وأنت تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه؟ ارجع إلى قبلتك التي كنت عليها نتبعك ونصدقك[155]، ولاشك أن هذا خداع فمهما عمل الرسول ﷺ لن يتعبوا قبلته ويؤمنوا به، ولن يعود ﷺ إلى قبلتهم بل ولن يتحدوا هم على قبلة: ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾[156].

وقال اليهود: إن قبلتنا قبل قبلتكم وبيت المقدس أفضل من الكعبة، لأنه مهاجر الأنبياء وقبلتهم، فقال المسلمون: بل الكعبة أفضل، فجاء القرآن ليرد زعم اليهود، ويبين أن الكعبة أفضل لأنها أول بيت وضع للعبادة والتكريم، ومن يدخله يكون آمناً، ويجب على المستطيع من الناس الحج إليه من لدن إبراهيم عليه السلام وإن هذا البيت من بناء إبراهيم عليه السلام الذي تزعمون أنكم على دينه ومنهجه، ثم لا تحجون إلى البيت الذي بناه عن أمر ربه، وأذن في الناس بحجه، وفي هذا البيت آيات واضحة تدل على أنه من بناء إبراهيم، وهي مقامه عليه السلام، ثم حذرهم الله عاقبة كفرهم لأنه شهيد على ما يعملون،[157] قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾[158].

ومن جملة كيدهم الاستهزاء بتعاليم الإسلام لاسيما الصلاة قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾[159].

2- جدلهم في بعض الأحكام:

لم ينفك اليهود يسيئون للنبي ﷺ ويؤذونه بما يثيرونه من أباطيل حول بعض الأحكام والتشريعات، جاء عن أبي هريرة - رضي الله عنه- قال سأل اليهود النبي ﷺ عن الحكم الشرعي في رجل منهم قد زنى بعد إحصانه بامرأة من يهود قد أحصنت، فقال النبي ﷺ يا معشر يهود أخرجوا إلي علماءكم، فأخرج له عبدالله بن صوريا، وكان شاباً قال له النبي ﷺ أنشدك الله وأذكرك بأيامه عند بني إسرائيل هل تعلم أن الله حكم فيمن زنى بعد إحصانه بالرجم في التوراة؟ قال: اللهم نعم، أما والله يا أبا القاسم إنهم ليعرفون أنك لنبي مرسل ولكنهم يحسدونك، قال: فخرج رسول الله ﷺ فأمر بهما فرجما عند باب مسجده، ثم كفر بعد ذلك ابن صوريا، وجحد نبوة رسول الله ﷺ [160] فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴾[161].

(155) ابن هشام، السيرة النبوية، ج 2، ص 142.
(156) البقرة آية: 145.
(157) يراجع: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 1، ص 329.
(158) آل عمران آية: 96 - 98.
(159) المائدة آية: 57 - 58.
(160) ابن هشام، السيرة النبوية، ج 2، ص 152، 153.
(161) المائدة آية: 41 .

ومن ذلك أيضاً سؤالهم النبي ﷺ عن الحكم الشرعي في الدية التي كانت بين بني النضير وبني قريظة، وكانت إحداهما قد قهرت الأخرى في الجاهلية واصطلحوا على الدية، فكانت بني النضير تؤدي الدية كاملة، وبني قريظة تؤدي لهم نصف الدية، فتحاكموا في ذلك إلى رسول الله ﷺ فأنزل الله - عز وجل- : ﴿ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾[162].

فجعل النبي ﷺ الدية في ذلك سواء[163].

على أي حال لم ينجح هؤلاء اليهود من خلال حوارهم وجدالهم الفكري في زعزعة عقيدة المسلمين أو القضاء على تمسكهم وتوحدهم تحت قيادة واحدة ممثلة في النبي ﷺ ، وكان لجوؤهم للأعمال العسكرية والقوة بالتحالف مع الأعداء أو محاولة قتل النبي ﷺ وإيذاء المسلمين ونقض العهد معهم تعبيرًا واضحاً وجلياً عن فشل هذه المحاولات.

الخاتمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الهدى محمد ﷺ.

تناول البحث: « معارضة اليهود الفكرية للنبي ﷺ في العهد المدني » ويمكن إجمال النتائج التي تم التوصل إليها في النقاط الآتية:

أن الجذور التاريخية لعداوة اليهود للعرب كانت قبل مولد النبي ﷺ وتتمثل في حقدهم وعدائهم المستمر مع القبائل العربية المجاورة في المدينة، ومن ثم حالة الذهول وخيبة الأمل حينما عرفوا أن النبي ﷺ الذي يتوعدون به العرب ليس منهم كما كانوا يأملون، وإنما من أبناء عمومتهم من العرب، ولهذا زادت حالة الحقد والحسد في نفوسهم من ذلك الحين.

كشف البحث أن النبي ﷺ حين قدم إلى المدينة لم يبادل اليهود تلك العداوة المستحكمة في عقولهم ونفوسهم، بل حاول استمالتهم ودعوتهم بكل وسيلة من شأنها إقناعهم لو كانوا ممن يفتحون قلوبهم للحق على المبادرة إلى الدخول في الإسلام.

تبين لنا أخلاق اليهود وعنادهم، وما طبعوا عليه من السعي للإفساد وإشعال نار الحرب، وشدة التعنت واللجاجة في قبول الحق.

كشف الحوار والجدل عقيدة اليهود الفاسدة المتمثلة في نظرتهم إلى الخالق - عز وجل- وملائكته ورسله، والناس أجمعين، وقد سجل القرآن الكريم عليهم هذه العقيدة المنحرفة واعتبرهم بسببها كفاراً ملعونين.

تبين أيضاً أن اليهود أشد الأعداء عداء للأمة الإسلامية بنص القرآن الكريم حيث قال تعالى فيهم: ﴿ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[164] ولهذا يلاحظ أنهم يقفون وراء كل مشكلة يعانيها المسلمون حتى اليوم.

وبالإضافة إلى ما تقدم ذكره من نتائج، ومن خلال معايشتي لهذا البحث أرى الآتي:

أن على أبناء أمة الإسلام ألا يهنوا وألا يضعفوا في مواجهة تحديات أعدائهم من اليهود وغيرهم، وأن يعتبروا بما جرى للنبي ﷺ وأن يتفهموا قوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ

---

(162) المائدة آية: 42.

(163) يراجع مزيد من التفصيل: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، = ج 2، ص ص 54 - 56.

(164) المائدة آية: 82.

﴿تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ۝٦٠﴾(165) وأن يكون تعلقهم وثقتهم بالله - عز وجل - أولاً ومن ثم بعلمائهم المخلصين، وأن التمكين والنصر قادم إن شاء الله كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: « لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر: يا مسلم يا عبدالله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود»(166).

أن تبارك الأوساط العلمية كل كتاب يتحدث عن مكايد اليهود من منطلق إسلامي، وتشجع وتدعم كل كاتب يقوم بهذا الجهد، وندعو إلى الإكثار من هذه الدراسات والأبحاث ليتعرف المسلمون في كل زمان ومكان على أبعاد الخطر اليهودي الصهيوني، وكيفية التصدي له ومقاومته فكرياً وعسكرياً.

كما ينبغي عدم إهمال التذكير بسيرة النبي ﷺ في وسائل الإعلام المختلفة المقروءة والمرئية والمسموعة، وطرحها على طلاب العلم بجميع مراحله وتخصصاته، والتذكير كذلك بمواقف النبي ﷺ مع اليهود وغيرهم من أعداء هذا الدين الحنيف ليكون لدى طالب العلم المسلم الحصيلة والحصانة الفكرية التي يستطيع بعد توفيق الله - عز وجل - حمايتهم من الشبهات والأكاذيب.

كما أضم صوتي إلى من ينادي أن يكون هناك قناة فضائية متخصصة لبث الوعي الإسلامي بين الشعوب في العالم، وأن تتصدى للحملات الدعائية التي ترمي إلى نشر الكراهية للإسلام وأهله، والإساءة إلى نبينا محمد ﷺ وسيرته.

الاستفادة من التقنيات الحديثة في جمع وتحرير الأبحاث المتعلقة بالصراع مع اليهود، والرد من خلالها على المتهجمين والمشككين عن طريق إنشاء مواقع متخصصة في الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) ويكون ذلك على مستوى الجامعات، وتحت إشراف أساتذة متخصصين في هذا الجانب.

وختاماً نسأل الله العلي القدير بمنه وكرمه أن يرد المسجد الأقصى ليعود شامخاً عزيزاً، وأن يطهر فلسطين الحبيبة من هؤلاء الأرجاس إخوان القردة والخنازير، إنه ولي ذلك والقادر عليه، إنه قريب مجيب.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين. والحمد لله رب العالمين.

---

(165) الأنفال آية: 60.

(166) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد = والسير، باب قتال اليهود، رقم الحديث (3925 - 3926).

العصور، المجلد الثامن عشر، الجزء الثاني، 59 – 84 (2008م)

نقود رافع بن هرثمة حاكم خراسان
(268– 283 هـ/ 882– 896 م)

د. عاطف منصور محمد رمضان
أستاذ المسكوكات والآثار الإسلامية
كلية الآداب – جامعة سوهاج

ملخص البحث:

تعد ثورة رافع بن هرثمة من أهم وأخطر الثورات التي قامت في إقليم خراسان، والتي أهمّت الخلافة العباسية فترةً من الوقت، خاصةً بعد مهاجمة رافع بن هرثمة لممتلكات الخليفة العباسي في إقليم الري، مما دعا الخليفة المعتضد بالله لعزله عن خراسان، وعهد بأمر محاربته إلى كل من عمرو بن الليث، وأحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف، كما سبق أن ذكرت. وتكمن أهمية ثورة رافع بن هرثمة أيضًا في استيلائه على كل إقليم خراسان، وغيره من البلاد القريبة منه مثل جرجان، لفترة طويلة من الوقت، وهو ما عبر عنه المؤرخ ابن الأثير بقوله: "لم يملك أحد من ولاة خراسان قبله مثله".

وسوف نقوم في هذا البحث – إن شاء الله – بدراسة تحليلية لنقود رافع بن هرثمة، وذلك في ضوء ما ورد في المصادر التاريخية من معلومات تخص هذا الثائر، خاصةً أن المؤلفات السابقة التي تناولت النماذج القليلة من نقود رافع بن هرثمة لم تعرض لها بالدراسة والتحليل، ولكن اكتفت فقط بنشر نصوص كتابات هذه النقود، وهو الأمر الذي دفعني إلى تناول نقود هذا الثائر بمزيد من الدراسة والتفصيل؛ لأنها تلقي الضوء على الكثير من الأحداث التاريخية المعاصرة لهذه الثورة، خاصةً أن المصادر التاريخية قد أغفلت – عمدًا أو عن غير قصد – الحديث عن بعض هذه الأحداث، وهو ما سيتضح جليًا من خلال النماذج الجديدة التي تنشر في هذا البحث أيضاً لأول مرة.

وفي هذا البحث – إن شاء الله – سوف نقوم بنشر أربعة نماذج جديدة من دراهم رافع بن هرثمة لم يسبق نشرها أو دراستها من قبل، تمثل نصف ما هو معروف عالميًا قبل ذلك من نقود هذا الثائر، وهو ما يمثل إضافةً جديدةً ومهمةً لهذه النقود. ويحتفظ متحف قطر الوطني بالدوحة بثلاثة دراهم من هذه المجموعة، أما الدرهم الرابع فهو محفوظ بمجموعة المرحوم سمير شما، والمعارة حاليًا إلى متحف الأشموليان بجامعة أكسفورد.

كان رافع بن هرثمة من أتباع محمد بن طاهر(248 – 259 هـ/ 862 – 873م) آخر حكام الدولة الطاهرية في خراسان (207 – 259 هـ/ 821 – 873م)[1]، فلما استولى يعقوب بن الليث الصفار

(1) تنسب الدولة الطاهرية في خراسان إلى مؤسسها طاهر بن الحسين قائد الخليفة العباسي المأمون، والذي عينه على خراسان في سنة 205 هـ/ 821م، فاستقل بحكمها وتوفي سنة 207 هـ، فخلفه أبناؤه على حكمها حتى سنة 259 هـ/ 872م حين نجح = يعقوب بن الليث الصفار في القضاء على دولتهم، وخضعت خراسان لحكم الصفاريين. انظر عن حكام الدولة الطاهرية في خراسان: زامباور، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ترجمة: زكي محمد حسن وآخرين، =

(254 – 265 هـ/ 868 – 879م) على نيسابور، وقضى على ملك الطاهريين بها في سنة 259 هـ/ 873م، انضم إليه رافع بن هرثمة، وصار من جملة أتباعه[2]. وعندما عاد يعقوب بن الليث إلى سجستان صحبه رافع، وكان كريه الوجه، طويل اللحية، قليل الطلاقة، فلما خرج من عند يعقوب بن الليث ذات مرة قال لمن معه: أنا لا أميل إلى هذا الرجل، فليلحق بما شاء من البلاد. فلما بلغ رافع هذا القول، رحل من سجستان عائدًا إلى منزله ببلدة تامين من قرى باذ غيس[3].

وقد ظل رافع مقيمًا بمنزله حتى استدعاه أحمد بن عبد الله الخجستاني أثناء ثورته (261 – 268 هـ/ 874- 882م) ضد يعقوب بن الليث الصفار[4]، وجعله صاحب جيشه، وذلك في سنة 262 هـ[5]. ولما قتل الخجستاني في ذي الحجة سنة 268 هـ/ يونيو 882م[6]، اتفق أصحابه على أن يتولى رافع بن هرثمة أمرهم، وكان رافع بهراة، فتوجه إلى نيسابور وبها أبو طلحة منصور بن شركب[7]، فحاصره بها، حتى ضاق به الحال، واضطر إلى مغادرة نيسابور، فدخلها رافع بن هرثمة في سنة 269 هـ/ 883م، وأقام بها[8].

توجه أبو طلحة منصور من نيسابور إلى مرو، فاستولى عليها، وأرسل محمد بن مهتدي عاملاً من قبله على هراة، وأقام الخطبة لمحمد بن طاهر في كل من مرو وهراة؛ مما أغضب عمرو بن الليث (265 -

= القاهرة 1951- 1952م. ص ص 299- 300؛ لين بول ستانلي، الدول الإسلامية، نقله من التركية إلى العربية: محمد صبحي فرزات، أشرف على ترجمته وعلق عليه: محمد أحمد دهمان، مكتب الدراسات الإسلامية بدمشق، دمشق 1973م. ج1، ص ص 260- 262.

Zambaur, E., Contributions á la Numismatique Orientale, II, NZ, 1906, p. 14.

(2) ابن الأثير (علي بن محمد بن محمد، ت 630 هـ)، الكامل في التاريخ، راجعه وصححه د. محمد يوسف الدقاق، 11 مجلدًا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1418 هـ/ 1998م. مجلد 6، ص 311؛ النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، ت 733 هـ)، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج 25، تحقيق: محمد جابر عبد العال الحيني، عبد العزيز الأهواني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1404 هـ/ 1984م. ص 393.

(3) باذ غيس: كورة عظيمة تقع على بعد 13 فرسخًا من هراة على الطريق شمالاً إلى مرو الروز، وتضم العديد من المدن الجليلة، مثل: بين، كيف، بغشور، دهستان، وقصبة باذ غيس، هي بو شنج. لكن لم نصادف اسم قرية تامين في جغرافية باذ غيس، ولكنها بامين. انظر لمزيد من التفصيل: كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، نقله إلى العربية وأضاف إليه تعليقات بلدانية وتاريخية وأثرية ووضع فهارسه: بشير فرنسيس، كوركيس عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 2، 1405 هـ/ 1985م. ص ص 455 – 457. بينما ذكر ابن خلدون أن بلدة رافع بالقرب من جي. ابن خلدون (عبد الرحمن ابن محمد، ت 808 هـ)، تاريخ ابن خلدون، سبعة مجلدات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413 هـ/ 1992م. مجلد 3، ص 403.

(4) عن ثورة أحمد بن عبد الله الخجستاني ونقوده، انظر: رمضان، عاطف منصور محمد، ثورة أحمد بن عبد الله الخجستاني كما تظهرها النقود، بحث في مؤتمر عن آثار وحضارة شرق العالم الإسلامي الذي عقد بكلية الآثار، جامعة القاهرة، 1998م، كتاب المؤتمر، صدر عن دار طيبة للنشر، القاهرة، 1999م. ص ص 757 – 783. ونفس المؤلف، أضواء جديدة على نقود أحمد بن عبد الله الخجستاني، مجلة كلية الآداب بقنا، جامعة جنوب الوادي، العدد التاسع، 1999م. ص ص 315 – 349.

(5) ابن الأثير، المصدر السابق، مجلد 6، ص 265؛ النويري، المصدر السابق، ج 25، ص 393.

(6) ذكر الطبري أن قتل الخجستاني كان في شهر ذي الحجة، بينما ذكر ابن الأثير أن قتله كان في شوال. انظر: الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير، ت 310 هـ)، تاريخ الأمم والملوك، 13 جزءًا في ستة مجلدات، مؤسسة عز الدين، بيروت، ط1، 1405 هـ/ 1985م. مجلد 5، ص 207؛ ابن الأثير، المصدر السابق، مجلد 6، ص 268.

(7) هو الأخ الأصغر من بني شركب، وهم إبراهيم، وأبو حفص يعمر، وأبو طلحة منصور، كانوا من أتباع يعقوب بن الليث الصفار، أما إبراهيم فقتله يعقوب بن الليث بعد أن وشى الخجستاني به، بينما قتل الخجستاني أبو حفص يعمر، وبقى أبو طلحة منصور الذي استولى على نيسابور في سنة 268 هـ بعد قتل الخجستاني. انظر: ابن الأثير، المصدر السابق، مجلد 6، ص 264، 265.

(8) ابن الأثير، المصدر السابق، مجلد 6، ص 311؛ النويري، المصدر السابق، ج 25، ص 393؛ ابن خلدون، المصدر السابق، مجلد 3، ص 403

287 هـ/ 879 - 900م)، فتوجه إلى أبي طلحة وهزمه، وطرده من مرو، وجعل عليها محمد بن سهل ابن هاشم. ولكن أبا طلحة استمد إسماعيل بن أحمد الساماني، فأمده بعدد من عساكره، ونجح في استعادة مرو، ولكنه أقام الخطبة في هذه المرة لعمرو ابن الليث، وذلك في سنة 271 هـ (884 - 885م)[9].

وفي تلك الأثناء قُلّدَ الموفق بالله – أخو الخليفة المعتمد على الله (256 - 279 هـ/ 870 - 892م) – محمد بن طاهر أعمال خراسان، وكان ببغداد، فاستخلف محمد بن طاهر على أعماله رافع بن هرثمة، وذلك في شهر شعبان سنة 271 هـ/ 885م[10]. وقد سار رافع بن هرثمة إلى هراة، وكان بها محمد ابن مهتدي عاملاً لأبي طلحة منصور، فقتله يوسف بن معبد، وأقام بهراة، فلما قدم رافع إلى هراة استأمن إليه يوسف فأمنه رافع، وعفا عنه، ثمَّ جعل على هراة مهدي بن محسن. وقد أرسل رافع إلى إسماعيل بن أحمد الساماني يستمده، فقدم عليه بنفسه في أربعة آلاف فارس، كما استمد أيضًا علي بن الحسين المروروزي، فقدم إليه، وصاروا جميعًا إلى مرو لمحاربة أبي طلحة منصور بن شركب، ونجحوا في هزيمته، وفر من مرو في سنة 272 هـ (885 - 886م) متوجهًا إلى هراة حيث انضم إليه مهدي بن محسن، وخالف رافعًا، فسار إليهما رافع، وهزمهما، ففر أبو طلحة منصور إلى عمرو بن الليث، وأما مهدي فقبض عليه رافع، ثمَّ عفا عنه. ثمَّ توجه رافع بن هرثمة إلى خوارزم، فجبى أموالها، ثمَّ عاد إلى نيسابور في سنة 272 هـ (885 - 886م)[11].

وقد خاض رافع بن هرثمة بعد ذلك العديد من الحروب ضد العلويين في طبرستان، فتمكن من الانتصار على محمد بن زيد الداعي (270 - 287 هـ/ 883 - 900م)، واستولى على جرجان في سنة 275 هـ (888 - 889م)، فتوجه محمد بن زيد إلى استراباد، فحاصره رافع بها سنتين حتى نجح في الاستيلاء عليها في سنة 277 هـ (890 - 891م)، وخضعت له طبرستان[12]. ثمَّ توجه رافع بن هرثمة إلى الري، فاستولى عليها؛ مما أغضب الخليفة العباسي المعتضد بالله (279 - 289 هـ/ 892 - 902م)، فكتب إلى رافع يأمره بترك ممتلكاته بالري، ولكن رافع رفض ذلك. فقام الخليفة بعزله عن خراسان، وأرسل المعتضد إلى أحمد بن عبد العزيز ابن أبي دلف (265 - 280 هـ/ 878 - 893م) يأمره بمحاربة رافع، وطرده من الري، كما كتب إلى عمرو بن الليث بولاية خراسان. وقد تمكن أحمد بن عبدالعزيز من هزيمة رافع، والذي خرج إلى جرجان، ولكن وفاة أحمد بن عبد العزيز في سنة 280 هـ / 893م مكنت رافعًا من العودة إلى الري مرةً أخرى؛ حيث تمكن من الانتصار على عمرو بن الليث، وبكر بن أحمد بن عبد العزيز[13].

---

(9) ابن الأثير، المصدر السابق، مجلد 6، ص 311؛ ابن خلدون، المصدر السابق، مجلد 3، ص 403.

(10) ابن الأثير، المصدر السابق، مجلد 6، ص 311؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 3، ص 404؛ بارتولد، فاسيلي فيلادميروفتش، تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، نقله عن الروسية: صلاح الدين عثمان هاشم، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1401 هـ/ 1981م، ص 345.

(11) ابن الأثير، المصدر السابق، مجلد 6، ص ص 311 – 312؛ النويري، المصدر السابق، ج 25، ص 393؛ ابن خلدون، المصدر السابق، مجلد 3، ص 44.

(12) ابن الأثير، المصدر السابق، مجلد 6، ص 356؛ النويري، المصدر السابق، ج 25، ص ص 393 – 394؛ إقبال، عباس، تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية (205 هـ/ 820م - 1343 هـ/ 1925م)، نقله من الفارسية وقدم له وعلق عليه: د. محمد علاء الدين منصور، راجعه: د. السباعي محمد السباعي، القاهرة، 1410 هـ/ 1990م، ص 23.

(13) الكرديزي (أبو سعيد عبدالحي بن الضحاك، ت 443 هـ)، زين الأخبار، ترجمة: عفاف السيد زيدان، دار الطباعة المحمدية، جزآن، القاهرة، 1402 هـ/ 1982م، ج 1، ص 125؛ ابن الأثير، المصدر السابق، مجلد 6، ص 371؛ ابن خلدون، المصدر السابق، مجلد 3، ص 425.

وبعد أن استعدى رافع بن هرثمة في تلك الأثناء كل جيرانه، بالإضافة إلى الخليفة العباسي المعتضد بالله؛ رأى أن يهادن كلاً من محمد بن زيد العلوي برد طبرستان إليه، وأن يهادن عمرو بن عبد العزيز بن أبي دلف، حتى يتفرغ لقتال عمرو بن الليث الصفار، والذي تمكن من الاستيلاء على خراسان من أيدي رافع في سنة 280 هـ / 893م[14].

ولما اطمأن رافع بن هرثمة وأمن جانب محمد بن زيد العلوي، وعمرو بن عبد العزيز بن أبي دلف، سار بجيشه في ربيع الآخر سنة 283 هـ / 896م إلى خراسان لمحاربة عمرو بن الليث، ولكنه هُزم وفر إلى أبيورد[15]، فتبعه عمرو بن الليث، ولما علم رافع بمسير عمرو إليه توجه إلى نيسابور ودخلها، فقدم عليه عمرو بن الليث وحاصره بها حتى ضاق الحال به، وفر عنه أصحابه إلى عمرو بن الليث، الأمر الذي دفع رافعًا إلى الهرب ناحية خوارزم، ولكنه قُتل غدرًا على يد أبي السعيد الدرعاني، والذي أرسل برأسه إلى عمرو بن الليث الصفار، وذلك في السابع من شوال سنة 283 هـ / 896م[16].

وقد أرسل عمرو بن الليث برأس رافع بن هرثمة إلى الخليفة المعتضد بالله في بغداد، فوصلت في الرابع من المحرم سنة 284 هـ/ 897م؛ حيث أمر المعتضد "بنصبه في المجلس بالجانب الشرقي إلى الظهر، ثمَّ تحويله إلى الجانب الغربي، ونصبه هنالك إلى الليل، ثمَّ رده إلى دار السلطان، وخلع على الرسول وقت وصوله إلى المعتضد بالرأس"[17]. وقد حمد الخليفة المعتضد بالله لعمرو بن الليث هذا الانتصار، والقضاء على ثورة رافع بن هرثمة، خاصةً أنه لم يملك أحد من ولاة خراسان قبله مثله[18]، على حد قول المؤرخ ابن الأثير؛ لذلك أمر الخليفة المعتضد بالله أن يكتب اسم عمرو بن الليث في الأعلام؛ مكافأةً له[19].

نقود رافع بن هرثمة:

كانت ثورة رافع بن هرثمة من أهم وأخطر الثورات التي قامت في إقليم خراسان، والتي أهمَّت الخلافة العباسية فترةً من الوقت، خاصةً بعد مهاجمة رافع بن هرثمة لممتلكات الخليفة العباسي في إقليم الري، مما دعا الخليفة المعتضد بالله لعزله عن خراسان، وعهد بأمر محاربته إلى كل من عمرو بن الليث، وأحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف، كما سبق أن ذكرت. وتكمن أهمية ثورة رافع بن هرثمة أيضًا في استيلائه على كل إقليم خراسان، وغيره من البلاد القريبة منه مثل جرجان، لفترة طويلة من الوقت، وهو ما عبر عنه المؤرخ ابن الأثير بقوله: "لم يملك أحد من ولاة خراسان قبله مثله".

ومن ثمَّ فإن دراسة نقود رافع بن هرثمة تصبح ذات أهمية كبيرة لإلقاء الضوء على تاريخ خراسان خلال تلك الفترة المضطربة، خاصةً أن النقود تعتبر مصدرًا مهمًا من مصادر دراسة التاريخ والحضارة الإسلامية؛ لأنها وثائق صحيحة يصعب الشك فيها، أو الطعن في قيمتها، وتلقي الضوء على كثير من الأحداث

(14) ابن الأثير، المصدر السابق، مجلد 6، ص 371، 372؛ إقبال، عباس، المرجع السابق، ص 121.

(15) أبيورد، من كور خراسان على طريق المفازة إلى مرو إلى شرق نسا، وهي أحيانًا تنطق "أورد". كي لسترنج، المرجع السابق، ص 436.

(16) الطبري، المصدر السابق، مجلد 5، ص 357؛ الكرديزي، زين الأخبار، ج1، ص 126؛ ابن الأثير، المصدر السابق، مجلد 6، ص 372؛ ابن خلدون، المصدر السابق، مجلد 3، ص 425.

(17) الطبري، المصدر السابق، مجلد 5، ص 358؛ الكرديزي، زين الأخبار، ج 1، ص 228، 229.

(18) ابن الأثير، المصدر السابق، مجلد 6، ص 372.

(19) خواندمير (محمد بن خاوند شاه، ت 903 هـ)، روضة الصفا في سيرة الأنبياء والملوك والخلفا، ترجمه عن الفارسية وعلق عليه وقدم له: د. أحمد عبد القادر الشاذلي، راجعه وقدم له: د. السباعي محمد السباعي، الدار المصرية للكتاب، القاهرة، 1988م، ص 61.

التاريخية التي قد تغفل المصادر التاريخية ذكرها عمدًا أو عن غير قصد.

والمعروف من نقود رافع بن هرثمة- قبل هذا البحث- نماذج قليلة على مستوى العالم؛ حيث بدأ نشر أول نموذج منها وهو درهم ضرب مرو سنة 269 هـ في سنة 1876م، في مجلة العلوم الشرقية الألمانية على يد العالم Friedländer، والذي نسب هذا الدرهم خطأً إلى عمرو بن الليث الصفار[20]. أما النموذج الثاني فهو درهم ضرب هراة سنة 269 هـ، محفوظ في متحف الأرميتاج بروسيا، قام بنشره العالم الروسي ماركوف Markoff في سنة 1896 هـ [21]. وقد أعاد فاسمير Vasmer نشر هذا الدرهم مرةً ثانيةً في بحثه الذي نشره في دورية المسكوكات النمساوية سنة 1930م، بالإضافة إلى نشره لدرهم آخر ضرب مرو سنة 269 هـ [22]. وقد أشار زامباور Zambaur إلى النماذج التي نشرها ماركوف وفاسمير، عند دراسته لمدن الضرب الإسلامية، وذلك في كتابه الذي نشر في سنة 1968م[23]. أما آخر النماذج التي تم نشرها من نقود رافع بن هرثمة فهما درهمان ضرب نيسابور سنة 270 هـ، قام بنشرهما الدكتور سعيد عطا الله في رسالته لنيل درجة الدكتوراه في سنة 2003م، الدرهم الأول محفوظ بمجموعة المرحوم سمير شما، والدرهم الثاني بجامعة توبنجن بألمانيا[24].

وفي هذا البحث - إن شاء الله - سوف نقوم بنشر أربعة نماذج جديدة من دراهم رافع بن هرثمة لم يسبق نشرها أو دراستها من قبل، تمثل نصف ما هو معروف عالميًا قبل ذلك من نقود هذا الثائر، وهو ما يمثل إضافةً جديدةً ومهمةً لهذه النقود. ويحتفظ متحف قطر الوطني بالدوحة بثلاثة دراهم من هذه المجموعة[25]، أما الدرهم الرابع فهو محفوظ بمجموعة المرحوم سمير شماء، والمعارة حاليًا إلى متحف الأشموليان بجامعة أكسفورد[26].

وسوف نقوم في هذا البحث أيضًا – إن شاء الله- بدراسة تحليلية لنقود رافع بن هرثمة وذلك في ضوء ما ورد في المصادر التاريخية من معلومات تخص هذا الثائر، خاصةً أن المؤلفات السابقة التي تناولت النماذج القليلة من نقود رافع ابن هرثمة لم تعرض لها بالدراسة والتحليل، ولكن اكتفت فقط بنشر نصوص كتابات هذه النقود، وهو الأمر الذي دفعني إلى تناول نقود هذا الثائر بمزيد من الدراسة والتفصيل؛ لأنها تلقي الضوء على الكثير من الأحداث التاريخية المعاصرة لهذه الثورة، خاصةً أن المصادر التاريخية قد أغفلت – عمدًا أو عن غير قصد- الحديث عن بعض هذه الأحداث، وهو ما سيتضح جليًا من خلال النماذج الجديدة التي تنشر في هذا البحث أيضًا لأول مرة.

(20) Friedländer, Julus, Der Münzfund von Terbenow, ZDMG 1876 [pp. 276- 283] p. 277, No. 6.

(21) Markoff, Alex., Inventary of Mohammedan Coins in The Hermitage Museum, Saint-Petersborg 1896 (en Russian). p. 847.

(22) Vasmer, R., Über die Münzen der Saffariden und ihrer Gegner in Fars und Hurasan. NZ, Wiener, Vol. XLIII, 1930, p. 139.

(23) Zambaur, E., Die Münzprägungen Des Islams, Herausgegeben von: Peter Jacckel, Wiesbaden 1968. pp. 14, 239, 264, 284.

(24) عطا الله، سعيد عبد الفتاح عفيفي، نقود نيسابور منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط الدولة الخوارزمية، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه من قسم الآثار الإسلامية، كلية الآثار، = جامعة القاهرة، 2003م. ص ص 184 - 188، لوحة 38، 39.

(25) أتوجه بخالص الشكر والتقدير إلى الأخ الكريم والصديق المخلص إبراهيم جابر الجابر بمتحف قطر الوطني بالدوحة، والذي تفضل بإرسال صور هذه النقود وبياناتها بالمتحف للاستفادة منها في هذا البحث.

(26) أتوجه بخالص شكري وامتناني لأخي العزيز الدكتور سعيد عطا الله، والذي تنازل لي عن طيب خاطر عن درهم نيسابور سنة 270 هـ، وكان المرحوم سمير شما قد أرسل له درهمين ضرب نيسابور سنة 270 هـ، فقام بالتنازل عن درهم منهما، عند علمه بدراستي لنقود رافع بن هرثمة، وقام بنشر الآخر في رسالته للدكتوراه بعد أن عرضنا لهما بدراسة متأنية.

والنقود التي وصلتنا باسم رافع بن هرثمة هي كلها دراهم فضية، وتجمل مكان سكها ثلاث مدن تقع في إقليم خراسان، وهي مرو ونيسابور وهراة، ودراهم مرو مؤرخة بسنة 269 هـ، ودراهم نيسابور مؤرخة بسنة 270 هـ، أما دراهم هراة فمؤرخة بعامي 269 هـ، و 274 هـ.

والمنهج الذي نتبعه في هذا البحث لدراسة نقود هذا الثائر يقوم على دراسة النقود حسب دور سكها مرتبةً وفق الحروف الهجائية لها؛ حيث نبدأ بدار سك مرو، ثمَّ نيسابور، وأخيرًا هراة، وذلك في إطار التسلسل التاريخي للإصدارات النقدية؛ حيث نقوم بتوصيف القطع النقدية، من حيث الشكل العام، ونصوص الكتابات، والزخارف، ثمَّ يلي ذلك دراسة تحليلية لما سجل على هذه النقود من كتابات في ضوء الأحداث التاريخية المعاصرة لها، ثمَّ نختم البحث بدراسة عامة لنقود رافع بن هرثمة، وأهم النتائج التي تم التوصل إليها بشأن هذه الثورة، وما وصلنا من نقود لها.

أولاً: دار سك مرو:

كل ما وصلنا من نقود دار سك مرو هي دراهم فضية مؤرخة جميعها بعام 269 هـ، والمعروف من دراهم مرو قبل ذلك على مستوى العالم درهمان، وننشر في هذا البحث درهمين آخرين لم يسبق نشرهما قبل ذلك، وتنقسم دراهم مرو إلى نمطين نتناولهما بالدراسة على النحو التالي:

النمط الأول:

الشكل العام لهذا النمط من الدراهم يتميز بوجود دائرتين متحدتي المركز بالوجه، الدائرة الداخلية تحيط بكتابات المركز، أما الدائرة الخارجية فتحيط بكتابات هامش الوجه من الخارج. أما ظهر هذه الدراهم فيحيط بها دائرة واحدة فقط تحصر بداخلها كتابات المركز والهامشين. وجاءت نصوص كتابات هذا النمط كما يلي:

الوجـــه

مركز: بالتوفيق

لا إله إلا الله

محمد رسول الله

المعتمد على الله

والتسديد

هامش: اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير.

الظـــهر

مركز: بالسنا

لله القدرة والعظمة

ومنه السعادة والنعمة

النجيب رافع بن هرثمة

والبها

هامش داخلي: بسم الله ضرب هذا الدرهم بمرو سنة تسع وستين ومائتين.

هامش خارجي: قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين.

ينتمي إلى هذا النمط من الدراهم ثلاثة نماذج، اثنان سبق نشرهما، الأول منهما نشره Friedländer في مجلة العلوم الشرقية الألمانية سنة 1876م، ونسبه خطأً إلى عمرو بن الليث الصفار[27]، وأحال في هذه النسبة إلى درهم آخر يتشابه مع هذا الدرهم في بعض

(27) Friedländer, Der Münzfund von Terbenow, p. 277, No. 6.

نصوص الكتابات كان قد نشره تورنبرج Tornberg في سنة 1848م. والدرهم الأخير الذي نشره تورنبرج ضرب في نيسابور سنة 268 هـ، ونسبه تورنبرج خطأً أيضًا إلى عمرو بن الليث الصفار[28]، في حين أنه يخص أحمد بن عبد الله الخجستاني. وتجدر الإشارة أيضًا إلى أن Friedländer لم يستطع قراءة نصوص كتابات درهم مرو سنة 269 هـ بصورة صحيحة، فيما عدا كتابات مركز الوجه، وإن كان قد قرأ كلمة "والتسديد" على أنها "والشديد".

أما النموذج الثاني من هذه الدراهم والذي سبق نشره أيضًا، فقد نشر في سنة 1930م في دورية المسكوكات النمساوية على يد العالم Vasmer، والذي استطاع أن ينسب هذا الدرهم إلى صاحبه رافع ابن هرثمة[29]. وقد أشار زامباور إلى هذا الدرهم عند دراسته لنقود مرو في كتابه عن مدن ضرب النقود الإسلامية[30].

أما النموذج الثالث من هذا النمط فلم يسبق نشره من قبل، وينشر في هذا البحث لأول مرة، وهو درهم محفوظ بمتحف قطر الوطني بالدوحة، يبلغ وزنه: 2.82 مم، وقطره: 24.5 مم[31]، (لوحة 1، شكل 1). ويلاحظ أن بعض كتابات هذا الدرهم مطموسة مثل كلمة "والتسديد" بأسفل كتابات مركز الوجه. كذلك يختفي جزء من كتابات الاقتباس القرآني بهامش الوجه. كذلك فإن كلمة "النجيب" وكلمة "والبها" بمركز الظهر مطموستان، كما تختفي أيضًا كلمة "تسع" من تاريخ الضرب بالهامش الداخلي للظهر، وأيضًا بعض الكلمات من الاقتباس القرآني بهامش الظهر الخارجي.

تحليل نصوص الكتابات:

نبدأ دراسة نصوص كتابات هذا النمط بمركز الوجه، والذي تسجل به نصوص الكتابات الرئيسة للنقود؛ حيث يتألف مركز وجه هذا النمط من الدراهم من خمسة أسطر، يتصدرها بالسطر الأول كلمة "بالتوفيق". ووفق الله فلانًا: ألهمه الخير، والتوفيق من الله للعبد: تسهيل طريق الخير له[32]. وقد افتتح رافع بن هرثمة نصوص كتابات هذه الدراهم بالدعاء لنفسه بأن يوفقه الله لما فيه الخير لنفسه، وهو دعاء مهم بالنسبة لرافع بن هرثمة في هذه المرحلة الحرجة بعد أن بايعه أتباع أحمد بن عبد الله الخجستاني – بعد وفاة الخجستاني – في ذي الحجة سنة 268 هـ؛ لذلك دعا رافع بن هرثمة الله (ﷻ) أن يوفقه في بداية مرحلة جديدة من حياته السياسية، وهي مرحلة الولاية والإمارة. وقد استكمل رافع بن هرثمة هذا الدعاء بكلمة "والتسديد" بالسطر الأخير من مركز الوجه. و سدَّ الشيء سدادًا، وسدودًا: استقام، فهو سديدٌ، وأَسَدُّ[33]. وهذه الكلمة يقصد بها الدعاء أيضًا لرافع بن هرثمة بأن يستقيم له الأمر والملك. وكما سبق القول فهو دعاء مهم لهذا الحاكم في العام الأول لتوليه الحكم؛ لذلك طلب من الله التوفيق لما فيه خيره، وأن تستقيم له شئون ملكه.

أما السطران الثاني والثالث من كتابات مركز الوجه فنقش بهما شهادة التوحيد والرسالة المحمدية "لا إله إلا الله/ محمد رسول الله"، وهي تمثل الإعلان عن عقيدة ومذهب رافع بن هرثمة، فهو يعتنق الإسلام على مذهب أهل السنة والجماعة. بينما خصص السطر الرابع لنقش لقب "المعتمد على الله"، وهو يخص الخليفة العباسي "أبو العباس أحمد المعتمد على

---

(28) Tornberg, Carolus Johannes, Numi Cufici Regii Numophylacii Holmiensis, Quos Omnes in Terra Sueciae Repertos. Opsalias 1848, p. 148, No. 10.

(29) Vasmer, Über die Münzen der Saffariden ..., p. 139, No. 18.

(30) Zambaur, Die Münzprägungen des Islam, p. 239, Not. 2.

(31) رقم السجل في متحف قطر الوطني بالدوحة: 18039.

(32) المعجم الوجيز، ص 676، باب: وَفِقَ

(33) المعجم الوجيز، ص 306، باب: سدَّ.

الله" (256 – 279 هـ/ 870 – 892م). ويستدل من تسجيل اسم الخليفة العباسي على دراهم رافع بن هرثمة على خضوعه للخلافة العباسية، وتبعيته السياسية والدينية لها، وأن حكمه لخراسان كان برضاء الخليفة العباسي ومباركته. ولكن الغريب حقًا أن ولاية رافع بن هرثمة على خراسان لم تلق موافقة الخليفة المعتمد على الله إلا في شهر شعبان سنة 271 هـ، حين عهد الموفق بالله – أخو الخليفة- إلى محمد بن طاهر بحكم خراسان، فاستخلف محمد بن طاهر عليها رافع بن هرثمة(34).

وهذا التساؤل لماذا نقش رافع بن هرثمة اسم الخليفة العباسي على دراهمه قبل اعتلائه رسميًا حكم خراسان؟ والإجابة عن هذا السؤال ترتبط باتجاهين رئيسيين، الاتجاه الأول سياسي؛ حيث رغب رافع بن هرثمة في كسب تعاطف الخليفة العباسي المعتمد على الله إلى جانب ثورته ضد الصفاريين، وليعلن للخليفة العباسي أن ثورته لا تهدف الانفصال عن كيان الخلافة العباسية، ولكنها موجهة ضد الصفاريين فقط، وأنه- أي رافع بن هرثمة- يعتبر نفسه عاملاً للخليفة على هذه البلاد، وهو ما أكده من خلال نقش اسم الخليفة العباسي على نقوده(35).

ولا يخفى علينا ما تلقاه هذه الدراهم لرافع بن هرثمة من رضاء الخليفة وعدم إثارة غضبه حين يرى اسمه منقوشًا عليها، وهي شارة الملك والسلطان الرئيسية للخليفة. وعلى الأقل فإن الخليفة إن لم يدعم ثورة رافع بن هرثمة ضد الصفارية معنويًا أو ماديًا، فإنه سيقف على الحياد إزاء هذا الصراع بين الطرفين، على العكس إذا ما وجد أن نقود رافع بن هرثمة لا تحمل اسمه – أي الخليفة- فإن الخليفة العباسي سيستشيط غضبًا، وإن لم يعارض هذه الثورة عسكريًا، فإنه سيعارضها معنويًا على الأقل حين يأمر بلعن رافع بن هرثمة على المنابر، وهو الأمر الذي حدث قبل ذلك مع يعقوب وعمرو ابني الليث.

أما الاتجاه الثاني فهو اقتصادي، فقد نقش رافع ابن هرثمة اسم الخليفة العباسي على نقوده لمنحها الشرعية اللازمة لها في التداول بين الرعية؛ لأنه لم يكن مقبولاً أن يتعامل الناس بنقود لا تحمل اسم الخليفة العباسي؛ لذلك فقد رغب رافع بن هرثمة في أن تلقى نقوده الرواج التجاري والاقتصادي حتى تحقق له الدعاية الإعلامية المطلوبة لثورته بين أكبر قدر من الناس.

---

(34) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مجلد 6، ص 311؛ ابن خلدون، العبر، مجلد 3، ص 404؛ بارتولد، تركستان، ص 345.

(35) بعد وفاة الرسول (ﷺ) وقيام نظام الخلافة، أصبح المسلمون في كل مكان يعتبرون الخليفة هو صاحب السلطة الشرعية الوحيدة في العالم الإسلامي، والذي يجب على كل المسلمين طاعته، وإعلان ولائهم له. ومن هنا كانت الخلافة الإسلامية النظام السياسي والديني الذي يمنح أي عامل أو والٍ الشرعية اللازمة له في تولي حكم بلاده، عن طريق موافقة الخليفة له على هذه الولاية. وكان الخلفاء يحتفظون بمظاهر السيادة السياسية والدينية لهم على العالم الإسلامي، فكان لا بد على أي حاكم أن يضرب السكة باسم الخليفة، ويقيم له الدعوة في بلاده عن طريق الدعاء له في خطبة الجمعة، وألا ينتحل أيًا من ألقاب الخلافة وهي "أمير المؤمنين، عبد الله، الخليفة، الإمام"، بالإضافة إلى النعوت الشخصية للخلفاء. هذا إضافةً = إلى نقش شريط الطراز في بلاده باسم الخليفة، وأن يرسل قدرًا من خراج بلاده إن أمكن له ذلك، وأن لا يخرج على أهل السنة والجماعة- وهذا بالطبع للخلافة السنية- ، وأن لا يتخلف عن الجهاد. ومتى التزم الحاكم بكل هذه الأمور والمظاهر فإن الخليفة يوافق على توليه الحكم، ويضفي على حكمه الشرعية اللازمة له ، وذلك عن طريق تقليد أو عقد يبعث به الخليفة لهذا العامل أو الوالي يعترف بسلطانه- وسلطان أبنائه- على بلاده، ثمَّ يرسل إليه الخلع والشارات. وكان يطلق يدي هذا الوالي أو الأمير في حكم بلاده، داخليًا كيفما شاء، وأن يورث الحكم لأبنائه- إذا رغب في ذلك- وكانت هذه العلاقة بين الخليفة والحكام المستقلين. انظر: محمود، حسن أحمد، حضارة مصر الإسلامية، العصر الطولوني، القاهرة، 1960م، ص ص 58 - 59.

أما بالنسبة لكتابات هامش الوجه، فقد اشتملت على الاقتباس القرآني من سورة آل عمران، الآية (26): ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾. ويشير هذا الاقتباس إلى أن المُلك بيد الله يؤتيه من يشاء من عباده فيجعله عزيزًا بفضله، وينزع الملك ممن يشاء من عباده، فيضرب عليه الذل والهوان بسلب هذا الملك منه. وقد ظهر هذا الاقتباس القرآني لأول مرة على النقود الإسلامية على دراهم أحمد بن عبدالله الخجستاني[36]، والمضروبة في نيسابور وهراة عامي 267 هـ، و 268 هـ[37]. ثم تبنى رافع بن هرثمة نقش هذا الاقتباس على نقوده أيضًا[38].

وقبل أن نبدأ في تفسير أسباب تسجيل هذا الاقتباس على نقود رافع بن هرثمة، تجدر الإشارة إلى أن هذا الاقتباس قد سجل بصيغة الدعاء؛ حيث حذفت كلمة "قل" من بداية الآية، ونقش رافع بن هرثمة هذا الاقتباس مبتدئًا إياه بكلمة "اللهم"، مشيرًا إلى أن القصد الآن من هذا الاقتباس هو الدعاء لله (ﷻ) بأسمائه الحسنى التي وردت في هذه الآية. ولإلقاء المزيد من الضوء على المقصود من هذا الدعاء يجدر بنا أن نذكر ما ذكره الإمام القرطبي في تفسير الآية الكريمة من سورة الأعراف، الآية (180) ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾، حيث قال: "اطلبوا منه (أي من الله سبحانه وتعالى) بأسمائه، فيطلب منه بكل اسم ما يليق به، تقول: يا رحيم ارحمني، يا حكيم احكم لي، يا رزاق ارزقني ... وهكذا"[39].

ومن ثم فقد دعا رافع بن هرثمة الله (ﷻ) باسم من أسمائه الحسنى وهو "مالك الملك"، طالبًا منه أن يجعله عزيزًا بمنحه الملك والسلطان، وأن يجعل ما في هذا الملك خيرًا له؛ لأن الله (ﷻ) بيده الخير يمنحه لمن يشاء من عباده. وهذا الدعاء يتوافق مع الدعاء "بالتوفيق والتسديد" الذي نقشه رافع بن هرثمة بأعلى وأسفل كتابات مركز الوجه.

وكان تبني رافع بن هرثمة لهذا الاقتباس القرآني والذي سبق أن استخدمه رفيق كفاحه الخجستاني؛ لتشابه أحوالهما وقصة كفاحهما، واعتلائهما لعرش خراسان؛ فقد تقلبت الأيام والأحوال أيضًا بأحمد بن عبدالله الخجستاني، فقد كان مكاريًا يبيع الحمير، ثم عمل في خدمة الطاهريين مع رافع بن هرثمة، ثم ثار ضد الصفارية واستولى على خراسان (261 - 268 هـ / 874 - 882م)، لذلك سجل هذا الاقتباس القرآني على نقوده ليعلن اعترافه بفضل الله عليه في اعتلائه ملك خراسان بعد هذا الكفاح الطويل[40].

أما سبب اختيار رافع بن هرثمة لهذا الاقتباس – دون غيره- لنقشه على نقوده فهو يرجع في المقام الأول إلى تقلب الأحوال والأيام في حياة رافع بن

---

(36) يوسف، فرج الله أحمد، الآيات القرآنية على المسكوكات الإسلامية، دراسة مقارنة، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط1، 1423 هـ/ 2003م، ص 107.

(37) عن نقود أحمد بن عبد الله الخجستاني التي ظهر عليها هذا الاقتباس، انظر: رمضان، عاطف منصور محمد، ثورة أحمد بن عبدالله الخجستاني كما تظهرها النقود، ص ص 757- 779؛ رمضان، عاطف منصور محمد، أضواء جديدة على نقود أحمد بن عبدالله الخجستاني، ص ص 315- 349.

(38) رمضان، عاطف منصور محمد، عرض ونقد لكتاب: الآيات القرآنية على المسكوكات الإسلامية، مجلة أدوماتو، =

= الرياض، العدد الثامن جمادى الأولى 1424 هـ/ يوليو (تموز) 2003م لص ص 132- 142، ص 136.

(39) القرطبي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت 671 هـ)، تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن، دار الغد العربي، 10 مجلدات، القاهرة 1410 هـ/ 1990م، مجلد 4، ص 2854.

(40) انظر مزيدًا من التفاصيل عن أسباب نقش هذا الاقتباس القرآني على نقود أحمد بن عبدالله الخجستاني: منصور، عاطف، ثورة أحمد بن عبدالله الخجستاني كما تظهرها النقود، ص 763؛ منصور، عاطف، أضواء جديدة على نقود أحمد بن عبدالله الخجستاني، ص 321.

هرثمة، فقد كان يعمل في بداية حياته في خدمة الطاهريين في خراسان، فلما زال ملكهم على يد يعقوب بن الليث الصفار في سنة 259 هـ / 872م، انضم رافع بن هرثمة إليه، لكنه لم يلق رضاء يعقوب ابن الليث، فعاد إلى بلدته تامين، ومكث بها حتى استدعاه أحمد بن عبدالله الخجستاني حين ثار بخراسان ضد الصفاريين، وجعله قائد جيشه. ثم ما لبث أن قتل الخسجتاني في سنة 268 هـ ، وزال ملكه، وانتقل ملك خراسان إلى رافع بن هرثمة من غير سعي منه حين بايعه أتباع الخجستاني بالإمارة على خراسان[41].

ومن ثم فقد اختار رافع بن هرثمة هذا الاقتباس ليعلن اعترافه بفضل الله عليه في اعتلائه لحكم خراسان من غير سعي منه، فالملك بيد الله يؤتيه من يشاء من عباده، وهو رافع بن هرثمة، وينزعه ممن يشاء من عباده، فقد نزع ملك خراسان من قبل من الطاهرية والصفارية، ورفيق كفاحه الخجستاني، وها هو الآن يستقر معه.

وجاءت كتابات مركز الظهر في خمسة أسطر متتالية مماثلة لكتابات مركز الوجه؛ حيث يشتمل السطر الأول منها على كلمة "بالسنا"، والسنا هو الضوء، والسناء هو الارتفاع والسمو[42]. وهذه الكلمة جزء من الدعاء الذي يستكمل بكلمة "والبها" بأسفل كتابات مركز الظهر، وقد قرأها الدكتور سعيد عطا الله على أنها "والنها"[43]، ولكني أختلف معه في هذه القراءة؛ لأنها لا تتفق مع المعنى المقصود، ولا تناسب كلمة "بالسنا" المنقوشة بأعلى كتابات هذا المركز؛ لذلك أقترح أن تكون القراءة "والبهاء"، وبهي، بهًا، وبهاءً: حسن وجمل، فهو بهٍ وهي بهيةٌ، وبهو، بهاءً، وبهاءةً: حسن وجمل، فهو بهيٌّ[44].

وعلى هذا، فإن نص الدعاء هو "بالسناء والبهاء"، وهو يرتبط – بلا شك- بالظروف المحيطة برافع بن هرثمة أثناء مبايعته بولاية خراسان من قبل أتباع الخجستاني؛ لذا دعا لنفسه بكلمة "بالسناء"، أي بالعلو والارتفاع والسمو في هذه المنزلة الكبيرة وهي ولاية خراسان. ثم أضاف كلمة أخرى ذات مغزى مهم وهي "والبهاء"، أي: بالحسن والجمال. وقد دعا رافع الله بهذه الكلمة أن يضفي عليه حسنًا وجمالاً، فقد كان كريه الوجه، قليل الطلاقة، طويل اللحية، وهو ما جعل يعقوب بن الليث ينفر منه، ويأمره بالرحيل بعيدًا عنه. ويبدو أن رافعًا لم ينس ذلك؛ لذلك توجه إلى الله بالدعاء أن يسمو قدره، ويرفع منزلته، ويضفي عليه حسنًا وجمالاً؛ حتى يلقى القبول من الرعية. ويلاحظ اهتمام رافع بن هرثمة بالدعاء لنفسه بكل هذه الأدعية على الإصدار النقدي الأول له، وفي السنة الأولى والتي بويع فيها بولاية خراسان حتى يوفقه الله في هذه الولاية، وهذه المسئولية الكبيرة التي جاءته على غير سعي منه؛ لذلك كان الدعاء "بالتوفيق والتسديد والسناء والبهاء"، وأيضًا الاقتباس القرآني من سورة آل عمران الذي نقش بهامش الوجه.

أما السطران الثاني والثالث من كتابات مركز الظهر فنقش بهما عبارة: "لله القدرة والعظمة ومنه السعادة والنعمة". والعبارة شطرها الأول "لله القدرة والعظمة" تمجد الله (ﷻ) بصفاته، فهو صاحب القدرة، فهو القادر على كل شيء، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو صاحب العظمة، فهو العظيم الذي يعز من يشاء، ويرفع قدر من يشاء

(41) انظر لمزيد من التفصيل عن هذه الأحداث التاريخية، التمهيد التاريخي في بداية البحث.

(42) المعجم الوسيط، ص 325، مادة سنا.

(43) عطا الله، سعيد، نقود نيسابور، ص 185.

(44) المعجم الوسيط، ص 65، مادة بهي.

بقدرته، ولعل هذه العبارة التي تصف المولى (ﷻ) بهذه الصفات دون غيرها- في هذا المقام- ترتبط بولاية رافع بن هرثمة لخراسان، فالله (ﷻ) رفع منزلة رافع ابن هرثمة بقدرته، فبعد عمله في خدمة الأمراء والحكام قبل ذلك، رفع الله قدره، وجعله على ملك خراسان بقدرته، وعظم شأنه بين الناس.

ويؤكد هذا التفسير الشطر الثاني من العبارة وهو "ومنه السعادة والنعمة"؛ حيث يعلن رافع بن هرثمة اعترافه بفضل الله عليه والذي أسبغ عليه نعمة الملك والسلطان، وكتب له السعادة بعد فترة كفاح طويلة في خدمة الأمراء والحكام، لذلك أعلن أن هذه السعادة والنعمة من الله وحده صاحب القدرة والعظمة، فقد منح الله ملك خراسان لرافع بن هرثمة دون سعي منه. ومن الجدير بالذكر أن نقود رافع بن هرثمة قد انفردت بتسجيل عبارة "لله القدرة والعظمة ومنه السعادة والنعمة" عليها، ولم تظهر على النقود الإسلامية بعد ذلك[45].

أما السطر الرابع فقد نقش به اسم ولقب رافع بن هرثمة "النجيب رافع بن هرثمة". ويلاحظ أن رافع بن هرثمة قد اتخذ لنفسه لقب "النجيب". وقد فسر الدكتور سعيد عطا الله هذا اللقب على أنه "الكريم"[46]، وقال: "وصف رافع نفسه بلقب النجيب ليعلن أنه كريم؛ حتى يدرأ عن نفسه صفة حبه للأموال؛ حيث ذكرت المصادر التاريخية أنه جبى خراج بضع عشرة سنة مقدمًا من كور خراسان وقراها ..." [47].

ولكنني أختلف مع هذا التفسير للقب النجيب، والمدلول اللغوي لهذا اللقب يساعد كثيرًا في تفسيره في ضوء الأحداث التي عاشها رافع بن هرثمة. والنجيب في اللغة: الفاضل على مثله في نوعه، ونجب، نجابةً: نبه، وبان فضله على من كان مثله[48].

ويمكن القول إن اختيار رافع بن هرثمة لهذا اللقب الذي يصفه بالذكاء والنباهة، وأنه الأفضل بين أقرانه من الأمراء والحكام كان ردًا على ما وصفه به يعقوب بن الليث من أنه قليل الطلاقة، ولا يصلح لأن يكون من أتباع الصفارية ورجالها؛ لذلك أعلن رافع من خلال هذا اللقب أن الله (ﷻ) قد حباه بالذكاء، وفضله على غيره من حكام عصره بهذا الذكاء، ومنهم حكام الصفارية أنفسهم، خاصةً بعد أن اعتلى عرش خراسان، والتي كانت بيد الصفارية قبل ذلك.

وقد خصص الهامش الداخلي للوجه لتسجيل مكان وتاريخ السك. فيبدأ الهامش بالبسملة مختصرةً "بسم الله"، ثم تحديد فئة النقد "ضرب هذا الدرهم"، ويلي ذلك مكان وتاريخ السك وهو "بمرو سنة تسع وستين ومائتين".

وهذه الدراهم لها أهمية كبيرة في دراسة تاريخ ثورة رافع بن هرثمة، فهي تؤكد استيلاء رافع بن هرثمة على مرو سنة 269 هـ، وليس في سنة 272 هـ، كما ذكرت المصادر التاريخية. وقد ذكرت هذه المصادر أن مرو سنة 269 هـ كانت تحت سيطرة أبي طلحة منصور بن شركب، والذي أقام الخطبة فيها وفي هراة لمحمد بن طاهر، مما أغضب عمرو بن الليث، والذي هاجم أبا طلحة منصور وطرده من مرو. ثم نجح أبو طلحة منصور في العودة إلى مرو في سنة 271 هـ، وأقام الخطبة هذه المرة لعمرو بن الليث الصفار، كما سبق أن ذكرت. ومن ثم لم تذكر المصادر التاريخية أية معلومات بشأن خضوع مرو لرافع

---

(45) عطا الله، سعيد، نقود نيسابور، ص 186.

(46) اعتمد الدكتور سعيد عطا الله في هذا التفسير للقب النجيب على أنه الكريم، على الدكتور حسن الباشا في كتابه الألقاب الإسلامية، انظر: الباشا، حسن، الألقاب الإسلامية = في التاريخ والوثائق والآثار، القاهرة، 1957م، ص 532.

(47) عطا الله، سعيد، نقود نيسابور، ص ص 186 - 187.

(48) المعجم الوسيط، ص 602، مادة نجب.

ابن هرثمة في سنة 269 هـ ، أو قبل سنة 272 هـ ، ولكن هذه الدراهم المضروبة في مرو سنة 269 هـ تؤكد - بما لا يدع مجالاً للشك - استيلاء رافع بن هرثمة على مرو - ولو لفترة قصيرة - في سنة 269 هـ، وتمكن من سك هذه الدراهم فيها باسمه ليؤكد استيلاءه على هذه المدينة. ومن هنا يتضح الدور المهم الذي تلعبه النقود كمصدر مهم من مصادر دراسة التاريخ والحضارة الإسلامية.

ومن الجدير بالذكر أن مرو أصدرت الدراهم في سنة 270 هـ باسم الخليفة العباسي المعتمد على الله[49]، مما يشير إلى أن استيلاء رافع بن هرثمة على مرو كان لفترة قصيرة من سنة 269 هـ .

أما هامش الظهر فنقش به الاقتباس القرآني من سورة التوبة، الآية (123)، ونصه: ﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾. وفي هذه الآية أمر من الله (ﷻ) للمسلمين بالجهاد ضد الكفار الأقرب فالأقرب، ويجب أن يكون المسلم شديدًا غليظًا على عدوه، وليدركوا جيدًا أن الله (ﷻ) مع المتقين. وقد ظهر هذا الاقتباس لأول مرة على النقود الإسلامية على نقود أحمد بن عبدالله الخجستاني. وقد رمى الخجستاني - من خلال هذا الاقتباس - أعداءه بالكفر، وبصفة خاصة الصفارية، وأجاز محاربتهم والضرب على أيديهم بشدة وغلظة[50]. ولعل الخجستاني قد استغل اعتناق يعقوب بن الليث - مؤسس الدولة الصفارية- لمذهب الخوارج[51]، ورمى الصفارية بالكفر والخروج عن الإسلام، فقام بمحاربتهم والضرب على أيديهم باعتباره من عمال خليفة المسلمين.

وقد تبنى رافع بن هرثمة نقش هذا الاقتباس أيضًا على نقوده باعتباره الوريث لملك الخجستاني في خراسان، فضلاً عن أن الصفارية هم العدو المشترك لكل من الخجستاني ورافع بن هرثمة؛ لذلك أعلن رافع بن هرثمة من خلال نقشه لهذا الاقتباس عن استمراره في قتال الصفارية- كما قاتلهم الخجستاني- لأنهم - من وجهة نظره- خرجوا عن الإسلام؛ لذلك يجوز محاربتهم والضرب على أيديهم؛ لذلك بدأ بمحاربتهم لأنهم الأقرب من الأعداء، ثم توجه لمحاربة العلويين في طبرستان، وهو يضعهم أيضًا في مصاف الخارجين عن الإسلام. ومن ثم كان هذا الاقتباس له أهمية خاصة في الفكر الذي تبناه رافع ابن هرثمة في محاربة أعدائه من الصفارية والعلويين؛ لأنهم خارجون عن الإسلام، فهو يضع بذلك تبريرًا لحروبه ضدهم.

النمط الثاني:

هذا النمط من دراهم مرو مماثل للنمط السابق تمامًا من حيث الشكل العام ونصوص الكتابات والتاريخ، ولكن الاختلاف بينهما في نصوص كتابات وجه هذا النمط؛ حيث ضرب الوجه بقالب السك مرتين فظهرت الكتابات غير جيدة وفي غير ترتيب سطورها، وذلك على النحو التالي:

الوجـــه

المركز: بالتوفيق
لا إله
محمد إلا الله
المعتمد رسول الله
على الله
والتسديد

هامش: تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء ....

(49) انظر عن هذه الدراهم:
Vasmer, Über die Münzen der Saffariden, No. 20; Zambaur, Die Münzprägungen des Islams, p. 239, Not. 22.

(50) منصور، عاطف، ثورة أحمد بن عبدالله الخجستاني كما = تظهرها النقود، ص 765؛ منصور، عاطف، أضواء جديدة على نقود أحمد بن عبدالله الخجستاني، ص 323؛ يوسف، فرج الله أحمد، الآيات القرآنية، ص ص 105 - 106.

(51) بارتولد، تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص 341.

الظـــهر

المركز: بالسنا
لله القدرة والعظمة
ومنه السعادة والنعمة
النجيب رافع بن هرثمة
والبها

هامش داخلي: بسم الله ضرب هذا الدرهم بمرو سنة تسع وستين ومائتين

هـامش خـارجي: قـاتلوا الـذين يلـونكم مـن الكفـار وليجدوا فيكم غلظةً واعلموا أن الله مع المتقين.

ويلاحظ في هذا النمط أن الوجه قد ضرب بقالب السك مرتين، وقد انحرف القالب في المرة الثانية؛ لذلك ظهرت الكتابات في غير ترتيب سطورها؛ حيث نجد أن السطر الأول الذي يتألف من شهادة التوحيد "لا إله إلا الله" قد جاءت كتاباته في سطرين غير منتظمين، السطر الأول به كلمتا "لا إله"، بينما جاءت كلمتا "إلا الله" في السطر الثاني، أما السطر الثاني الذي كان يجب أن ينقش فيه الرسالة المحمدية "محمد رسول الله"، فقد وردت فيه فقط كلمة "محمد"، بينما جاءت كلمتا "رسول الله" بالسطر الثالث. أما السطر الثالث والذي كان مخصصًا لتسجيل اسم الخليفة المعتمد على الله، فقد وردت فيه كلمة "المعتمد" بالإضافة إلى كلمتي "رسول الله" اللتين سقطتا من السطر الثاني، في حين جاءت بقية لقب المعتمد وهو كلمتا "على الله" في سطر رابع إضافي صنعه النقاش من خلال الضربة الخاطئة بقالب السك؛ لذلك جاء جزء من الكتابات في غير موضعها، وفي غير ترتيب سطورها. وهو الأمر ذاته الذي حدث مع كتابات هامش الوجه والذي يشتمل على الاقتباس القرآني من سورة آل عمران؛ حيث جاءت الكتابات القرآنية غير مرتبة ولا تسير في إطار واحد، ولكنها جاءت في مستويين كتابيين. كما أن بداية كتابات الهامش جاءت في غير موضعها أيضًا.

أما كتابات الظهر فجاءت صحيحة؛ لأنها ضربت بالقالب مرةً واحدةً، وهي مماثلة للنمط السابق.

وهذا الخطأ نادر الحدوث في نقود الثوار، والذين حرصوا على سك نقودهم بصورة صحيحة من حيث الشكل العام، والكتابات، والوزن، والعيار، وذلك لأهمية هذه النقود في الدعاية السياسية والاقتصادية لثوراتهم، وللإنفاق على أتباعهم وأنصارهم[52].

ويمثل هذا النمط درهم وحيد على مستوى العالم لم يسبق نشر مثيل له، وينشر في هذا البحث لأول مرة، محفوظ بمتحف قطر الوطني بالدوحة، ضرب مرو سنة 269 هـ، يبلغ وزنه: 2.78 جم، وقطره: 27مم[53]، (لوحة 2، شكل 2).

ثانيًا: دار سك نيسابور:

النقود التي وصلتنا باسم رافع بن هرثمة والمضروبة في دار سك نيسابور هي دراهم فضية كلها مؤرخة بسنة 270 هـ، ويبلغ عدد النماذج المعروفة منها على مستوى العالم اثنين فقط، الدرهم الأول محفوظ بجامعة توبنجن بألمانيا (لوحة 3، شكل 3)[54].

(52) من الجدير بالذكر أيضًا أن أحمد بن عبدالله الخجستاني رفيق الكفاح لرافع بن هرثمة قد سك بعض دراهمه المضروبة في هراة سنة 268 هـ خطأ؛ حيث استخدم قالب سك قديم من عهد الخليفة المتوكل على الله، انظر عن هذه الدراهم: منصور، عاطف، ثورة أحمد بن عبدالله الخجستاني كما تظهرها النقود، ص ص 766- 768؛ منصور، عاطف، = أضواء جديدة على نقود أحمد بن عبدالله الخجستاني، ص ص 326 - 329.

(53) رقم السجل في متحف قطر الوطني بالدوحة، 26150.

(54) رقم الحفظ في جامعة توبنجن بألمانيا: EAZBI، الوزن: 3.78 جم، القطر: 25 مم.

والدرهم الثاني محفوظ بمجموعة المرحوم سمير شما والمعارة حاليًا لمتحف الأشموليان بجامعة أكسفورد (لوحة 4، شكل 4)[55]. وهذان الدرهمان سبق أن قام بنشرهما الدكتور سعيد عبدالفتاح عطا الله في أطروحته لنيل درجة الدكتوراه[56]. ونقوم في هذا البحث – إن شاء الله- بنشر النموذج الثالث من هذه الدراهم، وهو درهم محفوظ بمجموعة المرحوم سمير شما أيضًا، لم يسبق نشره أو دراسته من قبل[57] (لوحة 5، شكل 5)، ويبلغ وزنه 3.23جم، وقطره: 23 مم.

والدراهم الثلاث السابقة تمثل نمطًا واحدًا يتميز الشكل العام له بوجود ثلاث دوائر متحدة المركز، بالوجه الدائرتان الداخليتان تحيطان بكتابات المركز، أما الدائرة الخارجية فتحيط بكتابات الهامش من الخارج. أما الظهر فيحيط به دائرة واحدة فقط تحصر بداخلها كتابات المركز والهامشين، وجاءت نصوص كتابات هذا النمط كما يلي:

الوجــه

المركز: بالتوفيق
لا إله إلا الله
محمد رسول الله
المعتمد على الله
والتسديد

هامش: اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير.

الظــهر

المركز: بالسنا
لله القدرة والعظمة
ومنه السعادة والنعمة
النجيب رافع بن هرثمة
والبها

هامش داخلي: بسم الله ضرب هذا الدرهم بنيسابور سنة سبعين ومائتين.

هامش خارجي: قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين.

ويلاحظ أن نصوص كتابات دراهم نيسابور تتفق تمامًا مع نصوص الكتابات المنقوشة على دراهم مرو السابقة، فيما عدا اسم مكان السك، والتاريخ، الأمر الذي يؤكد حرص رافع بن هرثمة على توحيد الطراز العام لنقوده التي يقوم بسكها في البلاد التي يستولي عليها حتى تكون علمًا عليه، وتختلف من حيث الشكل والمضمون عن نقود الخلافة العباسية، أو نقود أعدائه من الصفارية؛ لذلك جاءت النقود المبكرة لرافع بن هرثمة والمضروبة في مرو ونيسابور ذات طابع مميز من حيث الشكل العام، ونصوص الكتابات عن النقود الأخرى المعاصرة لها.

وقد أشارت المصادر التاريخية إلى أن رافع بن هرثمة قد نجح في الاستيلاء على نيسابور سنة 269 هـ بعد طرده لأبي طلحة منصور بن شركب منها[58]. ولم يصلنا نقود لرافع بن هرثمة ضرب نيسابور في سنة 269 هـ، وربما يكشف في المستقبل عن نقود سكت في هذا العام، وأقدم ما وصلنا هو هذه الدراهم المؤرخة بسنة 270 هـ، وقد تكون هي الإصدار الأول

(55) الوزن: 3.23 جم، القطر: 24 مم.

(56) انظر: عطا الله، سعيد عبدالفتاح، نقود نيسابور، ص ص 184 - 188، لوحة 38، 39.

(57) انتقلت ملكية مجموعة سمير شما الآن إلى متحف قطر = الوطني بالدوحة بعد شرائه لها.

(58) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مجلد 6، ص 311؛ النويري، نهاية الأرب، ج 25، ص 393؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، مجلد 3، ص 403.

لرافع بن هرثمة في نيسابور؛ نظرًا لأن الفترة التي دخل فيها نيسابور من سنة 269 هـ لم تكن كافيةً لأن يقوم فيها بإصدار النقود.

ثالثًا: دار سك هراة:

يوجد نموذج وحيد معروف على مستوى العالم سبق نشره من نقود رافع بن هرثمة المضروبة في هراة، وهو درهم مؤرخ بسنة 269 هـ محفوظ بمتحف الأرميتاج بروسيا. وفي هذا البحث نقوم – إن شاء الله- بنشر نموذج جديد ضرب هراة سنة 274 هـ لم يسبق نشره أو دراسته من قبل، محفوظ بمتحف قطر الوطني بالدوحة. وهذان الدرهمان يمثل كل منهما نمطًا مستقلاً بذاته، يمكن دراستهما على النحو الآتي:

النمط الأول:

يمثل هذا النمط درهم متحف الأرميتاج، والذي أشار إليه كل من ماركوف Markoff في سنة 1896م[59]، وفاسمير Vasmer سنة 1930م[60]، وزامباور في سنة 1968م[61]. ومن الجدير بالذكر أن ماركوف لم ينشر صورةً لهذا الدرهم، ولم يسجل لنا نصوص كتاباته، ولكن يغلب على الظن أنه مماثل في الشكل العام ونصوص الكتابات للإصدارات النقدية الأولى لرافع بن هرثمة. وهي الدراهم المضروبة في مرو سنة 269 هـ، ونيسابور سنة 270 هـ. وتاريخ سك هذا الدرهم في هراة وهو سنة 269 هـ له أهمية كبيرة فهو يوضح أن رافع بن هرثمة قد استولى على هراة لفترة من الوقت في ذلك العام. وقد أشارت المصادر التاريخية إلى أن رافع بن هرثمة كان موجودًا بهراة عند موت الخجستاني، وأن أصحاب الخجستاني أرسلوا إلى رافع في هراة، فتوجه إليهم في نيسابور سنة 269 هـ، وبعد خروج رافع من هراة ودخوله نيسابور، وطرده لأبي طلحة منصور بن شركب، سار الأخير إلى مرو فاستولى عليها، وجعل على هراة عاملاً من قبله وهو محمد بن مهتدي، وأقام الخطبة في هراة ومرو لمحمد بن طاهر، وذلك في سنة 269 هـ وسنة 270 هـ[62].

ومن ثمَّ يمكن القول إن رافع بن هرثمة قد استولى على هراة، وسك فيها هذا الدرهم في سنة 269 هـ قبل خروجه منها إلى نيسابور في ذلك العام.

النمط الثاني:

يمثل هذا النمط درهم وحيد على مستوى العالم محفوظ بمتحف قطر الوطني بالدوحة لم يسبق نشره أو دراسته من قبل، يبلغ وزنه: 4.10جم، وقطره 25 مم[63] (لوحة 6، شكل 6). والشكل العام لهذا الدرهم يتميز بوجود دائرتين متحدتي المركز بالوجه، الدائرة الداخلية تحيط بكتابات المركز والهامش الداخلي للوجه، بينما تحيط الدائرة الثانية بكتابات الهامش الخارجي. أما الظهر فيوجد به أربع دوائر متحدة المركز، ثلاثة منها تحيط بكتابات المركز، بينما تحيط الدائرة الخارجية بكتابات الهامش من الخارج. ونصوص كتابات هذا الدرهم جاءت كما يلي:

الوجـــه

المركز: لا إله إلا
الله وحده
لا شريك له
الموفق بالله
محمد بن أحمد

هامش داخلي: بسم الله ضرب هذا الدرهم بهراة سنة أربع وسبعين ومائتين.

(59) Markoff, Inventary Katalog …., p. 847.

(60) Vasmer, Über die Münzen, p. 139, No. 17.

(61) Zambaur, Die Münzprägungen ….., p. 264, Not. 12.

(62) ابن الأثير، المصدر السابق، مجلد 6، ص 311؛ ابن خلدون، المصدر السابق، مجلد 3، ص 403

(63) رقم السجل في متحف قطر الوطني بالدوحة: 1839.

هامش خارجي: لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.

الظهر

المركز: لله
محمد
رسول
الله
المعتمد على الله
رافع بن هرثمة

هامش: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

ويلاحظ على نصوص كتابات هذا النمط أنها تتشابه مع الطراز العام لنقود الخلافة العباسية[64]، وأيضًا نقود الدول المستقلة التابعة لها – في تلك الأثناء- مثل نقود الدولة الصفارية[65]؛ حيث نجد أن كتابات الوجه تتألف من مركز وهامشين، تتكون كتابات المركز من خمسة أسطر متتالية، تشتمل السطور الثلاثة الأولى على شهادة التوحيد كاملةً: "لا إله إلا/ الله وحده/ لا شريك له"، ونقش بالسطر الرابع لقب "الموفق بالله"، والذي يخص "أبا أحمد طلحة" أخا الخليفة العباسي المعتمد على الله، والذي كان يعد الرجل الأول في الخلافة العباسية آنذاك، وصاحب الأمر والنهي، ولم يكن للمعتمد من الخلافة إلا شاراتها، فكان يدعى له في خطبة الجمعة، وينقش اسمه على السكة، ويتسمى بأمير المؤمنين. وقد بايع المعتمد على الله لأخيه الموفق بالله بولاية العهد بعد ابنه جعفر المفوض إلى الله، وقسم بينهما أرض الخلافة العباسية، فجعل المفوض إلى الله على البلاد الغربية، والموفق بالله على البلاد الشرقية، وشرط عليهما أن يختص كل منهما بعمله، ولا ينظر أحدهما في عمل الآخر، وأن يقوم كل منهما بالنفقة على بلاده من خراجها، وأمر بكتاب البيعة فحفظ بالكعبة، وذلك في شهر شوال سنة 261 هـ[66]. وقد ظهر اسم الموفق بالله على نقود القسم الشرقي من الخلافة العباسية[67]. ومن بينها هذا الدرهم المضروب في هراة سنة 274 هـ.

أما السطر الخامس والأخير من كتابات مركز الوجه فنقش به اسم "محمد ابن أحمد"، وهذا الاسم لأبي داود محمد بن أحمد بن بانيجور (260 - 279 هـ/ 874 - 892م) حاكم بني بانيجور (بني داود) في طخارستان (232 – 372 هـ/ 846 – 982م)[68].

(64) انظر لمزيد من التفصيل عن نقود الخلافة العباسية في هذه الفترة للمقارنة: رمضان، عاطف منصور محمد، موسوعة النقود في العالم الإسلامي، ج1: نقود الخلافة الإسلامية (عصر الخلفاء الراشدين - الخلافة الأموية - الخلافة العباسية - الخلافة الفاطمية - الخلافة الأموية الأندلسية)، دار القاهرة، ط1، القاهرة، 2004م، ص ص 254 - 262.

(65) انظر عن نقود الدولة الصفارية في تلك الفترة:
Tornberg, Numi Cufici, pp. 147 – 151.

(66) انظر لمزيد من التفصيل: الصيرفي، رزق الله منقريوس، تاريخ دول الإسلام، ج1، الدار العالمية، ط1، القاهرة 1406 هـ/ 1986م. ص 115؛ حسن، حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، 4 أجزاء، القاهرة، ج 1، 1964م، ج 2 - 4، القاهرة 1991م، ج 3، ص ص 18 – 19.

(67) منصور، عاطف، موسوعة النقود في العالم الإسلامي، ج 1، ص ص 254 - 255.

(68) حكمت هذه الأسرة في البلاد الآتية: بلخ خلم، ترمذ، أندرابه، بنجهير، باميان. انظر لمزيد من التفصيل عن هذه الأسرة تاريخها ونقودها: زامباور، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ص 307.

Markoff: Inventory Katalag, pp. 171- 175. Vasmer, R., Beiträge Zur Muhammedanischen Münzkunde. Numismatische Zeitschrift, 1925 [pp. 49 - 84], pp. 49- 62; Al-Ush, Muhammad Abu-L-Faraj, Dirhams Abu Dawudides (Banu Banijuri); Revue Numismatique, 6 Série, tome XV, Paris 1973, [pp. 169 – 176, pl. XXI]; Bacharach, Jere L., Andarab and the Banjurids.

ويعد ظهور اسم حاكم بني داود محمد بن أحمد على هذا الدرهم المضروب باسم رافع بن هرثمة في غاية الأهمية؛ لأنه يلقي الضوء على أبعاد العلاقة السياسية بينهما وهو الأمر الذي لم تتحدث عنه المصادر التاريخية التي بين أيدينا.

ومن أجل التعرف على الأسباب التي كانت وراء نقش اسم محمد بن أحمد على دراهم رافع بن هرثمة، يجدر بنا أن نذكر أن محمد بن أحمد كان قد تولى الحكم في سنة 260 هـ/ 874م في الأقاليم والبلاد التي كانت مجاورةً لأملاك رافع بن هرثمة، وقد وصلنا له العديد من النقود المضروبة في البنجهير سنة 261 هـ، و263 هـ، وبلخ في سنة 263 هـ، واندرابه سنة 269 هـ، والبنجهير سنة 273 هـ، واندرابه من سنة 275 هـ حتى سنة 278 هـ وقد واجه محمد بن أحمد منافسةً شديدة من سعيد بن سعيد الذي استولى على اندرابه لفترات طويلة، وضرب فيها النقود باسمه حتى سنة 274 هـ، وهي السنة الأخيرة التي حكم فيها اندرابه قبل أن ينجح محمد بن أحمد في الاستيلاء عليها حتى وفاته في سنة 279 هـ، وقام بسك الدراهم فيها باسمه(69).

وكما سبق أن ذكرت فإن هراة لم تخلص لرافع ابن هرثمة إلا في سنة 272 هـ بعد أن طرد منها أبا طلحة منصور بن شركب، وقبض على مهدي بن محسن الذي خالفه وانضم إلى أبي طلحة منصور بن شركب. وقد دخل رافع بن هرثمة في حروب ضارية بعد ذلك ضد العلويين في طبرستان منذ سنة 275 هـ؛ لذلك يغلب على الظن أن رافع بن هرثمة قد عهد بحكم هراة إلى جاره محمد بن أحمد أثناء خروجه لمحاربة محمد بن زيد العلوي في طبرستان، وذلك خوفاً من سقوطها في يدي عمرو بن الليث الصفار، أو أي من أعدائه الآخرين؛ لذلك ضُرب هذا الدرهم وعليه اسم "محمد بن أحمد" والذي جاء بأسفل كتابات مركز الوجه، بينما جاء اسم رافع بن هرثمة بعد اسم الخليفة العباسي المعتمد على الله بمركز الظهر، ومن ثمَّ فإن هذا الدرهم له أهمية كبيرة في دراسة الأحداث السياسية لثورة رافع بن هرثمة، وأيضًا لدراسة علاقته مع جيرانه من بني داود.

أما كتابات هامش الوجه الداخلي فتشتمل على البسملة غير كاملة "بسم الله"، وفئة النقد "الدرهم"، واسم مكان السك، والتاريخ وهو "بهراة سنة أربع وسبعين ومائتين".

بينما يشتمل الهامش الخارجي على الاقتباس القرآني من سورة الروم، الآية (4 وجزء من الآية 5)، ونصه: ﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ﴾.

وجاءت كتابات مركز الظهر في ستة أسطر متتالية، نقش بالسطر الأول كلمة "لله". وجاءت الرسالة المحمدية "محمد/ رسول/ الله" بالسطور الثلاثة التالية، بينما نقش لقب الخليفة "المعتمد على الله" بالسطر الخامس، في حين جاء اسم "رافع بن هرثمة" بالسطر السادس والأخير، بعد اسم الخليفة العباسي. ويلاحظ أن اسم رافع بن هرثمة جاء بدون لقبه "النجيب"، الذي ظهر على إصداراته النقدية الأولى، الأمر الذي يؤكد أن الإصدارات النقدية الأولى لرافع بن هرثمة كان القصد منها في المقام الأول الجانب الإعلامي، والدعاية له ولثورته بين الناس.

أما هامش الظهر فقد اشتمل على الاقتباس القرآني من سورة الفتح (آية 28)، والصف (آية 9)

(69) انظر لمزيد من التفصيل:
Vasmer, Beiträge Zur Muhammedanischen Münzkunde, pp. 51 - 52.

"محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون".

ويلاحظ على هذا النمط من دراهم هراة أنه جاء مماثلاً للطراز العام لنقود الخلافة العباسية، وأيضًا نقود الدول المستقلة مثل الدولة الصفارية. ويبدو أن رافع بن هرثمة حين خلف الخجستاني وثار ضد الدولة الصفارية ضرب الإصدارات النقدية الأولى له وعليها شعارات ومبادئ ثورته للدعاية له بين الرعية، كما سبق أن ذكرت. ولكن بعد أن تولى حكم خراسان من قبل الخليفة العباسي المعتمد على الله، ومحمد بن طاهر، قام بإصدار نقوده باعتباره حاكمًا مستقلاً تابعًا للخلافة العباسية؛ لذلك جاءت نقوده على نفس الطراز العام لنقود الخلافة العباسية، وذلك حتى يضمن رواجها وقبولها بين الناس في شتى البلاد، باعتبارها نقودًا عباسيةً تحمل اسم الخليفة المعتمد على الله، وعامله على خراسان رافع بن هرثمة.

الخط العربي على نقود رافع بن هرثمة:

الخط الذي استخدم في تنفيذ نصوص كتابات رافع بن هرثمة هو الخط الكوفي البسيط(70)، وهو الخط الذي كان شائعًا في العالم الإسلامي آنذاك، ولكن اختلف في أسلوب تنفيذه على نقود رافع بن هرثمة، ويرجع ذلك في المقام الأول إلى مهارة النقاش في دار السك؛ حيث نجد أن هذا الخط يتسم بالغلظ والجمود على دراهم مرو، بينما يتسم بالرشاقة والدقة على دراهم نيسابور، وهو يتشابه إلى حد كبير مع الخط الكوفي البسيط الذي ظهر على دراهم نيسابور في عهد الخجستاني في عامي 267 هـ، 268 هـ(71).

الأمر الذي يجعلنا نعتقد بأن النقاش الذي قام بحفر قوالب السك الخاصة بنقود الخجستاني في نيسابور هو نفسه الذي قام بنقش قوالب السك الخاصة بدراهم نيسابور في عهد رافع بن هرثمة.

أما دراهم هراة فقد ظهر الخط الكوفي البسيط عليها في مرحلة متوسطة بين دراهم مرو ونيسابور، فهو ليس غليظًا وجامدًا مثل دراهم مرو، ولم يصل إلى درجة الرشاقة والجمال التي ظهر بها على دراهم نيسابور.

وزن النقود:

يبلغ عدد دراهم رافع بن هرثمة المعروفة الآن – بما فيها التي تنشر في هذا البحث لأول مرة- تسعة دراهم، لدينا أوزان لستة دراهم منها فقط، وهي درهما مرو سنة 269 هـ المحفوظان في متحف قطر الوطني، الدرهم الأول: 2.82 جم، والدرهم الثاني: 2.78 جم، ودراهم نيسابور، الأول في جامعة توبنجن وزنه 3.78 جم، ودرهما مجموعة سمير شما يبلغ وزن كل واحد منهما 3.32 جم، أما درهم هراة المحفوظ بمتحف قطر الوطني فيبلغ وزنه: 4.10 جم على الرغم من أنه مكسور.

وفي ضوء هذه الأوزان فإن رافع بن هرثمة قد حرص على سك نقوده عالية الوزن، فمعظمها تزيد على الوزن الشرعي للدرهم 2.97 جم، فيما عدا درهمي مرو، وهذا يرجع في المقام الأول إلى حرص رافع بن هرثمة على تحقيق الرواج التجاري لنقوده، وكسب ثقة مؤيديه، وكسب تأييد جنوده الذين سينفق عليهم هذه النقود ويدفع لهم رواتبهم بها، وهي

(70) الخط الكوفي البسيط هو خط متسق الحروف والكلمات والأسطر، فهناك تناسب بين حروف الكلمة الواحدة وبين الكلمة الأخرى في السطر الواحد، وهو خالٍ من الزخرفة، فلا يلحقه التوريق أو التخميل أو التضفير، ومادته كتابية بحتة. انظر: النبراوي، رأفت محمد، الخط العربي على النقود =

= الإسلامية، مجلة كلية الآثار، جامعة القاهرة، العدد الثاني، 1997م اص ص 1 – 173؛ ص 5.

(71) منصور، عاطف، أضواء جديدة على نقود أحمد بن عبدالله الخجستاني، ص 329.

أمور مهمة لا يمكن إغفالها؛ لأن كثيرًا من الناس أو الجند قد يخرجون عن طاعة رافع إذا حدث خلل اقتصادي أثر عليهم وعلى حياتهم اليومية، وهو ما يهم قطاعاً كبيراً من الناس بعيدًا عن السياسة والحروب.

وفي ضوء ما سبق يتضح لنا أهمية دراسة نقود رافع ابن هرثمة الذي حكم في إقليم خراسان لفترة طويلة من الزمن، وهو ما عبر عنه المؤرخ الكبير ابن الأثير بقوله: "لم يملك أحد من ولاة خراسان قبله مثله". وهو ما يتوافق مع النقود التي وصلتنا باسم رافع بن هرثمة، والتي تحمل مكان سكها مدن خراسان الرئيسية، وهي: مرو، ونيسابور، وهراة.

ومن خلال دراسة نقود رافع بن هرثمة يتضح لنا أنها تنقسم إلى نمطين رئيسيين؛ النمط الأول وهو الدراهم المضروبة في مرو سنة 269 هـ، وهراة سنة 269 هـ، ونيسابور سنة 270 هـ، والتي تتميز بأنها تتفق من حيث نصوص الكتابات المنقوشة عليها، وهو ما يحسن بنا أن نطلق عليه النمط الدعائي أو الإعلامي؛ لأنه يشتمل على الشعارات والعبارات الدعائية التي أعلنها رافع بن هرثمة بعد مبايعته بالحكم، والتي حرص على إعلام الرعية بها، والإعلان عن نفسه كحاكم جديد لإقليم خراسان. ومن أهم هذه الشعارات التي سجلت على هذا النمط الدعائي الاقتباس القرآني من سورة آل عمران، الآية (26): ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ﴾، والاقتباس القرآني من سورة التوبة، جزء من الآية (123): ﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾. وهذان الشعاران كان قد ظهرا على نقود أحمد بن عبدالله الخجستاني، وتبناهما رافع بن هرثمة والذي ورث ملك الخجستاني أيضًا، وكان لهما الدلالة ذاتها التي كانت سببًا وراء نقش الخسجتاني لهما.

ومن العبارات الدعائية التي ظهرت على هذا النمط الدعائي عبارة: "بالتوفيق والتسديد بالسناء والبهاء"، والتي سجلت بأعلى وأسفل كتابات مركز كل من الوجه والظهر، وكان ذلك دعاءً مهمًا لرافع بن هرثمة في بداية حياته الجديدة كحاكم لإقليم خراسان، وهو ما حرص عليه أيضًا رفيق كفاحه الخجستاني حين نقش دعاءه: "باليمن والسعادة بالنصر والظفر".

ومن الشعارات التي سجلها رافع بن هرثمة على هذا النمط الدعائي عبارة "لله القدرة والعظمة ومنه السعادة والرشد"، وهي ترتبط بحياة رافع بن هرثمة، واعتلائه لعرش خراسان كما سبق أن ذكرت.

أما النمط الثاني من دراهم رافع بن هرثمة فيمثله درهم هراة سنة 274 هـ، والذي سكه رافع بن هرثمة بعد أن تقلد حكم خراسان من قبل الخليفة العباسي المعتمد على الله، ومحمد بن طاهر، وكان ذلك نقلةً سياسيةً مهمةً في حياة رافع بن هرثمة، فلم يعد ثائرًا، ولكن صار عاملاً من قبل الخليفة على خراسان؛ لذلك قام بإصدار نقوده على الطراز العام لنقود الخلافة العباسية باعتباره واحدًا من عمالها؛ لذلك سجل اسمه على هذه النقود بأسفل اسم الخليفة العباسي "المعتمد على الله" باعتباره تابعًا له، وواليًا من قبله.

ويتضح لنا مما سبق أهمية دراسة نقود رافع بن هرثمة في إلقاء الضوء على العديد من الأحداث التاريخية التي لم يرد لها ذكر في المصادر التاريخية. فقد تبين من سك رافع بن هرثمة للدراهم باسمه في مدينة مرو سنة 269 هـ استيلاء رافع بن هرثمة على مرو في هذا التاريخ، وهو يصحح ما ذكرته المصادر التاريخية من أن استيلاء رافع بن هرثمة على مرو كان في سنة 272 هـ. كما يتضح من خلال دراهم هراة المؤرخة بسنة 269 هـ والمضروبة باسم رافع بن هرثمة أن رافع بن هرثمة قد سك هذه الدراهم أثناء وجوده في هراة وقبل خروجه منها في ذلك العام متوجهًا

إلى نيسابور، وقبل خضوعها لأبي طلحة منصور بن شركب في ذلك العام أيضًا.

كما كشفت لنا نقود رافع بن هرثمة عن العلاقة بين بني بانيجور (بني داود) ممثلةً في حاكمها "محمد بن أحمد"، وبين رافع بن هرثمة؛ حيث تولى محمد بن أحمد حكم مدينة هراة في سنة 274 هـ برعاية رافع بن هرثمة، وربما كان ذلك بسبب خروج رافع لمحاربة العلويين في طبرستان، فعهد بحكم هراة - التي كانت مطمعًا لأعدائه - إلى من يطمئن إلى ولائه، وهو محمد بن أحمد.

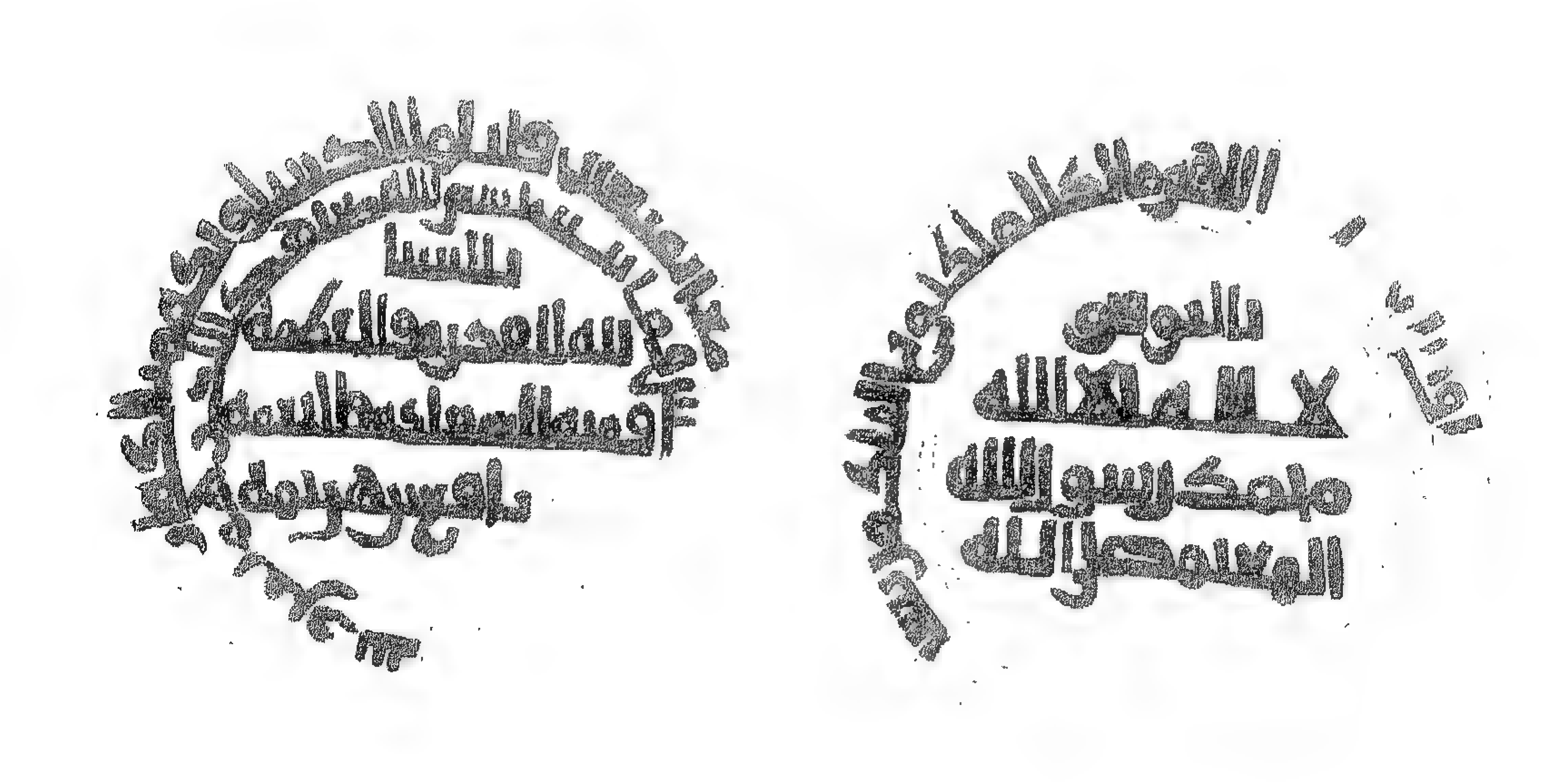
ومن الإضافات المهمة في هذا البحث الدراهم الجديدة التي تنشر لأول مرة، وهي ثلاثة في متحف قطر الوطني، والرابع في مجموعة المرحوم سمير شما، والتي انتقلت الآن إلى متحف قطر الوطني بعد شرائه لها، وهذه الدراهم منها اثنان ضرب مرو سنة 269 هـ، ودرهم ضرب هراة سنة 274 هـ، ودرهم ضرب نيسابور سنة 270 هـ.

ونلاحظ أن أحد درهمي مرو سنة 269 هـ قد حدث به خطأ في عملية السك؛ حيث ضرب الوجه بقالب السك مرتين؛ مما أدى إلى انحراف الكتابات عن موضعها الطبيعي في السطور، وظهرت بعض الكلمات في غير موضعها، وذلك نتيجةً للضربة الثانية الخاطئة للقالب. وهو درهم نادر ووحيد على مستوى العالم، وله أهمية خاصة؛ لأن هذا الخطأ نادر الحدوث في نقود الثوار والخارجين، والذين حرصوا على إصدار نقودهم بصورة جيدة من حيث الشكل العام والكتابات والوزن والعيار.

وتجدر الإشارة أيضًا إلى أن درهم هراة سنة 274 هـ هو درهم وحيد على مستوى العالم لم يسبق نشر أي مثيل له ، ويمثل إضافةً جديدةً لنقود هذا الحاكم، كما أنه يمثل آخر النقود المعروفة التي وصلتنا باسم رافع بن هرثمة، والتي يرجع أقدمها إلى سنة 269 هـ، وآخرها هذا الدرهم المؤرخ بسنة 274 هـ.



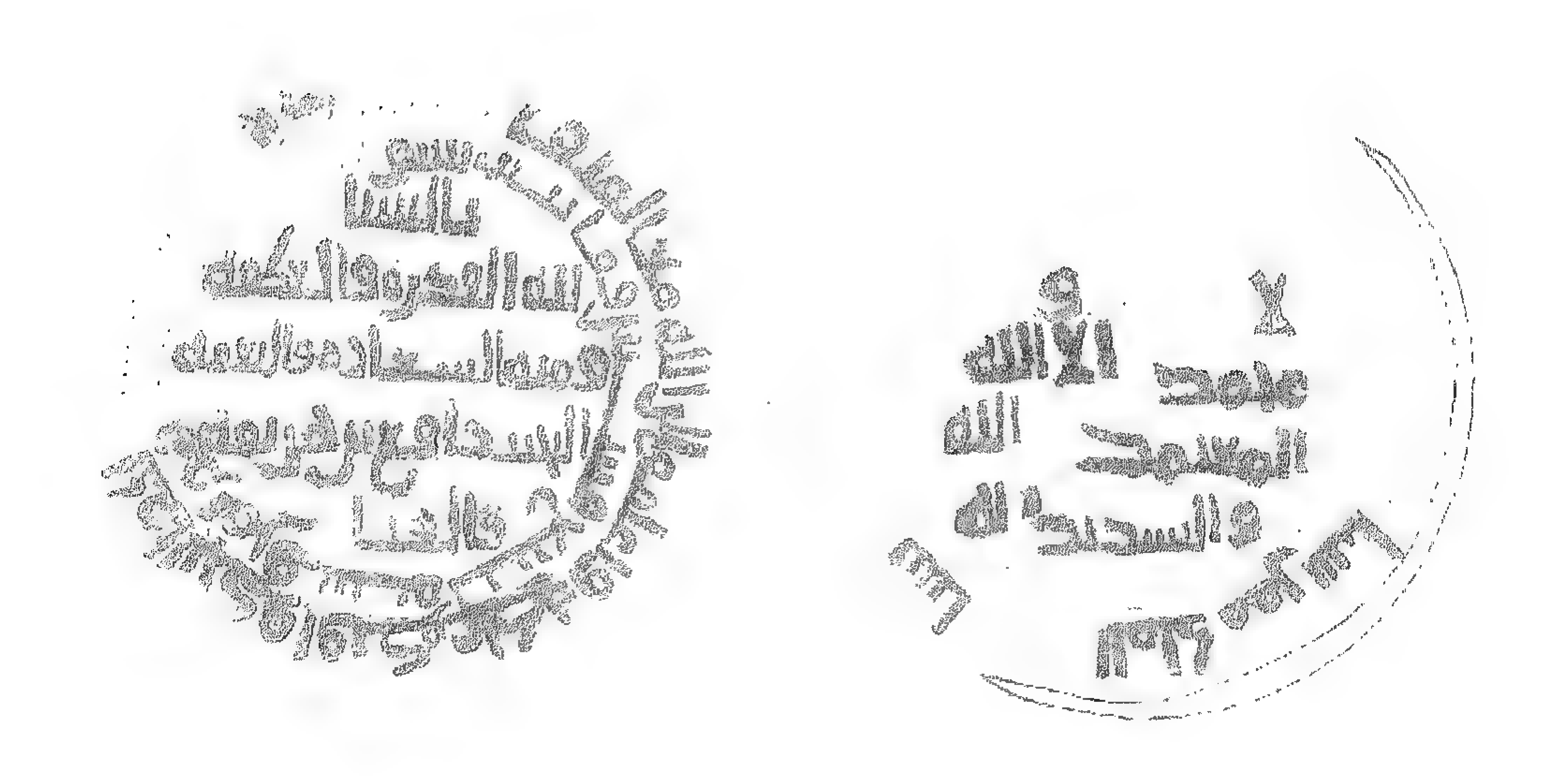
لوحة (1) درهم باسم رافع بن هرثمة ضرب مرو سنة 269 هـ محفوظ في متحف قطر الوطني بالدوحة تحت رقم 18039 لم يسبق نشره من قبل، الوزن 2.82 جم، القطر 24.5 مم



رسم توضيحي للدرهم العلوي



لوحة (2) درهم رافع بن هرثمة ضرب مرو سنة 269 هـ، ضرب الوجه بقالب السك مرتين، محفوظ في متحف قطر الوطني بالدوحة تحت رقم 26150 لم يسبق نشره من قبل، الوزن 2.78 جم، القطر 27 مم



رسم توضيحي للدرهم العلوي




لوحة (3) درهم باسم رافع بن هرثمة ضرب نيسابور سنة 270 هـ محفوظ في جامعة توبنجن بألمانيا تحت رقم EAZB I ، الوزن 3.78 جم، القطر 25 مم، نقلاً عن: عطا الله، نقود نيسابور، لوحة (38)




رسم توضيحي للدرهم العلوي





لوحة (4) درهم باسم رافع بن هرثمة ضرب نيسابور سنة 270 هـ محفوظ في مجموعة المرحوم سمير شما المعارة لمتحف الأشموليان باكسفورد، الوزن 3.23 جم، القطر 24 مم، نقلاً عن: عطا الله، نقود نيسابور، لوحة (39)





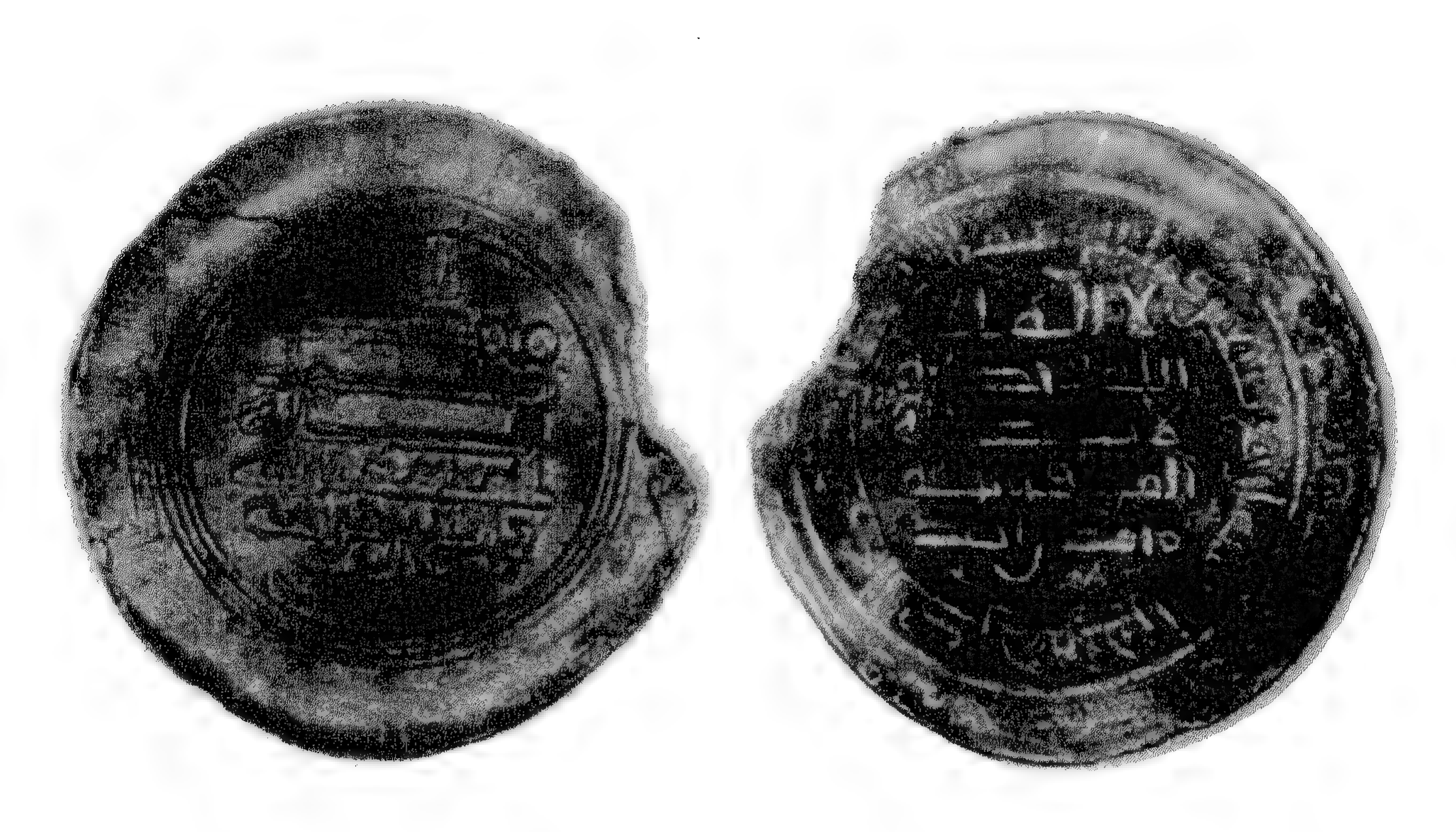
رسم توضيحي للدرهم العلوي



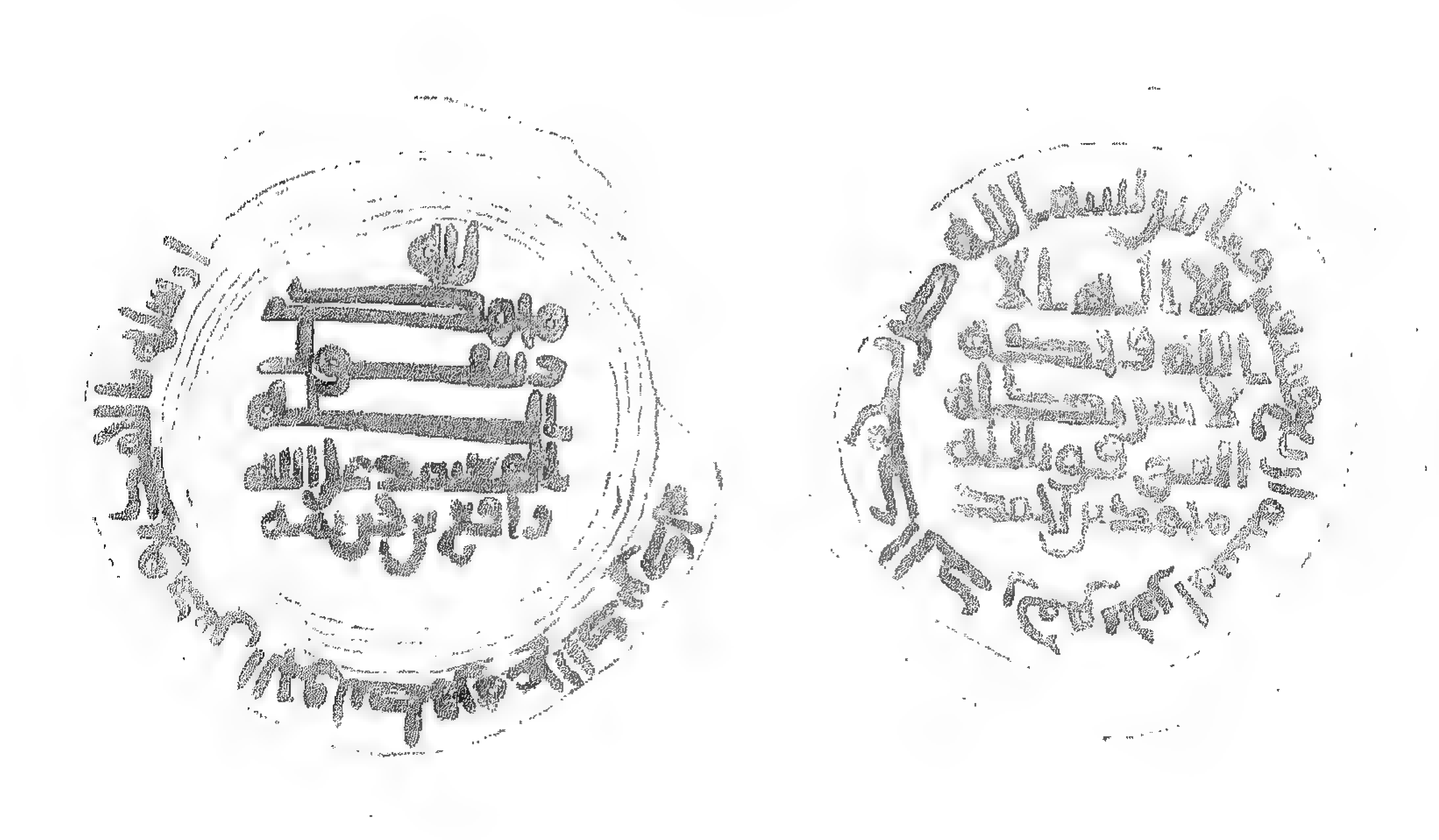

لوحة (5) درهم باسم رافع بن هرثمة ضرب نيسابور سنة 270 هـ محفوظ في مجموعة المرحوم سمير شما المعارة لمتحف الأشموليان باكسفورد، لم يسبق نشره من قبل، الوزن 3.23 جم، القطر 23 مم.




رسم توضيحي للدرهم العلوي



لوحة (6) درهم باسم رافع بن هرثمة ضرب هراة سنة 274 هـ محفوظ في متحف قطر الوطني بالدوحة، تحت رقم 1839، لم يسبق نشره من قبل وهو درهم فريد على مستوى العالم، الوزن 4.10 جم، القطر 25 مم.



رسم توضيحي للدرهم العلوي

العصور، المجلد الثامن عشر، الجزء الثاني، 85 – 105 (2008م)

أضواء جديدة على نقود قراارسلان بك

د. سعيد عبدالفتاح عطا الله

ملخص البحث:

بدأ البحث بمقدمة تاريخية عن الظروف السياسية والعسكرية التي أحاطت بقيام إمارة كرمان السلجوقية، ضمن الدولة السلجوقية وقيام قراارسلان بك أول حاكم الإمارة بضرب النقود في مدن إقليم كرمان وبعض كور ومدن إقليم فارس، حيث قمت في هذا البحث بنشر ودراسة ستة دنانير لأول مرة لم تنشر وتدرس دراسة علمية من قبل، وقد سجل قراارسلان بك ألقاب وسام والده على نقوده حتى وفاته عام 451 هـ/1095م وناقش البحث الأسباب من وراء ذلك وبعد وفاة والده ظل يحكم منفرداً حتى مقتله سنة 465 هـ/1072م، ولم يسجل اسم وألقاب السلطان السلجوقي على نقوده طوال فترة حكمه إلا على نقده الذهبي المضروب في شيراز عام 544 هـ. وألقى البحث الضوء على الظروف السياسية والعسكرية من وراء تسجيله لألقاب واسم السلطان السلجوقي على هذا النقد، كما أثبتت نقوده التي ضربها في بعض مدن إقليم فارس أنها كانت تحت سيطرته، واظهرت نقوده أنه ظل يحكم منفرداً بعد وفاة والده وحتى مقتله في 465 هـ/1072م.

وصحح البحث آراء بعض العلماء حول نقود قراارسلان بك في أنها اقتصرت على الدنانير التي ضربها في بردسير سنة 462 هـ، كما ألقى البحث الضوء على المغزى السياسي والعسكري وراء نقشه لبعض رسوم أدوات القتال كالقوس والسهم والسيف على نقوده، كما تعرض البحث بالدراسة لجميع أنواع الزخارف الأخرى، والتي نقشت على تلك النقود التي ضربها حاكم سلاجقة كرمان، وأنهيت البحث بملخص لما جاء به من نتائج.

يشغل الأتراك السلاجقة حقبة هامة في تاريخ العالم الإسلامي بعامة، وفي الفترة التي سبقت ظهورهم على مسرح التاريخ السياسي للإسلام بصفة خاصة، حيث كانت الخلافة العباسية آيلة للزوال وذلك أن الدولة الإسلامية التي كانت في وقت ما تحت حكم واحد قد انقسمت إلى دول كثيرة[1].

وقد خرج الأتراك السلاجقة في كتلة عظيمة مكتسحين كل الدول التي صادفتهم في الطريق فانتشروا في إيران والجزيرة وسورية والأناضول، وترتب على ذلك أن دخلت البلاد الإسلامية الآسيوية من غرب أفغانستان إلى البحر المتوسط مرة أخرى تحت حكم شخص واحد[2].

(1) سليمان، أحمد السعيد، تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسرات 2 جزء، القاهرة 1970م، ج 2، ص 313 ؛ بول، لين، الدول الإسلامية، ترجمة: محمد صبحي فرزات ومحمد أحمد =

= دهمان، القسم الأول، دمشق 1973م، ص 311.

(2) سليمان، أحمد السعيد، المرجع السابق، ص 313.

وفي عـام 429 هــ / 1037 م عنـد قيـام دولـة السـلاجقة ذكـر اسـم جغـري بـك داوود في الخطبـة في مرو كما ذكـر اسـم طغرلبك محمـد في الخطبـة في نيسـابور بعـد هزيمـة الغزنـويين والاسـتيلاء علـى خراسـان[3]، ورغـم أن جغـري بـك كـان الأخ الأكـبر لطغرلبك لكنه كان يقـر لأخيـه طغرلبـك بالقيـادة في زعامة السـلاجقة، وذلـك لما كـان يتمتـع بـه مـن قـوة الشخصية والـذكاء الحـاد والشـجاعة الفائقـة[4]. وقـد رأى طغرلبـك أن تحقيـق أهـداف السـلاجقة تقتضـي جمـع الكلمـة وتكتـل القـوى ولكـي يبعـد عـنهم الخصومة والتنافس عـين كـل واحد منهم علـى ولايـة من الولايات وسيره إليها، وسمح له أن يفتح ما يستطيع فتحـه مـن الجهـات المجـاورة لهـا ويضـمه إليـه دون منازع[5]، فكانت ممتلكات جغري بك داوود تشمل من نيسابور إلى جيحون وما يفتحه مـن وراء النهـر[6]، بينما نصب قراارسلان بك وهو أكبر أولاد جغري بك داوود علـى ولايـة الطبسـين وكرمـان[7]، حيـث حـاول السلاجقة فتحها منذ سنة 434 هـ / 1042 م[8]، وقد دخل أبو كاليجار البويهي (415 - 440 هـ/1024 - 1048م) في الصلح مع السلطان طغرلبك محمد عام 439 هـ /1047م مخافة أن يستولي إبراهيم بن إينال على العراق وخوزستان وفارس وكرمان فقبل طغرلبك عرضه للصلح وكتب إلى أخيه إبراهيم بن إينال في نفس العام(439 هـ / 1047م)[9].

وكانت إمارة كرمان في سنة 440 هـ / 1048 م مع بقية ملك بني بويه في يد الملك الرحيم أبو نصر خسرو فيروز (440 - 447 هـ/1048 - 1056م) إلا أنه لم يستطع أن ينقذ كرمان من خطر السلاجقة، وفي عام 445 هـ / 1053م تمكن فولادستون (440 – 448 هـ /1048 - 1057 م) أحد أبناء الملك الرحيم من الاستيلاء على شيراز عاصمة إقليم فارس من يد أبيه الملك الرحيم وطلب العون من السلطان طغرلبك الذي أعانه وخطب له فيها ثم للملك الرحيم ثم لنفسه، وقد استعاد الملك الرحيم شيراز لبعض الوقت عـام 447 هــ / 1056م إلا أنهـا دخلـت في أمـلاك السلاجقة في نفس العـام مع انهيار دولة بني بويه[10].

ولم تحـظ أخبـار سـلاجقة كرمـان بكـثير مـن الأخبـار في المصـادر والمراجـع التاريخيـة، فـلا نكـاد نسـمع مـن أخبـارهم إلا النـزر اليسـير ففـي سـنة 447 هــ/1056م كانـت كرمـان تحـت سـيطرة قراارسـلان بـك[11]، كمـا تـذكر المراجع التاريخية إشارة لهم عند استنجاد السلطان طغرلبك بأولاد أخيه

(3) سليمان، أحمد السعيد، المرجع نفسه، ص 314؛ بول، لين، المرجع السابق، ص 313. وتجدر الإشارة إلى أن اسم جغري باللغة التركية يعني " اللامع " أو المتألق بينما اسم طغرلبك معناه " القصاب " وهو مصغر من الاسم دوغرال، حيث كان لكل منها اسم تركي واسم إسلامي حيث تسمى جغري باسم داوود وتسمى طغرل باسم محمد، ولمزيد من المعلومات انظر: فامبري، ارمينوس، تاريخ بخارى، ترجمة: أحمد محمود الساداتي، القاهرة 1965 م، ص 129 حاشية 1.

(4) حسنين، عبدالنعيم محمد، سلاجقة إيران والعراق، المكتبة التاريخية 7، ط 2، القاهرة 1970 م، ص 31، حاشية 1، ص 32.

(5) محمود، حسن أحمد والشريف، أحمد إبراهيم، العالم الإسلامي في العصر العباسي، القاهرة 1995 م، ص 432.

(6) الحسيني (صدر الدين بن علي) كتاب أخبار الدولة السلجوقية، اعتنى بتصحيحه: محمد إقبال، ط 1 بيروت 1984م، ص 17؛ علوي، ناصر خسرو، سفرنامه، ترجمة: يحيى الخشاب، القاهرة 1993 م، ص 43.

(7) محمود، حسن أحمد والشريف، أحمد إبراهيم، المرجع السابق، ص 432.

(8) ابن الأثير (علي بن أحمد ت 630 هـ) الكامل في التاريخ 10 أجزاء مراجعة: محمد يوسف الدقاق، بيروت 1995م ج 8، ص ص 258 - 259؛ حسنين، عبد النعيم، المرجع السابق، ص 36؛ حسن، حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي أربعة أجزاء القاهرة 1991، ج 1، ص 11.

(9) ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 276.

(10) إقبال، عباس، تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية (205 هـ /820 م - 1343 هـ/1925م) ترجمة: محمد علاء الدين منصور، مراجعة: السباعي محمد السباعي، القاهرة 1990 م، ص ص 234 - 235.

(11) الأصفهاني (عماد الدين محمد بن محمد بن حامد الأصفهاني)، تاريخ دولة آل سلجوق، اختصار: الفتح بن علي بن محمد البنداري الأصفهاني، مصر 1318هـ /1900م، ص 30.

ومنهم حاكم كرمان والذي أمده بالعسكر في مواجهة السلطان طغرلبك مع أخيه إبراهيم بن إينال، حيث هزمه وقتله في الري عام 451 هـ/ 1059م[12].

ويبدو أن وفاة جغري بك داوود قد أثرت بشكل ما في الحياة السياسية لسلاجقة كرمان[13]، حيث ذكرت المصادر التاريخية أن قراارسلان بك قد استولى على شيراز سنة 455 هـ/ 1063م وخالف أخاه السلطان ألب أرسلان (455 - 465 هـ /1063 - 1072م) وتحصن منه في مدينة بردسير بكرمان[14] غير أن نقوده المضروبة في شيراز عام 454 هـ/1062م تثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن هذه المدينة كانت تحت سيطرته في نفس العام، ويبدو أن وجود السلطان ألب أرسلان بكرمان حسبما ذكرت المصادر التاريخية كان لقمع هذا التمرد من جانب أخيه قراارسلان بك[15] وتذكر المصادر التاريخية أن قراارسلان بك قد خرج على ألب أرسلان سنة 459 هـ / 1066م إلا أنه حين علم بمقدم أخيه الب ارسلان عاد من عصيانه وأظهر الطاعة[16]. وفي نفس العام تذكر بعض المراجع أن حاكم كرمان قد أرسل حملة عبر الخليج من هرمز واستولى على المناطق التي كانت خاضعة لنفوذ البويهيين بعمان[17]، وشجع قراارسلان بك التجارة المارة عبر كرمان في طريقها إلى سجستان والهند، كما حافظ على أهمية تجارة الخليج[18].

وقد خرج قراارسلان بعد مقتل السلطان ألب أرسلان عام 465 هـ / 1072 م على ابن أخيه السلطان ملكشاه (465 - 485 هـ/1072 - 1093م) مطالباً بالري وببقية الممالك لنفسه من يد ابن أخيه إلا أن السلطان ملكشاه تمكن من هزيمته وقتله في نفس العام[19] وظلت أسرته تحكم كرمان حتى عام 579 هـ /1183 م إلى أن أسقط التركمان الغز حكمهم[20].

وقمت بنشر ستة دنانير في هذا البحث لأول مرة وسوف أتتبع النقود التي ضربها قراارسلان بك مستخدماً الترتيب الزمني الأقدم إلى الأحداث، متتبعاً تطور الأحداث التاريخية التي شهدتها إمارة كرمان في عهد قراارسلان من خلال النقود التي ضربت باسمه في مدن كرمان وبعض مدن إقليم فارس على النحو التالي:

---

(12) الخضري، الشيخ محمد، محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية، الدولة العباسية، بيروت 1996م، ص 360.

(13) تضاربت آراء المؤرخين حول تاريخ وفاة جغري بك داوود، حيث ذكر العيني أنه توفي سنة 450 هـ، بينما ذكر صدر الدين بن علي الحسيني أنه توفي عام 452هـ، وأورد ابن الأثير وفاته سنة 451هـ لمزيد من المعلومات انظر:
العيني (بدر الدين): السيف المهند في سيرة الملك المؤيد شيخ المحمودي، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، القاهرة 2003م، ص 173؛ الحسيني، المصدر السابق، ص 29؛ ابن الأثير المصدر السابق، ج 8، ص 349؛ الصدفي، رزق الله منقريوس، تاريخ دول الإسلام، ج 2، القاهرة 1907م، ص 97؛ زامباور، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ترجمة: زكي محمد حسن وآخرين القاهرة 1951 - 1952، ص 333، حاشية 2.

(14) الأصفهاني، المصدر السابق، ص 30.

(15) النويري (شهاب الدين أحمد عبد الوهاب ت 733هـ) نهاية الأدب في فنون الأرب، ج 26، تحقيق: محمد فوزي العنتيل، = محمد طه الحاجري القاهرة 1985 م، ص 309.

(16) ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 379؛ النويري، المصدر السابق ج 26، ص 311.

(17) ودران، روبرت دارلي، تاريخ النقود في سلطنة عمان، مسقط سنة 1990م، ص 42.

(18) ودران، روبرت دارلي، المرجع السابق، ص 42.

(19) ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 396؛ الأصفهاني، المصدر السابق، ص ص 46 – 47؛ الفقي، عصام الدين عبدالرؤوف، الدول الإسلامية المستقلة في الشرق القاهرة 1987، ص 167؛ محمود، حسن أحمد، والشريف، أحمد إبراهيم، المرجع السابق، ص 458.

(20) زامباور، معجم الأنساب ص 335م؛ سليمان، أحمد السعيد، تاريخ الدول الإسلامية، ج 1، ص ص 319 - 320؛ بول، لين، الدول الإسلامية، ص 333؛ حسن، حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج 4، ص ص 86 - 87.

1- دينار ضرب جيرفت باسم قراارسلان بك سنة 448 هـ[21]

الوجه:

مركز:

لا إله الا الله

وحده لا شريك له

الملك العادل

قراارسلان بك

هامش داخلي: بسم الله ضرب هذا الدينار بجيرفت سنه ثمان وأربعين وأربعماية هامش خارجي: لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.

الظهر:

مركز:

محمد رسول الله

القايم بأمر الله

ملك الملوك

جفري بك

هامش: محمد رسول الله أرسة بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون

وسجلت كتابات مركز الوجه في أربعة أسطر متوازية تمثل شهادة التوحيد السطرين الأول والثاني بينما جاءت ألقاب واسم قراارسلان بالسطرين الأخيرين ونقش أعلى المركز بزخرفة القوس وبداخله السهم، وكان هذا بمثابة رمزاً للسلاجقة اتخذوه إبان قيام دولتهم واستمر يظهر على كثير من نقود السلاجقة العظام[22]، ويلاحظ أن قراارسلان قد تلقب على هذا النقد بلقب " الملك العادل "[23] وكان لقب " الملك " يطلق على الرئيس الأعلى للسلطة الزمنية، غير أنه في العصر الإسلامي ظهر اللقب على أثر استقلال الولاه من جهة واستبداد بعض الأمراء بالسلطة السياسية في عاصمة الخلافة وكان يحمل في طياته معنى السيادة العليا. وأطلق اللقب على الأمراء السامانيين والغزنويين كما عرف في عصر بني بويه وكذا في العصر السلجوقي، حيث أصبح لقباً للولاة الفرعيين، بينما اختص زعيم السلاجقة بلقب السلطان[24] وقد ضرب قراارسلان هذا الدينار في العام التالي لسيطرته على كرمان، بمدينة جيرفت إحدى أهم مدن إقليم كرمان [25].

(21) ينشر هذا الدينار لأول مرة، وكان قد عرض في مزاد اسبنك، الوزن: 5.62 جم، انظر:
Spink and sons Auctions 22, No. 403
ونشر وليم قازان ديناراً مشابهاً، ولكنه قرأ اسم جفري بك على أنه طغرلبك. لمزيد من المعلومات انظر: قازان، وليم، المسكوكات الإسلامية، مجموعة خاصة بيروت 1983 م، رقم 1031، الوزن: 3.15 جم القطر: 24 ملم.

(22) عطا الله، سعيد عبدالفتاح، نقود نيسابور منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط الدولة الخوارزمية مخطوط رسالة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى كلية الآثار جامعة القاهرة سنة 2003، ص ص 402 - 403.

(23) الأصفهاني، المصدر السابق، ص 47.

(24) الباشا، حسن، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، القاهرة 1957 م، ص ص 496 – 498.

(25) جيرفت: تقع مدينة جيرفت على طريق هرمز جنوب كرمان وصفها البلدانيون المسلمون بأن طولها ميلان، يتخللها النهر الذي أطلق عليه الجغرافيون العرب اسم " خليل رود " أو حليل رود " =

= كما أسماه الفرس بإسم " ديورود " أي نهر إبليس لشدة جريانه، ووصفها ماركوبولو في القرن السادس الهجري / العاشر الميلادي بأنها أكثر اتساعاً من اصطخر، وهي متجر خراسان وسجستان، ويكثر في نواحي جيرفت الرطب والجوز والأترج والنرجس الذي يصنع منه الطيب المشهور، وللمدينة حصن بأربعة أبواب ولا تزال خرائب جيرفت موجودة إلى اليوم. انظر لمزيد من المعلومات: الاصطخري (أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي، ت في النصف الأول من ق 4 هـ) المسالك والممالك، تحقيق: محمد جابر عبد العال الحيني ومحمد شفيق غربال، القاهرة 2004 م، ص 99؛ المقدسي (المعروف بالبشاري ت 387هـ) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم القاهرة 1991 م، ص 416؛ ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ت 626 هـ) معجم البلدان، تحقيق: فريد عبدالعزيز الجندي، خمسة أجزاء، بيروت 1990، ج 2، ص 230؛ لسترانج، كي، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة: كوركيس عواد وبشير فرنسيس، بيروت 1985 م، ص ص 352 - 354. =

أما نقوش مركز الظهر فقد سجلت في أربعة أسطر متوازية جاءت الرسالة المحمدية في السطر الأول، واحتل اسم الخليفة العباسي السطر الثاني، بينما سجلت ألقاب واسم جغري بك في السطرين الثالث والرابع. ويلاحظ أن جغري بك داود قد تلقب بلقب " ملك الملوك "(26) ولعل قراارسلان قد نقش هذا اللقب لوالده من قبيل التشريف والتعظيم وإظهار التبعية السياسية لوالده ضمن إطار الدولة السلجوقية، ونقش أعلى مركز الوجه رسماً للقوس بداخله السهم وكان هذا بمثابة شعار اتخذه السلاجقة إبان انتصارهم على الغزنويين وإقامة دولتهم، حيث كانوا قوماً من المحاربين الأشداء اعتمدوا على قوتهم وأسلحتهم التي كان يرد ذكرها في أدبياتهم(27)، بينما حفر بأعلى مركز الظهر رسم لزخرفة ورقة نباتية ثلاثية نفذت بطريقة تجريدية(28) ونقشت كتابات النقد بالخط الكوفي ذي النهايات المتطورة التي تظهر في رؤوس وحواف الحروف، حيث يظهر هذا التطور في حرف الياء من اسم جغري وحرف الكاف من كلمة بك (لوحة رقم 1). ومن الملاحظ أن السكة السلجوقية لم تخرج عن إطار السكة العباسية في الهوامش بكل من الوجه والظهر وما سجل عليها من اقتباسات قرآنية (لوحة رقم 2)

ويتنافى هذا النقد مع ما ذكره بعض العلماء أن نقود قراارسلان بك اقتصرت على دنانير بردسير المؤرخة بسنة 462 هـ(29).

2- درهم سلجوقي باسم قرا ارسلان بك ضرب ببم سنة 450 هـ(30)

الوجه:

مركز: عدل

لا إله الا الله

وحده لا شريك له

الملك العادل

قراارسلان بك

هامش: بسم الله ضرب هذا الدرهم ببم سنه خمسين وأربعماية.

الظهر:

مركز:

محمد رسول الله

القايم بأمر الله

ملك الملوك

جغري بك

= Zambaur: Die Miinzpragungen Des Islams, wiesbeaden, 1968 , P. 163 - Whitcob , Donald s.: the American Numismatic Society Museum notes 1976, PP. 171 - 172.

(26) لم يتلقب جغري بك داوود بهذا اللقب على النقود التي ضربت باسمه في مدن خراسان انظر:

Gilles Hennequin, catalcogue des Monnaies Msulmanes de La bibliotheque Nationale, Asia pre- Mongole Les salguqs et Leurs successeurs, Paris 1985, No. 48, pl. II.

كما لم يسجل ألب أرسلان بن جغري هذا اللقب لوالده على النقود التي ضربها باسميهما معاً، انظر:

Sourdel, Dominque, un tresor, DE dinars Gazanwides ET Seljuqides decovert en Afghanis, Bulletin d'Etudes orientales institut =

= Francais de damas 1963, NO. 150 (Ag) Pl.vi.- Richard w. Bullet: Numismatic evidence for the relationship between Tughril Beg and chaghri Beg studies in honor of George C.Miles. Bierut, 1974, PP. 290-293.

(27) عطا الله، سعيد عبدالفتاح، المرجع السابق، ص 403.

(28) الحسيني، محمد باقر، نقود السلاجقة مخطوط رسالة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى كلية الآداب جامعة القاهرة سنة 1968.

(29) الحسيني، محمد باقر، المرجع السابق، ص 90؛ القيسي، ناهض عبدالرازق، موسوعة النقود في العراق بغداد 2001، ص 170.

(30) Lowick: Seljuq couis, Numismatic chronicle, (London) 1970: No, 20: Pl.xv III, 4.

هامش: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

جاءت كتابات مركز الوجه والظهر مثل الدينار السابق، فيما عدا تسجيل كلمة " عدل " أعلى مركز الوجه، ومن المعتقد أن هذه الكلمة التي سجلها حاكم سلاجقة كرمان على هذا الدرهم ذات مدلول سياسي أكثر من مدلولها الاقتصادي، ولعله قصد بها طمأنة الرعية بأنه عدل في حكمه وملكه. إلا أننا لا نستطيع أن ننفي معناها الاقتصادي من جودة العيار ووفاء الوزن، وأنها نقود شرعية من إصدار دار الضرب الرسمية للدولة، وذلك لحث الناس على الإقبال عليها والتعامل بها[31]، لا سيما أن النقد من الإصدارات المبكرة لسلاجقة كرمان.

ويلاحظ أن هذا النقد قد ضرب بمدينة محلية صغيرة تقع شرقي إقليم كرمان هي مدينة "بم"[32]. وقد ظهرت كدار لضرب النقود في عصر بني بويه، كما أصدرت ديناراً سلجوقياً مؤرخاً بعام 445 هـ[33].

وحفرت رسماً لنجمة ثمانية الأطراف أسفل مركز الوجه، بينما رسم القوس بداخله السهم أعلى مركز الظهر.

3- درهم سلجوقي باسم قرارسلان بك ضرب اردشيرخرة عام 450 هـ[34]

جاءت كتابات وزخارف الوجه والظهر بهذا الدرهم كما هي في الدرهم السابق، بينما لم تسجل كلمة (عدل) أعلى كتابات مركز الوجه كما هي في الدرهم السابق.

ويثير ضرب قرارسلان بك لهذا الدرهم بأردشيرخرة[35] الكثير من التساؤلات - إذا صحت قراءة طبطبائي - حيث يثبت هذا النقد بما لا يدع مجالاً للشك ان أردشيرخرة وهي من أهم كور إقليم فارس كانت تحت سيطرته قبل أن يضرب في شيراز نقده المؤرخ بسنة 454 هـ، وهذا ما لم يتطرق إلى ذكره المؤرخون مطلقاً، فيما عدا ما ذكروه عن استيلائه على شيراز[36] ولعل قرارسلان بك قد أراد تأكيد استيلائه على كورة أردشيرخرة من خلال ضربه لهذا النقد، وقبل أن يضرب نقده المشار إليه سابقاً في شيراز التي تعد إحدى مدن أردشيرخرة.

---

(31) رمضان، عاطف منصور محمد، الكتابات غير القرآنية على السكة في شرق العالم الإسلامي، مخطوط رسالة دكتوراه غير منشورة مقدمه إلى كلية الآثار، جامعة القاهرة سنة 1998م، ص 124.

(32) بم: تقع في الجنوب الشرقي من ماهان على حافة المفازة العظمى عند الحد الشرقي لإقليم كرمان بالقرب من إقليم بلوشيستان ومكران وتشتهر بم بمصنوعاتها القطنية الفاخرة وبها قلعة لها أربعة أبواب وبداخلها بعض الأسواق وبقية أسواقها خارج القلعة. ومن أسواقها، سوق جسر جرجان، ولا تزال القلعة باقية حتى اليوم. وقد دمرت أجزاء كبيرة من القلعة في الزلزال الذي ضرب المدينة مؤخراً، انظر: الاصطخري، المصدر السابق، ص 99؛ المقدسي، المصدر السابق، ص 415؛ ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج 1، ص 587؛ لسترانج، المرجع السابق، ص 350، حاشية (2).

Zambaur: Op. cit, P. 79.

(33) ذكر لويك (Lowick) أن هذا الدينار قد ذكره ووصفه كل من: بلاو (Blau)، اشتايكل (Sticke)، لكنهما لم ينشرا صورة له، انظر: Lowick: Op, cit, p. 251.

(34) نشر طبطبائي درهمين باسم قرارسلان بك ضرب اردشيرخرة سنة 450 هـ، الأول نشر صورة رديئة له مما تعذر إعادة قراءته، أما الدرهم الثاني فقد أشار إلى أن نصوصه نفس كتابات النقد الأول. انظر: طبطبائي، سيد جمال ترابي، سكه هاي إسلامي إيران، تبريز 1372، ص 505، رقم 265 / م 10، الوزن: 4.2 جم، القطر 2.5 سم، النقد الثاني رقم 286، الوزن: 3.8 جم، القطر 2.4 سم. ويظهر في الصورة التاريخ الذي قرئ بصعوبة وجاء نصه "خمسين وأربع ماه".

(35) أردشيرخرة، من أجل كور إقليم فارس واسمها مركب معناه "بهاء اردشير" ومدنها شيراز وجور وخير وبيمند والصيمكان والبرجان والخوار وسيراف وكازرون وكام فيروز وأكثرها يطل على الخليج وهي شديدة الحر كثيرة الثمار. انظر: الاصطخري، المصدر السابق، ص ص 69 - 70؛ المقدسي، المصدر السابق، ص 422؛ ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج 1، ص 176؛ لسترانج، المرجع السابق، ص 384 وما بعدها.

Zambaur: Op, Cit, P. 41.

(36) الأصفهاني، المصدر السابق، ص 30.

4- دينار سلجوقي باسم قرارسلان بك ضرب ببردسير سنة 451 هـ[37]

جاء نصوص هذا الدينار كما يلي:

الوجه:

مركز:

لا إله الا الله

وحده لا شريك له

الملك العادل

قرارسلان بك

هامش داخلي: بسم الله ضرب هذا الدينار ببردسير سنة أحد وخمسين وأربعماية.

هامش خارجي: لله الأمر من قبل ومن بعد ويؤمئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.

الظهر:

المركز:

محمد رسول الله

صلى الله عليه

القايم بأمر الله

عماد الدولة

هامش: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

وتتطابق كتابات مركز وجه الدينار مع كتابات مركز وجه الدرهم السابق، ويلاحظ أن هذا الدينار قد ضرب في بردسير[38] التي تقع جنوب كرمان واتخذها قرارسلان عاصمة له.

بينما نقشت كتابات مركز الظهر في أربعة أسطر جاء لقب " عماد الدولة " الذي تلقب به قرارسلان بك بالسطر الرابع بينما زخرف أعلى وأسفل المركز بزخارف نباتية (لوحة 3).

ويلاحظ عدم تسجيل اسم جغري بك على هذا الدينار كما في النقود السابقة ويرجع ذلك إلى وفاته في هذه السنة كما ذكر المؤرخون.

وهناك حديثان مهمان ذوا علاقة ما بتاريخ سلاجقة كرمان، الأول هو وفاة جغري بك داوود في هذا العام (451 هـ) وقد نتج عن وفاته تطورات في الخريطة السياسية للحكم السلجوقي، حيث حل ألب أرسلان محل أبيه في حكم خراسان، وتكريس الحكم في فارس وكرمان بيد قرارسلان بك، أما الحدث الثاني فهو ما ذكره المؤرخون من استنجاد طغرلبك بأولاد أخيه جغري بك ومنهم قرارسلان بك لمحاربة أخيه غير الشقيق إبراهيم من اينال حتى استطاع طغرلبك هزيمته وقتله في الري عام 451 هـ[39].

وعلى الرغم من أن كتابات الدينار تظهر أن قرارسلان بك كان يحكم منفرداً حيث لم يسجل عليه اسم طغرلبك، إلا أنه كان يحكم ضمن إطار الخريطة السياسية للدولة، حيث كان للسلطان طغرلبك اليد العليا على كل هذه الأقاليم. ولعل ذلك يعكس الطبيعة القبلية للحكم السلجوقي، حيث كانوا يرون في الإمبراطورية ملكاً لجميع الأسرة[40].

---

(37) ينشر هذا الدينار لأول مرة، وكان قد عرضه اسنبك عام 1987، الوزن: 3.92 جم بينما لم يذكر القطر، انظر:
Spink and sons: Auction 22, No, 404.

(38) تقع بردسير جنوب غرب كرمان، وهي اليوم ناحية صغيرة وقصبتها ماشيز، وأهل كرمان يسمونها كواشير وبها قلعة حصينة وكان أول من اختار سكناها أبو علي بن إلياس في أيام عضد الدولة البويهي، انظر: =

= الأصطخري، المصدر السابق، ص 97؛ ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج 1، ص 449؛ الحسيني، محمد باقر، نقود السلاجقة ص 258، حاشية 8؛ لسترانج، المرجع السابق، ص ص 34 - 342.

(39) الخضري، الشيخ محمد، المرجع السابق، ص 36.

(40) محمود، حسن أحمد، والشريف، أحمد إبراهيم، المرجع السابق، ص 443.

5- دينار سلجوقي باسم قرارسلان بك ضرب بم سنة 451 هـ[41]

الوجه:

مركز: عدل

لا إله الا

الله وحده

لا شريك له

القايم بأمر الله

هامش داخلي: بسم الله ضرب هذا الدينار ببم سنه إحدى وخمسين وأربعماية.

هامش خارجي: لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.

الظهر:

مركز:

محمد رسول الله

الملك العادل

عماد الدولة

قرارسلان بك

هامش: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

وجاءت كتابات مركز الوجه في أربعة أسطر متوازية، حيث سجلت شهادة التوحيد في ثلاثة أسطر بينما نقش اسم الخليفة العباسي في السطر الرابع منها، وسجلت كلمة "عدل" أعلى مركز الوجه، بينما سطرت كتابات مركز الظهر في أربعة أسطر، جاءت الرسالة المحمدية مختصرة بالسطر الأول، وسجل ألقاب واسم حاكم سلاجقة كرمان بالثلاثة أسطر التالية، ونقش زخرفة القوس والسهم أعلى المركز، وحرف "م" أسفل كتابات مركز الظهر (لوحة 4).

ومن الملاحظ أن قرارسلان بك قد ضرب هذا الدينار في مدينة بم.

6- دينار سلجوقي باسم قرارسلان بك ضرب بم سنة 453 هـ[42]

لا تختلف نصوص هذا النقد بكل من الوجه والظهر عن الدينار السابق فيما عدا تاريخ الضرب، وقد سجل النقاش رقم المئات بصيغة "أربعماه" ولعل ذلك يرجع إلى جهل النقاش بالقواعد الإملائية والنحوية للغة العربية، حيث لم يستطع السلاجقة بعد حكمهم لإيران بمائة عام تعلم اللغة العربية، فقد كانوا يستخدمون مترجمين بالعربية[43] ولكن لا توجد حروف أو زخارف أسفل مركز الظهر كما في النقد السابق (لوحة 5).

ويثبت هذا النقد بما لا يدع مجالاً للشك استمرار عمل دار الضرب بمدينة بم مما يعد مؤشراً قوياً على استمرار النشاط الاقتصادي بالمدينة.

(41) ينشر هذا الدينار لأول مرة وتحتفظ إحدى المجموعات الخاصة بلندن به، الوزن: 2.98 جم، القطر: 27 ملم.

(42) عرض هذا الدينار بمزاد اسبنك سنة 1987م، الوزن 4.63، انظر:

Spink and sons Auction 22, No: 405.

(43) الحسيني، محمد باقر، نقود السلاجقة، ص 228؛ الحسيني، محمد باقر، الخط - أسلوبه وأنواعه ومميزاته على النقود الإسلامية في العهد السلجوقي، سومر، 24 بغداد 1968، ص 105.

7- درهم سلجوقي باسم قرارسلان بك ضرب شيراز سنة 454 هـ[44]

الوجه:

مركز: عدل

لا إله الا الله

وحده لا شريك له

الملك العادل

قرارسلان بك

هامش: بسم الله ضرب هذا الدرهم بشيراز سنة أربع وخمسين وأربعماية. .

الظهر:

مركز:

محمد رسول الله

صلى الله عليه

القايم بأمر الله

عماد الدولة

هامش: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

وجاءت كتابات وزخارف وجه الدرهم، كما هي في درهم بم المؤرخ بعام 450 هـ الا أن النقد ضرب في شيراز عام 454 هـ[45]، بينما سجلت كتابات مركز الظهر في أربعة أسطر، نقشت الرسالة المحمدية بالسطر الأول، وجاءت عبارة الصلاة على الرسول الكريم بالسطر الثاني، بينما سجل اسم الخليفة العباسي بالسطر الثالث ولقب حاكم سلاجقة كرمان بالسطر الأخير، ونقشت زخرفة القوس والسهم أعلى المركز، وحفرت نجمة ثمانية الأطراف أسفل المركز، بينما نقش حرف "ح" على يمين المركز ورسم السيف على يسار نفس المركز. ولعل حرف الحاء يرمز إلى اسم الوالي أو المشرف على دار الضرب في مدينة بم لعدم تمكنه من ذكر اسمه صريحاً على النقد، بينما ظهر رسم السيف كما سبق أن ظهر على النقود التي ضربها محمود الغزنوي باسم نوح بن منصور الساماني (366 - 387 هـ /977 - 997م) وكذلك على نقود منصور الثاني بن نوح (387- 389 هـ/997- 999م). وقد ضرب محمود هذه النقود مسجلاً عليها اسمه وألقابه، حيث كان السيف يرمز إلى لقب محمود الغزنوي[46] ورغم أن السيف لم يكن ضمن مكونات الألقاب التي تلقب بها قرارسلان بك إلا أن نقشه على هذا الدرهم كان بمثابة تعبير عن حالة الحراك العسكري التي شهدها إقليم فارس، التي استولى فيها حاكم سلاجقة كرمان على بعض كور ومدن إقليم فارس ومنها مدينة شيراز كبرى مدن هذا الإقليم، حيث كانت قد دخلت في أملاك السلاجقة عام 447 هـ/ 1055م[47] بعد أن قضى طغرلبك على بني بويه. وينفي

(44) نشر لويك (Lowick) هذا الدرهم، انظر:
Lowick: sljq coins, Nc 1970, No. 251, pl. x III, 15.

(45) شيراز: هي قصبة إقليم فارس، مصرها العرب واتخذ المسلمون موضعها في أيام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وبلغت منزلة رفيعة لتوسطها الإقليم وتولى عمارتها محمد بن القاسم بن عقيل أخو الحجاج بن يوسف أو ابن عمه سنة 64 هـ/648م واتخذها بنو الصفار قاعدة لدولتهم، كما اهتم بعمارتها بنو بويه. وتشتهر شيراز بالاكسية ويصنع بها الخز والديباج، انظر عنها: الأصطخري، المصدر السابق، ص ص 76 - 77؛ المقدسي، المصدر السابق، ص ص 429 - 430؛ ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج 3، ص ص 431 - 432؛ لسترانج، المرجع السابق، ص 331.

Zambour: op. cit, p. 163.

(46) عطا الله، سعيد عبدالفتاح، المرجع السابق، ص 264، ص ص 274 - 275.

(47) ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 320؛ خواندمير (محمد بن خاوند شاه ت 903 هـ) روضة الصفا في سيرة الأنبياء والملوك والخلفاء، ترجمة: أحمد عبدالقادر الشاذلي، مراجعة: السباعي محمد السباعي، القاهرة 1988م، ص 207؛ اقبال، عباس ، المرجع السابق، ص 235.

هــذا الــدرهم ادعــاءات المـؤرخين حـول اسـتيلاء قرارسلان على شيراز في العام التالي[48]:

8- دينار سلجوقي باسم قرارسلان بك ضرب شيراز سنة 455 هـ[49]

الوجه:

مركز:

لا إلـه الا الله

وحده لا شريك له

عمـاد الدولة

قرارسلان بك

هامش داخلي : بسم الله ضرب هذا الدينار بشيراز سنة خمس وخمسين وأربعماية.

هامش خارجي: لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.

الظهر:

مركز: ركـن

محمد رسول الله

القايم بأمر الله

السلطان المعظم

طغرلبـك

الديـن

هامش: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

ونقشت كتابات مركـز الوجـه في أربعـة أسطر متتابعـة، جـاءت شـهادة التوحيـد في السطرين الأول والثـاني، بينمـا سـجل لقـب واسـم حـاكم سـلاجقة كرمـان بالسـطرين الثالـث والرابـع، وزخـرف أعلـى المركـز بنقش رسـم القوس والسهم بينمـا سـجل اسـم محمد على يسار المركز.

وجـاءت كتابـات مركـز الظهـر في سـتة أسـطر متوازيـة سـجلت الرسـالة المحمديـة واسـم الخليفـة العباسي بالسطرين الثاني والثالث، في حين نقش لقب واسم السلطان طغرلبك بالسطرين الرابع والخامس، وسـجل لقـب ركـن - الـدين أعلى وأسفل كتابـات مركز الظهر. يجب التنويه بأن اسم " محمد " الذي جـاء علـى يسـار مركـز الوجـه هـو تكملـة لاسـم طغرلبك، وحفر رسم السيف على يمين مركز الظهر ومما يستدعي الانتباه هو مدينة وتاريخ الضرب وهـي شـيراز عـام 455 هـ ونقـش اسـم وألقـاب السـلطان طغرلبـك (لوحـة 6)، ومـع بيـان العلاقـة بـين مكـان وتاريخ الضرب وظهور اسم السلطان طغرلبك وألقابه، أستطيع القول إن قرارسلان بك كـان يرمـي مـن وراء ذلـك لأمـرين، الأول وهـو إقـرار سـلطان السـلاجقة ومباركتـه لـه بضـم شـيراز وذلـك في حالـة إذا كـان النقد قد ضرب قبل وفاة طغرلبك في رمضان 455 هـ/ أغسطس 1063م، والأمر الثاني فهو ضرب الدينار في الفـترة المتبقيـة مـن نفـس العـام كنـوع مـن الدعايـة السياسـية المناوئـة مـن جانـب قرارسـلان بـك لسـلطنة أخيـه ألـب أرسـلان الـذي لم يولـه الخليفـة العباسـي رسمياً إلا في جمـادى الأولى 456 هـ / مايو 1064م[50] وأعتقد إن الرأي الخير هو الأكثر قبولاً، لا سيما أن

(48) ذكر لويك (Lowick) هذا الرأي مستنداً إلى رواية الأصفهاني والراوندي وخواندمير وقال إن هذا النقد يثبت سيطرته على المدينة في ذلك العام (454 هـ)، انظر:
Lowick: op. cit, p. 251.

(49) عرض هذا الدينار في مزاد اسبنك بلندن عام 1987 م، الوزن: 3.73 جم، انظر:
= Spink and sons Auction 27, No. 434.
ونشر جيلز (Gilles) دينار مشابه انظر:
Gilles: op. Cit, No. 231, pl.VI. عنه الوزن: 3.79جم. القطر: 25 ملم.

(50) زامباور، معجم الأنساب، ص 333، حاشية 2.

حاكم سلاجقة كرمان لم يسجل اسم والقاب طغرلبك على نقوده من قبل - فيما هو منشور حتى الآن - وفي ضوء ما أوردته المصادر التاريخية عن عصيان قراارسلان بك على أخيه في تلك الفترة[51].

9- درهم سلجوقي باسم قراارسلان بك ضرب شيراز عان 456 هـ[52]

الوجه:

مركز:

لا إلـه الا الله

وحده لا شريك له

القايم بأمر الله

هامش: بسم الله ضرب هذا الدرهم بشيراز سنة ست وخمسين وأربعماية.

الظهر:

مركز:

محمد رسول الله

الملك العادل

قراارسلان بك

هامش: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون

وسجلت كتابات مركز الوجه في هذا الدرهم من حيث المضمون مثل دينار بم المؤرخ 453 هـ، بينما تختلف في ترتيب شهادة التوحيد، حيث جاءت على هذا الدرهم في سطرين فقط، في حين لم تسجل كلمة عدل أعلى مركز الوجه كما في الدينار المشار إليه، وقد سجل مكان وتاريخ الضرب، وهما شيراز سنة 456 هـ، وجاءت كتابات مركز الظهر في ثلاثة أسطر متوازية، حيث سجلت الرسالة المحمدية مختصرة بالسطر الأول ثم ألقاب واسم نقود حاكم سلاجقة كرمان بالسطرين الثاني والثالث، ونقش رسم السيف على يمين كتابات هذا المركز. ويبدو أن السلطان ألب أرسلان لم يقر أخاه قراارسلان بك على استيلائه على شيراز كما ذكرت المصادر التاريخية[53]. لذلك نجد أن آخر تاريخ لضرب نقود باسم قراارسلان بك في شيراز هو التاريخ المشار إليه (456 هـ) - في ضوء ما هو منشور حتى الآن - ولعله قد فقد سيطرته عليها بعد هذا التاريخ، إن لم ينشر مستقبلاً نقوداً ضربت باسمه بعد هذا التاريخ.

10- دينار سلجوقي باسم قراارسلان بك ضرب بم 457 هـ[54]

الوجه:

مركز:

لا إلـه الا الله

وحده

لا شريك له

القايم بأمر الله

هامش داخلي: بسم الله ضرب هذا الدينار ببم سنة سبع وخمسين وأربعماية.

هامش خارجي: لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.

---

(51) الأصفهاني، المصدر السابق، ص 30.

(52) Gilles: Op, cit, No. 232

نشر جيلز (Gilles) درهم مشابه للنقد السابق لكنه يفتقد رقم الآحاد والمئات من تاريخ الضرب، بينما يختلف في نقش حرف "م" على يمين كتابات مركز الوجه، ولمزيد من المعلومات انظر:

Gilles: Op, cit, No. 233, Pl.VI.

(53) النويري، المصدر السابق، ج 26، ص 309.

(54) Gilles: op cit m No 230, Pl.VI.

تجدر الإشارة إلى أن جيلز (Gilles) شك في قراءة رقم العشرات وقد أعدت قراءة التاريخ وتأكيد صحته من خلال الصورة التي نشرها للنقد.

الظهر:

مركز:

محمد رسول الله

الملك العادل

عماد الدولة

قراارسلان بك

هامش: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

لا تختلف كتابات وجه وظهر هذا الدينار عن دينار بم المؤرخ بعام 453 هـ إلا في ترتيب كتابات مركز الوجه، حيث سجلت شهادة التوحيد في ثلاثة أسطر متوازنة وسجل اسم الخليفة العباسي بالسطر الرابع، ولم تسجل كلمة " عدل " أعلى مركز الوجه كما في دينار بم السالف الذكر، بينما لم تنقش أي زخارف أعلى مركز الظهر بهذا الدينار. ويؤكد اصدار هذا الدينار استمرار العمل بدار الضرب بمدينة بم وما يصاحبه من مؤشرات إيجابية على النشاط الاقتصادي بإقليم كرمان عامة ومدينة بم بصفة خاصة، لا سيما أن هذا الدينار قد ضرب بعد أن شهد الإقليم أحداثاً عسكرية وسياسية في العام السابق.

11- **دينار سلجوقي باسم قراارسلان بك ضرب بردسير عام 459 هـ(55)**

الوجه:

مركز:

لا إله الا الله

وحده لا شريك له

الملك العادل

قراارسلان بك

هامش داخلي: بسم الله ضرب هذا الدينار ببردسير سنة تسع وخمسين وأربعماية.

هامش خارجي: لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصرالله؟

الظهر:

مركز:

محمد رسول الله

صلى الله عليه وسلم

القايم بأمر الله

عماد الدولة

هامش: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

تتشابه نصوص كتابات هذا النقد مع دينار بردسير المؤرخ بعام 451 هـ فيما عدا التاريخ، وكذلك وجود زخرفة نباتية أعلى كتابات مركز الوجه، كما حفرت زخرفة القوس والسهم أعلى مركز الظهر. ويتميز على دينار بردسير (451 هـ) بوجود ثلاث نقاط مطموسة أسفل كتابات مركز الظهر (لوحة 7).

ومن الواضح أن قراارسلان بك كان يحكم منفرداً ولم يذكر اسم السلطان ألب أرسلان على نقوده، بخلاف ما ذكرته المصادر التاريخية أنه قد دخل في طاعة أخيه ألب أرسلان بعد أن صار إليه الأخير بجيوشه وانهزم قراارسلان بك وجيوشه أمام قوة أخيه، حيث خطب لأخيه ثم لنفسه على منابر كرمان ويثبت هذا النقد أن هذه الطاعة كانت

---

(55) ينشر هذا الدينار لأول مرة وهو محفوظ بإحدى المجموعات الخاصة بالرياض، الوزن: 3.02 جم، القطر: 27 ملم - وقد نشر طبطبائي ديناراً مشابهاً، انظر: =

= طبطبائي، سيد جمال ترابي، المرجع السابق، ص 506، رقم 483 / م.آ.1

" الوزن: 4.5 جم، القطر 24 ملم.

اسمية[56]. في الإطار السياسي العام للدولة السلجوقية وقد ذهبت بعض الدراسات الحديثة إلى أن قراارسلان بك قد أرسل حملة عبر الخليج من هرمز في تلك السنة (459 هـ) واستولى على المناطق التي كانت خاضعة لنفوذ البويهيين في عمان، كما شجع التجارة عبر كرمان في طريقها إلى سجستان والهند[57]. ولعل تلك الأحداث تلقي مزيداً من الضوء على ضرب قراارسلان بك هذا الدينار في عاصمته ومقر ملكه.

12- دينار سلجوقي باسم قراارسلان بك ضرب بردسير عام 462 هـ[58]

الوجه:

مركز:

لا إله الا الله

وحده لا شريك له

القايم بأمر الله

هامش داخلي: بسم الله ضرب هذا الدينار ببردسير سنة اثنين وستن وأربع ماه.

هامش خارجي: لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.

الظهر:

مركز:

محمد رسول الله

الملك العادل

عماد الدولة

قراارسلان بك

هامش: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

وتتشابه كتابات هذا النقد مع نصوص كتابات دينار بم المؤرخ بعام 453 هـ، تختلف عن دينار بم السابق ذكره بعدم تسجيل كلمة " عدل " أعلى مركز الوجه، وقد سجل النقاش التاريخ، حيث سقط منه حرف الباء من رقم الآحاد وكذلك من رقم العشرات، كما نقش متقطعاً وناقصاً.

ويؤكد هذا النقد أن قراارسلان استمر بحكم منفرداً.

وقد ألقت النقود التي تم التطرق إليها في هذا البحث الضوء على الحالة السياسية والعسكرية في إمارة كرمان، كما صححت آراء بعض العلماء في أن أقدم نقودهم اقتصرت على الدنانير التي ضربها قراارسلان بك في بردسير سنة 462 هـ، حيث قمت بدراسة ستة دنانير تنشر لأول مرة في هذا البحث، بالإضافة إلى النقود التي سبق نشرها من دنانير ودراهم، حيث سجل قراارسلان لقب واسم والده على النقود التي تمت دراستها في هذا البحث، بصيغة " ملك الملوك جغري بك " كتشريف وتكريم له وإظهار التبعية السياسية لوالده ضمن منظومة الدولة السلجوقية واستمر في ذلك حتى وفاة والده عام 451 هـ /1059 م، وبعدها أظهرت النقود أنه كان يحكم منفرداً، ولم يسجل اسم عمه سلطان السلاجقة طغرلبك محمد إلا على نقده المضروب في شيراز عام 455 هـ /1063م وقد حللت الأسباب والدوافع السياسية والعسكرية التي دفعت حاكم

(56) ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 379؛ النويري، المصدر السابق، ج 26، ص 311؛ الحسيني، محمد باقر، نقود السلاجقة، ص 91.

(57) دوران، روبرت دارلي، المرجع السابق، ص 42.

(58) Lane - pool, stanly: catalogue of orimtal Coins in the British Museusm, Vol, III, No. 75, pl.II.=

= ونشر ناصر النقشبندي ديناراً مشابهاً للنقد الذي نشره لينبول (Lane -poole) ولكن جاء التاريخ بصيغة (اثنن وستن واربع ما " لمزيد من المعلومات انظر:

النقشبندي، ناصر، الدينار الإسلامي للملوك الطوائف والمتغلبة على الدولة العباسية، سومر ج 1، مج 5، بغداد 1949 م، ص 106.

سلاجقة كرمان إلى تسجيل اسم سلطان السلاجقة على هذا النقد، لعلها كانت المرة الأولى والأخيرة التي يسجل فيها قراارسلان بك اسم سلطان السلاجقة على نقوده - على حد علمي - حتى الآن، حيث تظهر النقود التي ضربها في مدن كرمان وفارس أنه كان يحكم منفرداً، وأوضحت معنى ذلك بأنه كان في الإطار العام للدولة السلجوقية، معتمداً على كتابات النقود وروايات المصادر التاريخية.

وأظهرت نقود قراارسلان بك أنه كان يضرب النقود في العديد من مدن إقليم كرمان، كمدينة جيرفت وبردسير وبم، كما ضرب نقوده أيضاً في كور وحواضر إقليم فارس كأردشيرخرة وشيراز، وأظهرت تلك النقود مدى امتداد نفوذه السياسي على إقليم كرمان وبعض كور إقليم فارس.

كما تميزت النقود التي ضربها قراارسلان بك بخطها الكوفي المتقن، الذي يطلق عليه الخط الكوفي ذو النهايات المتطورة، حيث تنتهي قمة الحرف بدائرة صغيرة أو نقطة مميزة عن الحرف كما في حرفي الألف واللام من كلمة " الله " التي وردت على دينار بم المؤرخ بعام 451 هـ، وكذلك دينار شيراز المؤرخ سنة 455 هـ، كما ظهر الخط الكوفي المورق على نقود قراارسلان بك الذي تأخذ نهايات حروفه أو وسطها أشكال مراوح نخيلية أو زخارف أوراق نباتية.. وذلك كما في حرف الحاء من اسم محمد على نقده الذهبي المضروب في بردسير سنة 459 هـ.

كما ظهرت الزخارف النباتية على نقود قراارسلان بك وامتازت بأسلوبها التجريدي وطرازها المحور كمثيلاتها من هذه الزخارف على نقود السلاجقة بصفة عامة، وإن كانت الزخارف النباتية التي نقشت على نقود قراارسلان بك تتميز بالبساطة وعدم التعقيد. وقد ظهر ذلك في الورقة النباتية على نقده الذهبي المضروب في جيرفت عام 448 هـ، ودينار بردسير المؤرخ سنة 451 هـ، ونقشت رسوم النجوم على تلك النقود، كما يظهر ذلك على درهم بم المؤرخ بعام 450 هـ، ودرهم أردشيرخرة المؤرخ سنة 450 هـ نقده الفضي المضروب بشيراز عام 454 هـ، كما جاءت النقاط المطموسة على نقوده، وتظهر تلك النقاط على نقده الذهبي الذي سكه في بردسير والمؤرخ سنة 459 هـ، وأيضاً سجلت رسوم لبعض الحروف كحرف الميم الذي نقش على نقده الذهبي المضروب في بم عام 451 هـ.

كذلك وردت رسوم الأدوات القتال التي استخدمت في العصر السلجوقي كرسم القوس والسهم اللذين نقشا على العديد من نقوده واتخذهما السلاجقة شعاراً لهم مثل دينار جيرفت المؤرخ بسنة 448 هـ ونقده المضروب في بردسير سنة 459 هـ ونقش كذلك رسم السيف على بعض نقوده كدرهم شيراز المؤرخ بسنة 454 هـ، ودينار شيراز المؤرخ بسنة 455 هـ، وعلى نقده الفضي المضروب بنفس المدينة عام 456 هـ. وقد أوضحت المغزى السياسي والعسكري من وراء تسجيل هذه الأدوات الحربية على نقوده، سواء في الإطار السياسي والعسكري العام للدولة السلجوقية، أو كرد فعل على التحركات العسكرية والسياسية بإقليم كرمان وفارس.

ويمكن القول بأن قراارسلان بك كان يحكم منفرداً بعد وفاة والده جغري بك داوود عام 451 هـ واستمر يحكم منفرداً ولم يكن تسجيله لاسم سلطان السلاجقة على نقوده المضروبة بشيراز سنة 455 هـ إلا لدوافع سياسية وعسكرية معينة فرضتها أحداث تلك الفترة بالإمارة السلجوقية. وقد استمر قراارسلان بك في حكم كرمان حتى ثورته وتمرده على السلطان ملكشاه (465 هـ - 485 هـ/1072 - 1092م) والتي أدت إلى هزيمته وقتله عام 465 هـ/ 1072م على يد رجال ملكشاه، إلا أن أولاده وأحفاده توارثوا حكم الإمارة من بعده حتى عام 579 هـ / 1138م عندما أسقط حكمهم التركمان الغز.

لوحة (1)



دينار سلجوقي باسم قراارسلان بك ضرب جبرفت سنة 448 هـ



رسم توضيحي للدينار السابق

لوحة (2)




دينار سلجوقي باسم قراارسلان بك ضرب جبرفت سنة 448 هـ

نقلاً عن وليم قازان




رسم توضيحي للدينار السابق

لوحة (3)




دينار سلجوقي باسم قراارسلان بك ضرب بردسير سنة 451 هـ




رسم توضيحي للدينار السابق

لوحة (4)





دينار سلجوقي باسم قراارسلان بك ضرب بم سنة 451 هـ





رسم توضيحي للدينار السابق

لوحة (5)




دينار سلجوقي باسم قراارسلان بك ضرب بم سنة 453 هـ



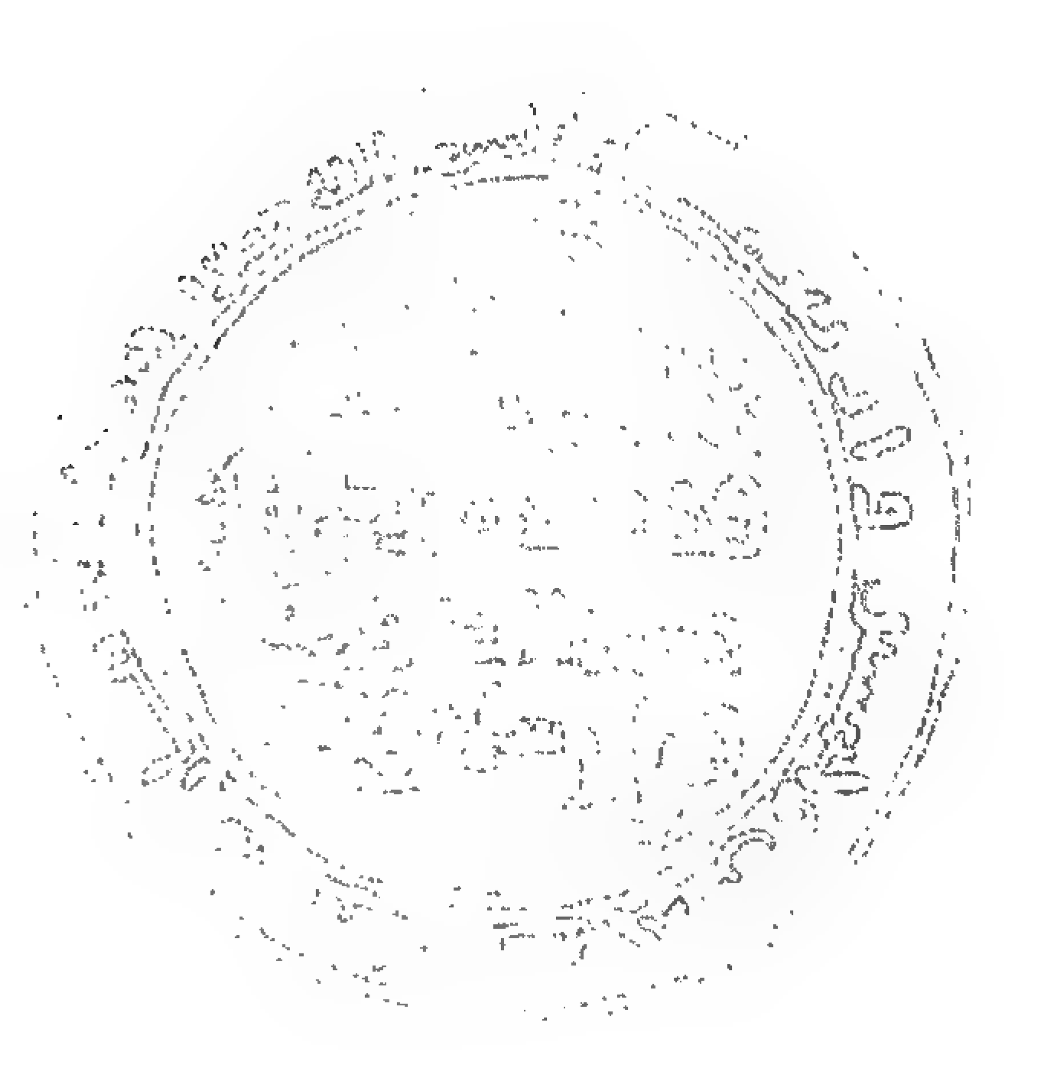

رسم توضيحي للدينار السابق

لوحة (6)





-يدر سلجوقي باسم قراارسلان بك ضرب شيراز سنة 455 هـ





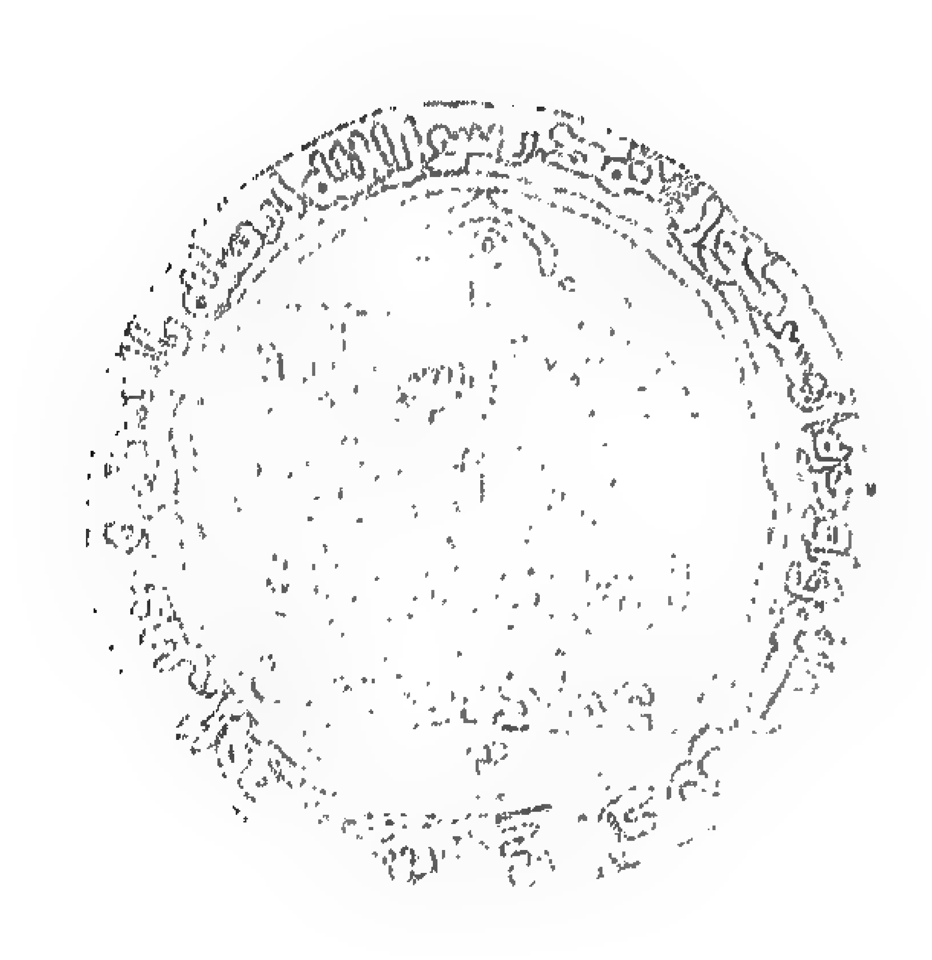
رسم توضيحي للدينار السابق

لوحة (7)





دينار سبكتكيني باسم قراارسلان بك ضرب بردسير سنة 457 هـ





رسم توضيحي للدينار السابق

العصور، المجلد الثامن عشر، الجزء الثاني، 107 – 88 (2008م)

مهر مغولي هندي نادر للإمبراطور جلال الدين محمد أكبر بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة

د. رمضان صلاح الدين أبو زيد
كلية الآداب - جامعة طنطا

ملخص البحث:

يتناول هذا البحث دراسة وصفية وتحليلية لنقد ذهب مغولي هندي باسم الإمبراطور جلال الدين محمد أكبر (963 – 1014 هـ/1555 – 1605م) والمعروف باسم المهر ومحفوظ بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة تحت رقم سجل 25917، ويزن 1.9، جرام وقطره 26 مم، ولم يسبق نشره وينشر في هذا البحث لأول مرة، ضرب في مدينة أجرا الهندية سنة 974 هـ.

ويعد هذا المهر الإصدار المعروف على مستوى العالم للإمبراطور أكبر المضروب بأجرا الهندية ويلقي الضوء على جزء مهم من الإمبراطورية الإسلامية وهي الدولة المغولية الإسلامية في شبه القارة الهندية، كما أنه يوضح المذهب الديني الذي اعتنقه الإمبراطور أكبر وهو المذهب السني تأكيداً لدور النقود في إظهار الجانب الديني للدولة.

قامت الدولة المغولية بشبه القارة الهندية في القرن العاشر الهجري – السادس عشر الميلادي، ووصلت بالحكم الإسلامي في هذه البلاد إلى أرقى صوره، وبنفوذ المسلمين إلى أوسع مداه، وبالعقيدة الإسلامية إلى أقصى درجاتها من الذيوع والانتشار، وعاصرت هذه الدولة في أول نشأتها دولتين إسلاميتين هما الدولة الصفوية في فارس وخراسان والعراق، والدولة العثمانية في آسيا الصغرى وأجزاء من أوروبا ومصر والشام وأجزاء من بلاد فارس[1].

وملوك هذه الدولة من أصلاب المغول والترك الذين أنزلوا ببلاد المسلمين الخراب والدمار ثم أصبحوا بفضل الحضارة الإسلامية ودخولهم في الإسلام بناة للحضارة والمدنية، وازدهرت على أيديهم كثير من المدائن التي خربها أجدادهم من قبل[2].

ومؤسس الدولة المغولية في شبه القارة الهندية هو ظهير الدين محمد بابر حفيد تيمورلنك وجنكيز خان في أول الربع الثاني من القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، وظلت تحكم لمدة أكثر من ثلاثة قرون حتى قضى عليها البريطانيون[3].

ويبلغ عدد أباطرة المغول في شبه القارة الهندية حوالي ثلاثين حاكماً بدءاً بالإمبراطور ظهير الدين محمد بابر (932 - 937 هـ/ 1525 - 1530م)

(1) بارتولد، تاريخ الحضارة الإسلامية، ترجمة حمزة طاهر، القاهرة، 1933، ص ص 95 - 97.

(2) الساداتي، أحمد محمود، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية = وحضارتهم، الجزء الثاني، الدولة المغولية، القاهرة، 1378 هـ / 1959م، ص و.

(3) المرجع نفسه، ص ي.

ومروراً بالإمبراطور ناصر الدين همايون (937 - 963 هـ/ 1530 - 1555م) والإمبراطور جلال الدين أبو الفتح محمد أكبر (963 - 1014 هـ/1555- 1605م) وانتهاء بالإمبراطور سراج الدين أبو المظفر بادشاه (1253 - 1274 هـ / 1837 - 1857م)[4].

والإمبراطور جلال الدين أكبر – والذي يتناول هذا البحث نقداً ذهبياً له (مهر)[5] يقسم المؤرخون مدة حكمه إلى ثلاث فترات، الأولى كانت زمام الأمور والحكم الفعلي فيها بأيدي الوزير الشيعي بيرم خان. وأما الفترة الثانية فهي التي حاول فيها بعض نساء القصر إملاء رغباتهن على السلطان الشاب أكبر – والذي لم يكن يتجاوز الرابعة عشر من عمره حينما ولي الحكم – وذلك بعد أن أفلحن في إبعاد بيرم خان عن منصبه. وكانت الفترة الثالثة هي التي انفرد فيها الإمبراطور أكبر بالحكم ومقاليد الأمور بنفسه وتبدأ من سنة 969 هـ/1562م حتى وفاته عام 1014 هـ/ 1605م، وتعد هذه الفترة من أزهى عصور الهند التاريخية[6].

وقد قام الإمبراطور أكبر بإصلاحات نقدية وتغيرات في الشكل العام للنقود أكثر من مرة، حيث اتخذت نقوده في أول الأمر الشكل الدائري حتى عام 985 هـ ثم ظهر الشكل المربع، وبعد ذلك أعاد مرة أخرى الشكل الدائري للنقود سواء الذهبية منها أو الفضية، وكانت نقوش الكتابات تحمل في طياتها اسم وألقاب السلطان أكبر، وشهادة التوحيد، والرسالة المحمدية، واسم دار الضرب وتاريخه، وأحياناً أبياتاً شعرية تحكي لنا قصة أو أسطورة[7].

ولما كانت النقود مرآة صادقة للعصر الذي ضربت فيه وتعكس بصدق الأحداث السياسية والاجتماعية والدينية والمذهبية والجغرافية والاقتصادية، كما أنها وثائق تاريخية صحيحة ليس من السهل الطعن في صحتها[8]، فإن هذا البحث يتناول دراسة لنقد ذهبي مغولي هندي (مهر) يرجع إلى عصر السلطان جلال الدين محمد أكبر ومؤرخ بسنة 974 هـ (1566م) ضرب مدينة اكرا. وهذا المهر محفوظ ضمن مجموعة متحف الفن الإسلامي بالقاهرة تحت رقم سجل 25917 ويبلغ وزنه 10.9 جرام وقطره 26 مم ولم يسبق نشره من قبل وينشر في هذا البحث لأول مرة.

ويتسم وجه هذا المهر بأن كتابات المركز سجلت داخل شكل هندسي عبارة عن دائرة مفصصة من خمسة فصوص، يخرج منها خمسة رؤوس تضم بداخلها ثلاثة أسطر أفقية متوازية ومتتالية تمثل كتابات المركز بينما تتلامس هذه الرؤوس الخمسة مع الدائرة الخارجية التي تحيط بكتابات وزخارف

(4) زامباور، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ترجمة د. زكي محمد حسن وآخرين، دار الرائد العربي، بيروت، 1400 هـ / 1980م، ص ص 442 – 443.

(5) المهر: هو الاصطلاح التقليدي الذي أطلق على النقود الذهبية التي قدمت لأول مرة في عهد الإمبراطور جلال الدين محمد أكبر ويزن تقريباً حوالي 170 جرين (11 جراماً)، وفي بعض الإصدارات الذهبية المربعة للإمبراطور أكبر كانت تزن 187 جرين (12.117 جرام تقريباً) وفي عهد جهانكير كان المهر يزن في السنوات الخمس الأولى لحكمه من 202: 211 جرين (13: 13.6 جرام تقريباً) بينما ضرب بقية أباطرة المغول بعد ذلك المهر على وزنة الأول في عهد الإمبراطور أكبر وهو 11 جرام.
Brown, C. J.: Catalogue of Coins in the Provincial Museum Lucknow, Coins of the Mughal Emperors, = Oxford, 1920, p. 40.

(6) Prasad (Ishwari): A short History of Muslim Rule in India, All ahabad, 1933, pp. 831-888. &
الساداتي، أحمد، المرجع السابق، ص ص 74 - 75.
الشاذلي، أحمد عبد القادر، المسلمون في الهند من الفتح العربي إلى الاستعمار البريطاني، الجزء الثاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995، ص ص 7 - 12.

(7) Brown. C. J: the Coins of India, London, 1922, pp. 94-99.

(8) النبراوي، رأفت محمد، النقود الإسلامية منذ بداية القرن السادس وحتى نهاية القرن التاسع الهجري، زهراء الشرق، القاهرة، 2000م، ص 5.

الوجه حاصره خمس مناطق سجل بها كتابات هامش الوجه. أما الظهر فجاء عبارة عن دائرة خارجية تحيط بكتاباته وزخارفه بداخلها خطان أفقيان متوازيان يقسمان الدائرة إلى ثلاث مناطق سجل بها كتابات الظهر التي جاءت مركزية مع عدم وجود كتابة هامشية.

ووردت نصوص كتابات هذا المهر على النحو التالي:

الوجه:

المركز: لا إله إلا الله

محمد

رسول الله

الهامش: بصدق أبي بكر / بعدل عمر /

بحياء عثمان / بعلم على

الظهر:

الجزء العلوى:

السلطان الأعظم خلد الله

الجزء الأوسط:

بادشاه 974 أكبر غاز

محمد

جلال الدين لي

الجزء السفلي:

تعا ملكه وسلطان

ضرب اكره

جاءت كتابات مركز وجه هذا المهر عبارة عن شهادة التوحيد الإسلامية غير الكاملة ونصها " لا اله إلا الله " في السطر الأول. وقد ظهرت هذه الشهادة لأول مرة على النقود في العصر الإسلامي على الدراهم العربية الساسانية والدنانير العربية البيزنطية التي سكها الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان في الفترة من 72 - 74 هـ (691 - 693م)، والتي تمثل الطور الأول من مراحل التعريب وكانت تسجل هكذا "لا اله إلا الله وحده لا شريك له"[9].

وسجل بالسطرين الثاني والثالث من كتابات مركز الوجه الرسالة المحمدية ونصها " محمد رسول الله " والتي سجلها العباسيون على نقودهم بدلاً من سورة الإخلاص التي كانت تسجل على النقود الأموية[10]. وتسجيل شهادة التوحيد والرسالة المحمدية بهذه الصيغة يعكس لنا ديانة الحاكم وهي الإسلام ومذهبه وهو مذهب أهل السنة والجماعة.

أما كتابات هامش الوجه فقد اشتملت على عبارة: بصدق أبي بكر وبعدل عمر وبحياء عثمان وبعلم على. أما صدق أبي بكر فوردت فيه عدة أحاديث نبوية شريفة صحيحة منها ما أخرجه البخاري والترمذي وأبي داود. عن أنس بن مالك ﵁ أن النبي ﷺ صعد أحداً وأبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فقال "أثبت أحد فإن عليك نبي وصديق وشهيدان"[11].

وعن عدل عمر بن الخطاب ﵁ يوجد حديث نبوي شريف صحيح في سنن الترمذي - من بين عدة أحاديث - عن عبد الله بن عمر ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: "إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه". وعن

(9) الحسيني، محمد باقر، دراسة إحصائية للشعارات على النقود في العصر الإسلامي، مجلة المسكوكات، عدد 6، 1975م، ص ص 102 - 141؛ ولمزيد من التفاصيل انظر: رمضان، عاطف منصور محمد، موسوعة النقود في العالم الإسلامي، جـ1، نقود الخلافة الإسلامية، زهراء الشرق، القاهرة، 2004م، ص 80 وما بعدها.

(10) يوسف، فرج الله أحمد، دراسة مقارنة للآيات القرآنية على السكة الإسلامية في ضوء بعض المجموعات الخاصة، مخطوط رسالة دكتوراه، كلية الآثار، جامعة القاهرة، 1418 هـ / 1997م، ص 14.

(11) العدوي، مصطفى، روضة المحبين في فضائل صحابة النبي الأمين ﷺ، مكتبة مكة، طنطا، 1422 هـ / 2001م، ص 19.

طارق بن شهاب قال " كنا نتحدث أن عمر ينطق على لسانه ملك "[12].

وعن حياء عثمان بن عفان ﷺ روت السيدة عائشة وعثمان ﷺ أن النبي ﷺ قال " إن عثمان رجل حيي " وقال أيضاً "ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة" (والحديث في صحيح مسلم والبخاري ومسند الإمام أحمد)[13].

أما عن علم علي بن أبي طالب ﷺ فهناك حديث صحيح أخرجه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه، عن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال "أرحم أمتي بأمتي أبو بكر وأشدهم في أمر الله عمر وأشدهم حياء عثمان وأقضاهم علي"[14].

ومجمل كتابات هامش الوجه تؤكد اعتناق الإمبراطور أكبر والدولة المغولية الهندية للمذهب السني، وربما أراد الإمبراطور أكبر أن يؤكد ذلك بعد عزله بيرم خان الوزير الشيعي الذي كان يتحكم في أمور الحكم.

بينما ورد بكتابات الظهر التي جاءت مقسمة إلى ثلاثة أجزاء اسم السلطان جلال الدين محمد أكبر وألقابه واسم دار الضرب وتاريخه، حيث نقش بالجزء العلوي منها لقب " السلطان الأعظم". والسلطان في اللغة من السلاطة بمعنى القهر. وقد ورد اللفظ في آيات قرآنية عديدة بمعنى الحجة والبرهان. وهذا اللفظ مأخوذ من اللغة الآرامية والسريانية ويوجد هذا في أوراق البردي العربية منذ القرن الأول الهجري.

وأتخذ هذا اللقب لقباً عاماً على الحاكم الأعلى في كثير من العصور منها العصر المملوكي[15]، أما لقب الأعظم فهو أفعل التفضيل من العظمة بمعنى الكبرياء ويضاف إلى لقب السلطان ليعطي إشارة إلى سعة نفوذ هذا الحاكم[16]. ويؤكد ذلك وصول سلطنة مغول الهند الإسلامية إلى أقصى اتساع لها في عهد الإمبراطور جلال الدين محمد أكبر[17].

وعبارة "خلد الله" والتي أعقبت لقب السلطان الأعظم بالجزء العلوي، والتي تقرأ تكملتها بالجزء السفلي من كتابات الظهر فيكون نصها " خلد الله تعالى ملكه وسلطانه" وهي عبارة دعائية بدوام ملك وسلطان السلطان أكبر. وقد سجلت العبارة الدعائية هذه على نقود السلطان الظاهر أبو سعيد برقوق (784 - 801 هـ / 1382 - 1399م) الذهبية المضروبة بمصر والشام، حيث ورد على دنانيره المضروبة بمصر بداري ضرب القاهرة والإسكندرية عبارة " خلد الله سلطانه "[18]، بينما جاءت عبارة " خلد الله ملكه" على نقوده الذهبية المضروبة ببلاد الشام بدار ضرب حلب[19].

ويعقب هذه العبارة الدعائية بالجزء السفلي من كتابات الظهر اسم دار الضرب وهي مدينة اكرا الهندية وهي مدينة مهمة تقع على نهر جمنا، ويحدها من الشمال مدينة دهلي، ومن الغرب مدينة فيروزاباد، ومن الشرق مدينة جايبور، ومن الجنوب مدينة شاهجاهان[20]، وكانت مدينة اكرا إحدى مدن

---

(12) المرجع نفسه، ص 25، 26 والحديث الأخير أورده الإمام أحمد في فضائل الصحابة.

(13) العدوي، مصطفى، المرجع السابق، ص 31، 32.

(14) المرجع نفسه، ص ص 40 - 41.

(15) الباشا، حسن، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، دار النهضة العربية، 1978، ص ص 323 - 329.

(16) المرجع نفسه، ص 162.

(17) مؤنس، حسين، أطلس تاريخ الإسلام، الطبعة الأولى، = القاهرة، 1407 هـ/1987م، ص 9.

(18) النبراوي، رأفت، النقود الإسلامية في مصر عصر دولة المماليك الجراكسة، الطبعة الثانية، القاهرة، 1996م، ص ص 44 - 48.

(19) صلاح الدين، رمضان، السكة المملوكية في بلاد الشام وقيمها النقدية، مخطوط رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة طنطا، 1422 هـ /2001م، ص ص 48 - 58.

(20) مؤنس، حسين، المرجع السابق، ص 250.

الضرب الرئيسية في الهند مع مدينة اللاهور وكندهار وغيرهما[21].

أما كتابات الجزء الأوسط من كتابات ظهر هذا المهر فقد اشتملت على اسم السلطان أكبر وألقابه، إضافة إلى تسجيل تاريخ الضرب بالأرقام العربية الهندية ونص هذه الكتابات هي: " بادشاه 974 أكبر غاز محمد جلال الدين" – ولقب بادشاه لقب فارسي مركب من كلمتين " باد" بمعنى تخت أو عرش، و"شاه" بمعنى صاحب أو سيد أي سيد العرش أو ملك[22]. ولقب غاز أو غازي فهو من الغزو وهو اسم للحرب التي كانت يشترك فيها النبي ﷺ وكانت حروبه تسمى بالمغازي أو الغزوات وهذا اللقب من الألقاب السنية. وقد ظهر هذا اللقب أمثاله من الألقاب الحربية السنية في أماكن الحدود القريبة من البلاد غير الإسلامية. فكان ينعت بها هؤلاء الذين يخوضون الحروب في سبيل نشر الإسلام[23] وربما كان ذلك السبب في تلقب جلال الدين أكبر بلقب غازي، لاسيما أنه قام بعدة غزوات لشمال ووسط الهند حتى استطاع أن يجعل دولة المغول بالهند دولة موطدة الأركان تتألف من الشمال الهندي بأكمله مع كابل وكشمير والبنغال وجزء كبير من الدكن، فكان أول من انتقل بالبابريين – أتباع الإمبراطور بابر أول سلاطين المغول بالهند – من محاربين وطلاب للمغامرات إلى أصحاب أسرة مالكة عظيمة. وفي عهده بلغت هذه الدولة أقصى اتساع لها حتى أجمع كثير من المؤرخين على أن جلال الدين أكبر أعظم ملك عرفته الهند في تاريخها[24].

أما لقب جلال الدين فهو من الألقاب المركبة المضافة إلى لفظ " الدين" والجلال بمعنى العظمة وإضافته إلى الدين تعطي المتلقب به صفة دينية تؤكد تمسك وحرص هذا المتلقب بدينه وعلى دينه. وكان من ألقاب بعض ملوك خوارزم وتركستان وغيرهما[25].

ويلاحظ أن تاريخ ضرب هذا النقد ورد بالأرقام العربية الهندية ضمن كتابات الجزء الأوسط من كتابات الظهر. والمرجح أن كتابه التاريخ بهذه الطريقة ظهرت لأول مرة على فلس مؤرخ بسنة 614 هـ (1217م) من عصر بني أرتق ضرب بآمد من عهد الملك الصالح ناصر الدين محمود بن محمد (597 - 619 هـ/ 1200 - 1222م). ويعتبر هذا الفلس أقدم الفلوس الإسلامية التي سجل عليها تاريخ سكها بالأرقام وربما أقدم النقود الإسلامية جميعاً[26].

وعرفت هذه الطريقة بمصر والشام في عصر دولة المماليك الجراكسة (784 - 923 هـ / 1382- 1517م) وبالتحديد في عصر السلطان الأشرف إينال (857 - 865 هـ/ 1453 - 1461م)[27]. أما أباطرة المغول في الهند (932 - 1274 هـ/ 1526 - 1858م) فكانوا يسجلون على نقودهم تاريخ السك بالأرقام واتبعوا في ذلك أربع طرق هي: الطريقة الأولى هي أنهم كانوا يسجلون عليها تاريخ ضربها الفعلي فقط. والطريقة الثانية هي أنهم كانوا يسجلون على النقود اسم الإمبراطور ومكان الضرب ورقم سنة حكمه فقط دون كتابة تاريخ الضرب الفعلي. والطريقة الثالثة هي أنهم كانوا يسجلون تاريخ الضرب الفعلي للنقد وما يقابله من سنة حكم الإمبراطور الذي يرد

(21) Brown. C. J., op. cit., p. 96.

(22) الباشا، حسن، المرجع السابق، ص 220.

(23) المرجع نفسه، ص ص 411 - 412.

(24) Lane - Poole st., Medieval India under Mohammedan Rule, London, 1917, p. 288; الساداتي، أحمد، المرجع السابق، ص ص 122 - 128.

(25) الباشا، حسن، المرجع نفسه، ص ص 237 - 239.

(26) النبراوي، رأفت، التاريخ الهجري على النقود الإسلامية، مجلة العصور، المجلد الرابع، الجزء الثاني، 1989م ص 241.

(27) Balog (Paul): the Coinage of the Mamluk Sultans of Egypt and Syria, New York, 1964, p. 330, Nos, 758 - 759.

اسمه على القطعة. أما الطريقة الرابعة والأخيرة وهي الرمز أو الإشارة إلى الشهر الذي ضربت فيه قطعة النقود بتسجيل البرج الفلكي مع تسجيل اسم وألقاب الإمبراطور وتاريخ الضرب الفعلي وما يقابله من سنوات حكمه[28].

والتاريخ الوارد على مهر الإمبراطور أكبر – موضوع البحث – ورد بالطريقة الأولى وظهر قبل ذلك بهذه الطريقة على مهر للإمبراطور نفسه ضرب لاهور ومؤرخ بسنة 973 هـ (1565م)[29] ثم ظهر بعد ذلك في المهر موضوع البحث المؤرخ بسنة 974 هـ (1566م).

ومما سبق يتضح لنا أهمية هذا المهر في كونه ينشر لأول مرة حيث لم يسبق نشره من قبل، وإنما سبق نشره نموذج واحد فقط مؤرخ بسنة 974 هـ[30]، لذا فإن هذا المهر يعد الإصدار الثاني المعروف على مستوى العالم للإمبراطور جلال الدين أكبر والمؤرخ بسنة 974 هـ. كما أن هذا المهر يؤكد اعتناق الإمبراطور أكبر للمذهب السني ويلقي الضوء على جزء مهم من الإمبراطورية الإسلامية وهي الدولة المغولية الإسلامية في شبه القارة الهندية التي استمرت ما يقرب من ثلاثة قرون ونصف (932 - 1274 هـ/ 1526 - 1858م).

---

(28) النبراوي، رافت، التاريخ الهجري، ص ص 244 - 245.

(29) قازان، وليم، المسكوكات الإسلامية، مجموعة خاصة، بيروت، 1404 هـ/ 1983م، ص ص 461 - 462، أرقام = 1151 - 1153؛ النبراوي، رافت، التاريخ الهجري، ص 245.

(30) Brown: Moghul, p. 9, No. 69, p. I.1

الوجه:



الظهر:

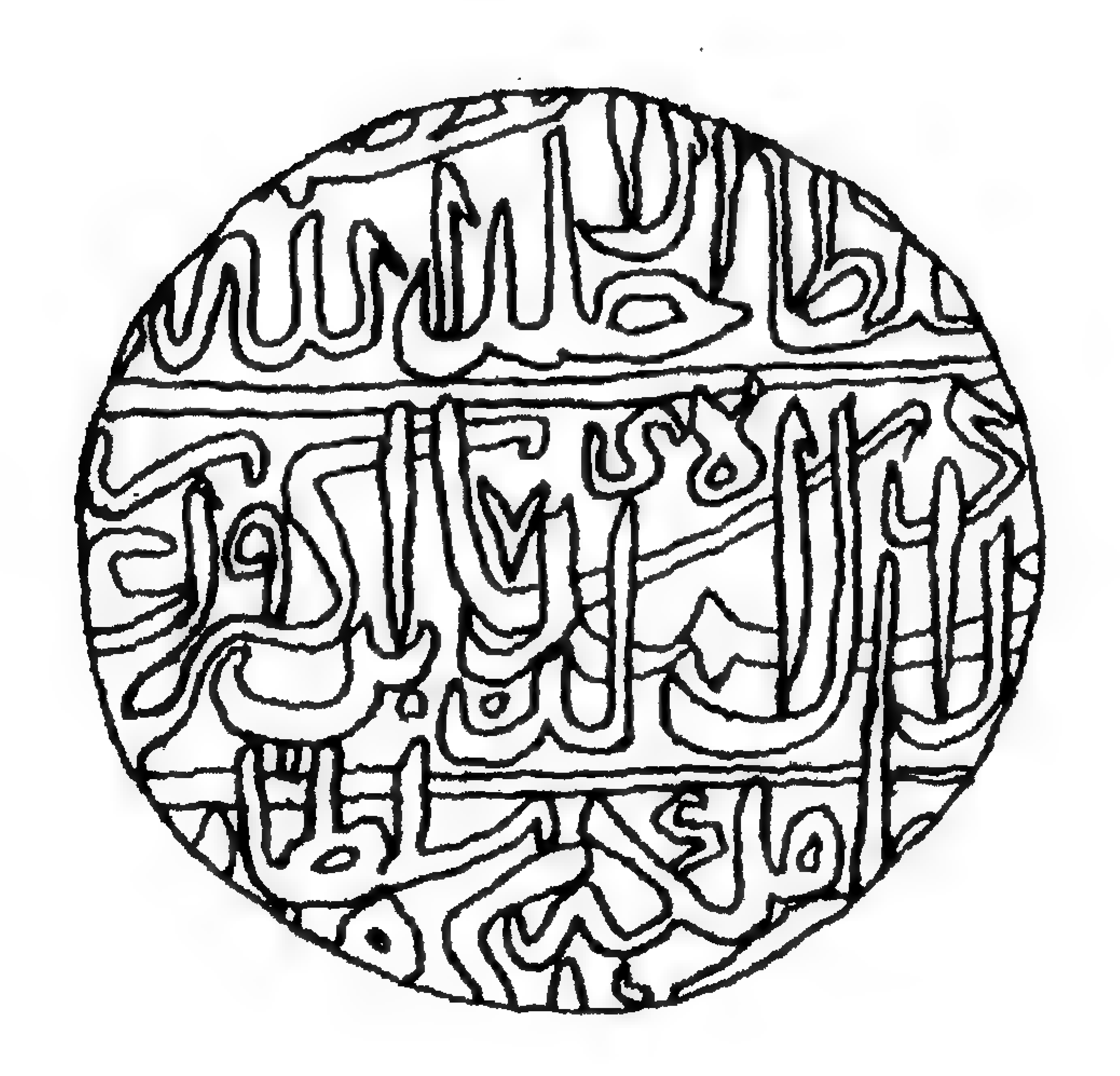


لوحة توضح وجه وظهر المهر الذهبي

الوجه:



الظهر:



شكل توضيحي لكتابات وزخارف المهر

العصور، المجلد الثامن عشر، الجزء الثاني، 115 – 146 (2008م)

مدرسة خضوري الزراعية العربية في طولكرم 1931 - 1948م

د. هشام فوزي عبدالعزيز
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المشارك
جامعة حائل

ملخص البحث:

تعتبر مدرسة خضوري الزراعية العربية في طولكرم، أهم مدرسة زراعية عربية حكومية في فلسطين؛ وذلك لأنها المدرسة الزراعية الوحيدة التي اشتملت على سنوات دراسية ثانوية متخصصة في المجال الزراعي، إضافة إلى ارتفاع مستواها التعليمي لتوافر نخبة من المعلمين الذين تخرجوا في الجامعات الأوروبية والأمريكية، وتوافر شتى الخدمات والآلات والمرافق الزراعية المطلوبة في التدريس. كما أن طلبتها كانوا من النخبة المختارة من طلاب فلسطين العرب، في الغالب، وبعض طلبة شرق الأردن.

وعلى الرغم من أهمية تلك المدرسة الزراعية، إلا أنها لم تحظ بدراسة مستقلة – بحدود معرفتي – حتى الآن. وتحاول هذه الدراسة التصدي لذلك الموضوع من خلال التعريف بمدرسة خضوري، من حيث الظروف التي أحاطت بنشأتها، وأهدافها، والمرافق والخدمات الموجودة فيها، ثمّ تركيبتها الإدارية والتعليمية. كما تركز الدراسة على السلم التعليمي في المدرسة، والمناهج النظرية والعملية، وأثرها في توفير الخبرة الزراعية المناسبة لدى طلبتها. وتحاول الدراسة تبيان أهمية المدرسة في الزراعة الفلسطينية بخاصة، والزراعة العربية بعامة، من خلال طلبتها الذين تخرجوا فيها.

وتستند الدراسة إلى مصادر متنوعة منها بعض الأوراق والوثائق غير المنشورة المتعلقة بمدرسة خضوري، ووثائق وأوراق متعلقة ببعض أساتذتها وطلبتها، والوثائق البريطانية وخاصة وثائق وزارة المستعمرات، ثم تقارير إدارة المعارف الحكومية عن التعليم، ومنهاج التدريس في تلك المدرسة، ودفاتر بعض الطلبة الذين درسوا فيها، والصحف الفلسطينية التي كانت تورد بعض المعلومات عنها. هذا إلى جانب المقابلات الشخصية التي تعطي معلومات حية عن المدرسة، وبعضها غير متوافر في المصادر الأخرى؛ وذلك بهدف الوصول إلى صورة قريبة من الواقع عن تلك المدرسة.

1- تأسيس مدرسة خضوري:

كان من بين العوامل التي اسهمت في إنشاء مدرسة خضوري الزراعية العربية في طولكرم، التبرع المالي لليهودي العراقي السير إليس (إلياس) سلاس (صالح) خضوري Sir Ellis Kadoorie، المولود في بغداد عام 1865، والذي ينحدر من أسرة تجارية عاشت في العراق، ولكن بعض أفرادها، وكان من

بينهم إليس، قد هاجروا إلى هونج كونج، في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، ومن هناك انطلقوا في تجارتهم وتوسعوا فيها، حتى امتد نشاطهم إلى عدة دول من بينها الهند، وبريطانية، فغدوا من التجار البارزين في تلك الدول[1].

وقبل وفاة إليس عام 1922، وضع وصيته، وكان من جملة ما جاء فيها التبرع لحكومة فلسطين بمبلغ 120.000 جنيه إسترليني، لإقامة مشاريع خيرية فيها، وبخاصة إنشاء مدارس لسكانها. ويلاحظ أن هناك عوامل عديدة دفعت خضوري للتبرع بذلك المبلغ، من بينها عمل الخير لجميع سكان فلسطين بمختلف أديانهم (الإسلامية، المسيحية، اليهودية)، ودون تمييز. مما يعني أنه يوجه رسالة غير مباشرة إلى السلطات البريطانية والصهيونية بأنه ينظر إلى هؤلاء السكان نظرة واحدة، ويرفض سياسة الفصل بين الأديان، والسياسة التي من شأنها أن تحول اليهود من دين إلى قومية. يضاف إلى ذلك أنه أراد القيام بعمل، يتقرب به إلى السلطات البريطانية التي تحكم وتسيطر على المناطق التي يعمل بها وهي بريطانية والهند وفلسطين، لكن الوصية لم توضح الجهة أو القومية التي تنفق عليها تلك الأموال[2].

فقد ارتأت وزارة المستعمرات البريطانية Colonial Office، وحكومة الانتداب البريطاني في فلسطين إنشاء مدرسة تجمع الطلاب العرب واليهود. لكن تلك المقترحات رفضت من قبل الوكالة اليهودية، الجهة الرسمية المسؤولة عن مختلف النشاطات المتعلقة باليهود، وبخاصة النشاط الثقافي والتعليمي، وذلك لرغبتها في أن تشرف هي بنفسها على تلك المؤسسة التعليمية، لنشر الأفكار والمبادئ الصهيونية بين طلابها[3]. وأمام تلك المواقف اضطرت وزارة المستعمرات وحكومة الانتداب البريطاني في فلسطين، إلى تقسيم هبة خضوري إلى قسمين متساويين، ينفق الأول وقدره 60.000 جنيه إسترليني على إنشاء مدرسة خاصة بالعرب، والثاني، وقدره، أيضاً، 60.000 جنيه إسترليني لإنشاء مدرسة خاصة باليهود. وقد تمت الموافقة من قبل الجهات المختلفة على ذلك التقسيم، في عام 1924[4].

وقد تعرض ذلك الحل الذي وضع من قبل السلطات البريطانية، للانتقاد من بعض الجهات الفلسطينية، باعتباره حلاً غير منصف بحق العرب، فتقسيم هبة خضوري يجب أن يكون على أساس نسبة السكان وعددهم، وليس لاعتبارات أخرى، إذ كان العرب في عام 1922 يشكلون حوالي 88.9٪ من مجموع سكان فلسطين، فيما كان اليهود يشكلون 11.1٪ منهم[5]. تقول جريدة فلسطين بهذا الصدد مع " هذا التقسيم بدأت الأخطاء المتوالية في المشروع، وأنت حين تقسم شيئًا بين طرفين تضطر إلى مراعاة نسبة عدد أحدهما إلى عدد الآخر"[6].

---

(1) مير بصري، أعلام اليهود في العراق الحديث، القدس، منشورات رابطة الجامعيين اليهود النازحين من العراق، 1993، ص ص 93 - 95.

(2) Colonial Office (C.O). 733/107/13771/1925, Kadoorie Bequest, pp. 248 - 255.
C.O. 733/106/9275/, Palestine 1925, Kadoorie Bequest, p. 33.
جريدة فلسطين 1930/10/2، ص 4، 1932/3/22، ص 1.

(3) Hamphrey Bowman, Middle East Windo, London, Longman and Green, 1945, pp. 263 - 265; A. L. Tibawi, Arab Education in Mandatory Palestine: =

= Astudy of Three Decades of British Administration, London, Luzac and Company, 1951, pp. 123 - 124.

(4) C.O. 733/107/13771/1925, Kadoorie Bequest, pp. 248 – 255
C.O. 733/106/9275/, Palestine 1925, Kadoorie Bequest, p. 33.
جريدة فلسطين 1930/10/2، ص 4؛ 1932/3/22، ص 1.

(5) Palestine, Report and General Abstract of the Census of 1922, Compiled by J. Barron, 1922, p. 18.

(6) جريدة فلسطين 1932/3/22، ص 1.

كما أن تبرع ومساهمة أهالي فلسطين في إنشاء وتطوير المدرسة لا يقل عن مساهمة إليس خضوري، إذ انهم تبرعوا بأرض المدرسة والمرافق الخاصة بها، حيث إنها جاءت من مصادر أهلية فلسطينية مختلفة، إذ تبرعت لجنة المعارف المحلية في طولكرم في بيارة علي صبري لإقامة المدرسة عليها، ودون مقابل(7). أما بقية الأراضي فقد اشترتها الحكومة من الأهالي بأثمان بخسة، لكن قناعة الأهالي بهذا المشروع هي التي دفعتهم لهذا الأمر. وقد تم شراء تلك الأراضي في عام 1927. وكانت مساحتها تقدر في عام 1932 بحوالي 400 دونم(8). كما قامت الحكومة في العام الدراسي 1934- 1935 بشراء قطعة أخرى مساحتها 200 دونم، ضمت للمدرسة وخصصت للفلاحة وزراعة الحبوب(9).

وثمة عوامل عديدة وراء اختيار المدرسة العربية في فلسطين، لتكون مدرسة زراعية، من أهمها افتقار العرب في فلسطين إلى مدارس زراعية يحتاج إليها المواطن الفلسطيني، مع العلم بأنهم يسيطرون على غالبية الأرض الزراعية فيها، كما أن غالبية سكان القرى هم من العرب، إضافة إلى أن الأساليب المستخدمة في الزراعة العربية، كانت أساليب قديمة، ونتيجة لذلك، كانت هناك حاجة ملحة لإنشاء مدرسة زراعية عربية. يقول نمر شاهين، أحد طلاب الدفعة الأولى في مدرسة خضوري الزراعية عن هذا الموضوع : " كانت فلسطين فيما مضى محرومة من التعليم الزراعي الفني الحديث إلى أن أوحى الله بتلك الفكرة الجليلة للمحسن السير إليس خضوري الذي بوساطة جوده وهبته العظيمة تأسس هذا المعهد الذي كانت بلادنا جد مفتقرة إليه "(10).

وقد أكد آرثر واكهوب (Arthur Wauchope 1931 - 1938م)، المندوب السامي البريطاني في فلسطين، الحقائق السابقة، وتبيان أهمية إنشاء مدرسة زراعية في فلسطين، بقوله: "وبالنظر للفائدة العظمى التي تجنيها هذه البلاد من ترقية الزراعة، فقد تقرر عن حكمة، بأن تستعمل هذه الهبة ليس في نشر التعليم من وجهة عامة، بل لأجل التعليم الزراعي خاصة، وذلك بتأسيس هذه المدرسة"(11). كما لا يغرب عن البال، أن إنشاء المدرسة يخدم مصالح حكومة الانتداب البريطاني، إذ إنها ترفدها بالموظفين القادرين على العمل في دوائرها المختلفة، وبخاصة في مجالي الزراعة والتعليم. ناهيك من أن الحكومة كانت بحاجة إلى تطوير الزراعة الفلسطينية لتخدم مصالحها الخاصة في أثناء الأزمات والحروب، كما حدث في فترة الحرب العالمية الثانية 1939- 1945، حيث أجبرت الفلاحين الفلسطينيين على بيع منتجاتهم الزراعية كالقمح والخضراوات للجيش البريطاني المرابط في فلسطين في تلك الفترة(12). وفيما يتعلق بإجراءات التحضير للمدرسة وعملية البناء، فقد استغرقت فترة طويلة نسبيًا، ابتدأت التحضيرات لها منذ عام 1924، إذ شكلت لجان عديدة للقيام بهذا المشروع منها لجنة موقع المدرسة وتوفير الأرض المناسبة لذلك، ولجنة أخرى لوضع المناهج الدراسية، ولجنة ثالثة للإشراف على بناء المدرسة ومرافقها(13).

---

(7) فياض، عبد الله، تاريخ مدينة طولكرم، محاضرة ألقيت في كلية الحسين الزراعية بطولكرم، بتاريخ 1962/12/20، ص 5.

(8) فلسطين 1932/3/16، ص 5؛ الجامعة العربية 1927/12/1، ص 3.

(9) فلسطين 1934/3/13؛ ص 3، 1934/5/13، ص 6؛ 1943/11/25، ص 7؛ 1935/3/6، ص 7؛ 1935/3/19، ص 2.

(10) المصدر نفسه، 1934/3/13، ص 3.

(11) C.O. 733/230/87394/1933, From Director of Agricultural and Forests , Elie Kadoorie Bequest, to Chief Secretary, 28 July 1933, pp. 1 - 2.

(12) أحمد سعد، التطور الاقتصادي في فلسطين، د.م، 1985، ص ص 164 - 165.

(13) C.O. 733/230/87394/28 July 1933, pp. 1-2.

وشكلت لجنة لاختيار موقع المدرسة في عضويتها من ممثلين عن دوائر حكومية مختلفة كالصحة، والتعليم، والأعمال العامة، والأراضي. وقد بدأت تلك اللجنة عملها في بداية عام 1925، حيث تفحصت المواقع المقترحة لإنشاء المدرسة، ومن بينها طولكرم، وبعد سنة من إجراء الدراسات والأبحاث، تأكد لتلك اللجنة أن منطقة طولكرم، هي المكان المناسب لإقامتها[14]. لقد اختيرت طولكرم مكانًا لإقامة المدرسة الزراعية فيها، لتوافر المواصفات لإنشاء المدرسة، إذ تميزت تلك المنطقة بموقعها المركزي بين مناطق تجمعات عربية رئيسة، وهي طولكرم، ونابلس، وجنين. وقربها من تقاطع الطرق البرية الرئيسة الواصلة بين نابلس وجنين من جهة، وحيفا ويافا من جهة ثانية، وإمكانية الوصل بين المنطقتين، حيث تعتبر تلك المناطق مراكز لتجمع الثروات والخيرات الطبيعية في فلسطين، والعمل على إمكانية تطوير اتصالها ببعضها بعضاً. ويضاف إلى ذلك أن الأرض التي اختيرت لتأسيس المدرسة عليها، تصلح للزراعة والمزارع المطلوبة للمدرسة[15]. هذا إلى جانب توافر المياه في الموقع، إذ إن قسمًا من أراضي المدرسة قد أقيم على أنقاض مدرسة زراعية أنشئت عام 1914، توافر فيها بئر تعود للفترة الرومانية، ركبت عليها مضخات ضخمة لضخ المياه لري الأراضي الزراعية المحيطة بها، وتعرف تلك الأراض، أو المدرسة باسم بيارة علي صبري[16].

أما اللجنة التي شكلت لوضع المناهج الدراسية في المدرسة، فقد تكونت من ممثلين عن دائرة المعارف الحكومية، ودائرة الزراعة، وأثمرت جهودها، عن وضع المخطط العام لها، إضافة إلى السلم التعليمي فيها، وذلك في أواخر العشرينيات[17].

وضمت لجنة بناء المدرسة ومرافقها ممثلين عن دائرة الأعمال العامة، ودائرة الزراعة. وابتدأت أعمالها في أواخر 1924، إذ وضعت مخططًا هندسيًا لها، عرض على وزارة الزراعة، التي قدمت بدورها بعض المقترحات المتعلقة به، وذلك في نهاية عام 1925. كما وضعت تقديرات مالية لتكاليف المباني والمرافق الأخرى، وافقت عليها وزارة الخارجية البريطانية في تموز 1927، وتم الموافقة النهائية لها ومن الجهات البريطانية المسؤولة الأخرى، على مخطط المدرسة والتكاليف، في شهر آب 1928، على أن تغطى تلك النفقات من هبة خضوري. وقد تم إنجاز المبنى الرئيس للمدرسة والذي يضم قاعات التدريس، ومنام الطلاب، ومكاتب الإدارة، ومنزل سكن مدير المدرسة، في شهر كانون الثاني 1931[18]. وبلغت تكاليف ذلك المبنى، مع المرافق الزراعية الأخرى في المدرسة حوالي (26.216) جنيهاً فلسطينيًا[19]. أما المزارع فقد ابتدئ في تجهيزها وزراعتها منذ أواخر عام 1928، فزرعت الغلال والحبوب، والأشجار المثمرة، والمشاتل، وتجهيز زرائب الحيوانات. ومع بداية العام الدراسي الأول في شهر كانون الثاني 1931، استطاعت الأجهزة المشرفة على المدرسة توفير المتطلبات الضرورية للتدريس فيها. كما استكملت المستلزمات الأخرى الضرورية مثل إنشاء معامل

(14) Ibid.,

(15) Ibid.,

(16) عبدالله الفياض، تاريخ مدينة طولكرم، محاضرة القيت في كلية الحسين الزراعية بطولكرم، بتاريخ 1962/12/20، ص 5.

(17) Government of Palestine, Department of Agriculture and Fisheries, Kadoorie Arab Agricultural School - Tulkarem, Syllabus, Jerusalem, Department of Agriculture and Fisheries, N.D.

(18) C.O. 177-230/87394/1933, From Director of Agriculture and Forests , sir Elie Kadoorie Bequest, To Chief Secretary, 28 July 1933, pp. 2-5.

(19) Ibid, From Hedley, Director of Public Work, Administration of sir Ellis Kadoorie Bequest, pp. 1-3.

جريدة الجامعة العربية 1928/1/19، ص 2.

الألبان، وحظائر الدجاج في العام الدراسي التالي 1931 - 1932[20].

ويلاحظ مما سبق أن إجراءات بناء المدرسة قد استغرقت وقتًا طويلاً نسبيًا. وقد برر الكولونيل سويد، مدير دائرة الزراعة الحكومية، ذلك التأخير بقوله: " إن درس المشروع وتهيئة الأسباب كان يقتضي التدقيق فيها وإعداد البرنامج وإرساله إلى الوزارة (المستعمرات) لتدقيقه. هي بالمقابل ترسله بدورها إلى الصين، حيث يقيم الأوصياء على المال. ومعلوم أن التعامل بالأموال الموصى بها دقيق ويجب أن يكون خاضعًا لشروط الوصاية.. ونلاقي صعوبة في إيجاد معلمين لها ونحن مضطرون لتعليم العلوم الطبيعية في المدرسة الزراعية إلا أن المدارس الأخرى تدرس هذه العلوم ". كما وجدت صعوبات في تملك الأراضي المخصصة للمدرسة[21].

وقد أشار جون هوب سمبسون Jone Hope Simpson في تقريره عن فلسطين، إلى أن مدرسة خضوري الزراعية، والتي كانت تتسع لحوالي (40) طالبًا، لا تسد جميع حاجات ومقتضيات الزراعة الفلسطينية، فلذلك فإن هناك حاجة ملحة إلى توسيع قاعدة قبول الطلاب في المدرسة[22]. وأمام هذا الوضع تبرع آرثر واكهوب، المندوب السامي البريطاني في فلسطين ببناء جناح جديد في المدرسة، وعلى نفقته الخاصة، وذلك في عام 1934 – 1935[23]. ويقول واكهوب عن ذلك الموضوع: " وقد قيل لي إن المدرسة تحتاج إلى بناية جديدة.. فقررت أن أدفع من مالي الخاص بالمال لهذه الغاية المفيدة ..."[24]. ونتيجة لبناء الجناح الجديد أصبحت المدرسة تستوعب(30) طالبًا إضافيًا، إلى جانب (40) طالبًا كانت تستوعبهم المدرسة سابقاً، وبذلك، فإن مدرسة خضوري كانت في عام 1935 تضم نحو (70) طالباً[25].

ومع التطور التدريجي لمدرسة خضوري الزراعية، أصبحت تضم في فترة الثلاثينيات والأربعينيات أقساماً أخرى غير المبنى المخصص للطلاب والإدارة والمعلمين، والتي كان الطلاب يتدربون فيها عملياً، منها: المنجرة، وكانت تحتوي على الماكينات والآلات الضرورية لصنع الأدوات التي تحتاج إليها المدرسة من أبواب وشبابيك وكراسي، ومعالف للحيوانات، وحظائر خشبية. إضافة إلى المحددة المخصصة لصنع الأدوات الحديدية التي تحتاج إليها المدرسة، من حظائر وحاضنات وشبابيك وأبواب حديدية. وهناك مخزن، كان يستخدم كمستودع للمنتجات الزراعية. وفيما يتعلق بتربية الحيوانات، فقد اهتمت المدرسة بإنشاء الحظائر بها مثل حظائر الأغنام، والدجاج والأبقار[26].

---

(20) C.O. 733/230/87394/1933, From Director of Agriculture and Forests, sir Elie Kadoorie Bequest, to Chief Secretary, pp. 3-6.

(21) جريدة الكرمل 1926/2/7، ص 11.

(22) سمبسون، جون هوب، فلسطين: تقرير عن الهجرة ومشاريع الاستيطان والعمران، القدس، مطبعة دار الأيتام، 1930، ص ص 118 - 123.

(23) Overnment of Palestine, Department of Education, Annual Report 1933 – 1934, Jerusalem, Printing and Stationery Offece, 1935, p. 40

فلسطين 1934/5/10، ص 4؛ 1934/11/25، ص 7؛ 1935/3/6، ص 7.

(24) المصدر نفسه 1934/3/13، ص 3.

(25) المصدر نفسه 1934/5/10، ص 4.

(26) استندت المعلومات إلى المصادر التالية:

C.o. 733/230/87394/1933. From Hedley, Direector of Public Works, Administration of sir Ellis Kadoorie Bequest , p. 1.

ومحمد زكي الإبراشي وأحمد محمود بك: تقرير بعثة الجمعية الزراعية الملكية إلى فلسطين ومشاهدتها أثناء رحلتها من 25 مايو لغاية 4 يونيو 1944، مصر، مطبعة عناني، 1944، ص ص 25 - 26 ؛ ومقابلة مع حكمت قدورة (تعلم في خضوري 1931- 1934) بتاريخ 1994/1/2؛ ومقابلة مع د. سليم الناشف (تعلم في خضوري 1933 - 1935، وكان ناظرًا لمزرعتها 1944- 1947) بتاريخ 1994/4/26؛ مقابلة مع سعيد التاجي (أستاذ في خضوري 1941 - 1943) بتاريخ =

وبدأت حظائر الأبقار بـ 32 بقرة[27]، من النوع الإنجليزي، ثم تطور عددها، كما أدخلت أصناف جديدة من الأبقار[28]. وفي أثناء زيارة اللجنة الملكية الزراعية المصرية إلى مدرسة خضوري عام 1944 أشارت إلى أن المدرسة تعنى "بتربية الأبقار ومن المحاولات التي أجريت فيها لرفع مستوى الأداء في الأبقار، خلطت الأبقار المحلية بالنوع المسمى كيري وبالنوع المسمى ديفو. لكن الخلط لم يستمر. كما تعنى بتربية الأبقار الشامية التي استحضرت من لبنان..وتسير المدرسة في انتخابها وتحسينها "[29].

كما اهتمت المدرسة بالأغنام، فأنشأت لها حظائر خاصة، حيث ربت أنواع عديدة منها مثل الاسترخان للإفادة من جلود حملانها في صناعة الفرو. وربيت الأغنام المحلية مثل أغنام العوسي. وكانت توجد في الحظائر الماعز المحلي منه أسمر اللون، أو الأحمر، لكن فائدته من اللبن واللحوم محدودة. لذلك استوردت المدرسة نوعًا من الماعز من سويسرا يسمى بـ " سانون " يدر من اللبن ضعف الماعز المحلي. كما ربت المدرسة الماعز الشامي[30].

ويلاحظ مما سبق، أن مدرسة خضوري كانت تحرص قدر الإمكان، على توفير الأنواع المختلفة من الأبقار والأغنام، لإثراء فائدة الطلاب منها، واختيار المناسب من أنواعها.

ونظرًا لتوافر الأغنام والأبقار في المدرسة فقد أنشئ فيها مصنعٌ للألبان، كان يضم الأدوات الضرورية لصناعة الألبان كافة، والأجبان بأنواعها المختلفة ولكن تلك الصناعة كانت تعتمد على مقدار ما يتوافر من الألبان في المدرسة[31]. ويضاف إلى ما سبق، فقد أنشأت المدرسة حظائر للدجاج المحلي ليربى فيها، حيث استخدمت أساليب حديثة في تربيتها من خلال توفير الظروف المناسبة لذلك من غذاء، وعناية، وترقيم الدجاج، لمعرفة مقدار البيض الذي تبيضه كل دجاجه لاختيار المناسب منها، وذبح غير الصالح منها[32]. وتوفرت في المدرسة، حظائر الأرانب، وبيوت تربية النحل[33].

ووجد في المدرسة قسم الآلات الزراعية مثل التراكتور، والحصادة، والمحاريث، وآلات رش المبيدات الحشرية، والفؤوس، والمناجل،...[34]. ناهيك من البساتين المختلفة والمخصصة لزراعة الأشجار المثمرة كالزيتون، والحمضيات، والعنب إضافة إلى حدائق النباتات المنزلية المخصصة للتربية، والأراضي المخصصة لزراعة الحبوب بأنواعها المختلفة[35].

وبسبب الحاجة إلى التطبيقات العملية في الزراعة، فقد أسست في المدرسة مختبرات خاصة بالزراعة، ضمت العديد من الأقسام كمختبر الكيمياء،

- 1994/11/8 ؛ مقابلة مع محمود الخواجه (سكرتير مدرسة خضوري 1943- 1947) بتاريخ 1994/4/23؛ مقابلة مع عبد الرحمن النجاب (تعلم في خضوري 1943- 1945) بتاريخ 1994/2/9؛ مقابلة مع د. يحيى صلاح (تعلم في خضوري 1943 - 1945) بتاريخ 1994/7/20؛ مقابلة مع خالد فياض (تعلم في خضوري 1944- 1946) بتاريخ 1995/11/4، و 1995/11/8؛ مقابلة مع د.عبدالله عرعر (تعلم فيها 1943- 1947) بتاريخ 1994/7/28.

(27) C.O. 733/230/87394/1931, Tulkarem Agricultural School , Revised Estimates of Expenditure and Revenue of the Tulkarem, pp. 1-2.

(28) الإبراشي ومحمود، المصدر السابق، ص ص 25 - 26.

(29) الإبراشي ومحمود، المصدر السابق، ص ص 25 - 26.

(30) المصدر نفسه، ص26؛ مقابلة مع خالد فياض بتاريخ 1995/11/4، 1995/11/22، ومقابلة مع د. يحيى صلاح، 1994/7/20؛ ومقابلة مع د. عبدالله عرعر 1994/7/28.

(31) الإبراشي ومحمود، المصدر السابق، ص 26؛ مقابلة مع خالد فياض في 1995/11/4، 1995/11/22.

(32) المعلومات مستندة بالأساس إلى المصادر الواردة في هامش رقم 25.

(33) الإبراشي ومحمود، المصدر السابق، ص ص 25 - 26 ؛ فلسطين 1934/3/13، ص 3 ؛ مقابلة مع د. يحيى صلاح 1994/7/20؛ مقابلة مع خالد فياض 1995/11/4، مقابلة مع د.عبدالله عرعر 1994/7/28.

(34) فلسطين 1930/10/12، ص 4 ؛ مقابلة مع عبد الرحمن النجاب 1994/2/9؛ ومقابلة مع محمود الخواجه 1994/4/23؛ مقابلة مع د. يحيى صلاح 1994/7/20.

(35) استندت المعلومات إلى المصادر الواردة في هامش رقم 26.

والفيزياء، ومختبر النباتات الزراعية، ومختبر التربة، مع أن تلك المختبرات كانت متواضعة آنذاك، إلا أنها، وفّت بالغرض المطلوب منها، وأنجزت جزءاً من المتطلبات العملية الضرورية اللازمة للزراعة العملية(36).

كما اهتمت المدرسة بتوفير مكتبة زراعية، حاولت قدر الإمكان رفدها بكتب من مصادر مختلفة، من أجل تقوية التعليم النظري والعملي لدى الطلاب، إذ كان بعض أساتذة تلك المدرسة يطلبون من طلابهم القراءة حول المواضيع التي يدرسونها أو كتابة أبحاث عن تلك المواضيع(37).

وإيجازًا لما سبق، فإن مدرسة خضوري الزراعية في طولكرم قد وفرت لطلبتها التجهيزات المطلوبة للعلوم الزراعية من آلات، وحظائر، وحيوانات مختلفة، وبساتين متنوعة، ومختبرات، ومكتبة لإنجاح مهامها، المتمثلة في تعليم الطلاب الأساليب الزراعية الحديثة والمتطورة، آنذاك.

2- الهيئة الإدارية والتدريسية:

خضعت مدرسة خضوري من الناحية الإدارية الرسمية بين عامي 1931 - 1944، لدائرة الزراعة والغابات الحكومية، وإن كانت تحظى بمساعدة من دائرة المعارف الحكومية، بصفة غير رسمية. وفي عام 1944 انتقلت إدارة المدرسة، رسميًا، إلى دائرة المعارف الحكومية، واستمر هذا الأمر حتى عام 1948(38).

ويمكن تقسيم مدرسة خضوري، تاريخيًا، إلى مرحلتين مختلفتين عن بعضها بعضاً من النواحي الإدارية والتدريسية، وهما: المرحلة الأولى، مرحلة الثلاثينيات 1931 - 1939. والمرحلة الثانية، مرحلة الأربعينيات 1940 - 1948.

أولاً: الهيئة الإدارية والتدريسية في الثلاثينيات:

لأخذ فكرة واضحة عن الجهاز الإداري والتدريسي في مدرسة خضوري، خلال الثلاثينيات ينبغي التركيز على إدارة المدرسة وأعضاء هيئة التدريس، وأهم العاملين فيها.

ففيما يتعلق بإدارة المدرسة، فقد أوكلت هذه المهمة بين عامي 1931 - 1937، إلى الإنجليزي هاري مائير هيلد Harry Meir Heald، الذي اكتسب خبرته الزراعية من الوظائف التي أشغلها في ذلك المجال في غرب أفريقيا عام 1905، وفي وزارة الزراعة المصرية 1909 - 1925، حيث أشغل فيها وظيفة مفتش زراعي لمدة أربعة عشر عامًا. وفي عام 1929. أصبح مديرًا ومحاضرًا للزراعة في دائرة الزراعة الفلسطينية، ومديرًا لمدرسة خضوري الزراعية 1931 - 1937(39).

---

(36) استندت المعلومات إلى المصادر الواردة في هامش رقم 26.

(37) مقابلة مع عبد الرحمن النجاب 1994/2/9؛ ومقابلة مع خالد فياض 1995/11/4؛ وخالد فياض، بحث عن الدور الذي تلعبه الفايتامينات في تغذية الطيور الداجنة، بإشراف الأستاذ شفيق الحسيني 1946/3/25.

(38) Government of Palestine, Department of Education, Annual Report 1930-1931, Jerusalem, Printing and Stationery Office, 1932, p. 40; Yousuf Abdulqadir, The British Educational Policy in the Arab Public Schools of Palestine During the Mandate, ph. D. Thesis, Indiane University,1956, p. 194; Tabawi, Arab Educational in Mandatory Palestine, p. 51. =

= ماثيوز، رودريك، وعقراوي، متى، التربية في الشرق الأوسط العربي، ترجمة أمير بقطر، بيروت، المطبعة العصرية، 1949، ص 321 ؛ الدفاع 1934/6/22، ص 5؛ فلسطين 1944/8/15، ص 3؛ 18/8/1944، ص 3.

(39) Government of Palestine, Palestine Civil Servicelist – 1937, Jerusalem, Government Printing, 1938, p. 156; Ibid, Department of Education, Annual Report for the School Year 1937-1938, Jerusalem, Printing and Stationery office,1939, p. 55.

فلسطين 1935/9/24 ص 2؛ 1936/11/24، ص 9؛ 1936/11/27، ص 3.

ويستخلص مما سبق أن مدير مدرسة خضوري، كان لا يحمل شهادة علمية في مجال الزراعة أو في المجالات الأخرى، وجاءت خبرته الزراعية من الوظائف التي عمل فيها في المستعمرات البريطانية في أفريقيا.

وقد تولى الإنجليزي دبل يو. ك. هيوبل W. K. Hubble، إدارة مدرسة خضوري الزراعية. في شهر شباط عام 1937[40]، ولا تذكر المصادر التي اعتمدتها الدراسة شيئًا عن سيرته الذاتية. كما عين أكرم الركابي، وهو ابن علي رضا باشا الركابي احد أبرز الشخصيات السياسية السورية، الذي حصل على ماجستير العلوم الزراعية من جامعة كامبردج Cambridge البريطانية، مساعدًا لمدير المدرسة في ذلك العام[41]. ويعتبر تعيين الركابي نقلة إدارية إيجابية، إذ إنه أول عربي يتقلد منصبًا هامًا في المدرسة بعد أن كان حكرًا على الإنجليز، علماً بأنه توافرت كوادر فلسطينية مؤهلة زراعيًا وعلميًا لإدارة المدرسة[42]. لكن العام الدراسي 1936-1937 في المدرسة شهد أوضاعًا غير طبيعية، كان من أهمها سيطرة القوات البريطانية عليها، وتوقف الدراسة فيها حتى أواخر 1939[43].

وفيما يتعلق بالهيئة التدريسية التي عملت في مدرسة خضوري في الثلاثينيات، فقد غلب عليها الطابع الإنجليزي، بشكل عام، بينما كان العرب بنسب أقل، فخلال الفترة 1931- 1933، كانت المدرسة تضم ثلاثة عشر أستاذًا، سبعة من الدائمين وخمسة من المحاضرين غير المتفرغين، كان من بين هؤلاء سبعة من الإنجليز، وستة من العرب[44]. ويبدو أن عدد الأساتذة في المدرسة قد أخذ بالتناقص منذ بداية عام 1934 فصاعدًا، إذ أصبح عددهم في تلك السنة ثمانية، كان خمسة منهم من الإنجليز وثلاثة من العرب[45]. وفي العام الدراسي 1935 - 1936، بلغ عدد الأساتذة فيها ستة، أربعة من المتفرغين، واثنان من المحاضرين الزائرين. كان من بينهم أربعة من الإنجليز، واثنان من العرب[46].

واستنادًا للمعلومات السابقة فإنه يمكن إبداء بعض الملحوظات فيما يتعلق بالهيئة الإدارية والتدريسية في مدرسة خضوري الزراعية في الثلاثينيات، من أهمها أنها كانت ذات طابع إنجليزي، وكان العرب فيها بنسب أقل. كما لجأت إدارة الزراعة إلى التقليل من عدد الأساتذة فيها لأسباب عديدة منها التقليل من النفقات المالية، وإلغاء بعض التخصصات الدراسية فيها. وكان لذلك الأمر آثار سلبية على التدريس، حيث كان بعض الأساتذة يدرسون مواد خارجة عن تخصصهم.

ونتيجة للوضع الإداري والتدريسي السابق، فقد تعرضت مدرسة خضوري الزراعية في الثلاثينيات لنقد كبير من مختلف الفعاليات الفلسطينية، ولعل من أبرز الانتقادات التي وجهت إليها، كان من الجهات المختصة بالزراعة، ومن أبرزها جمعية المهندسين الزراعيين الفلسطينيين، التي قدمت مذكرة نقدية للتركيبة الإدارية والتدريسية في المدرسة، كتبها اثنان من المهندسين الزراعيين هما سعيد التاجي

(40) Government of Palestine, High Commissioner for Palestine, Personal Staff, W. P N. D, p. 3.

(41) Ibid.,

فلسطين 1937/2/5 ص7؛ 1937/4/7، ص3؛ مقابلة مع محمود الخواجة 1994/4/23؛ مقابلة د. يحيى صلاح 1994/7/20؛ مقابلة مع خالد فياض 1995/11/4.

(42) عن الشخصيات الفلسطينية المؤهلة لإدارة هذه المدرسة انظر: جريدة الدفاع 1936/1/3، ص 7.

(43) Abdulqadir, OP. Cit., P. 194.

ماثيوز وعقراوي، المصدر السابق، ص 321؛ فلسطين 1939/3/22، ص 2.

(44) فلسطين 1934/3/18؛ ص 9، 1938/2/3، ص 7.

(45) المصدر نفسه 1938/2/3، ص 7 ؛ الدفاع 1934/6/22، ص 7.

(46) الدفاع، 1936/12/3، ص 7.

الفاروقي ونعيم أبو ضبة، وهما من خبراء الزراعة الفلسطينية في عهد الانتداب البريطاني، قدمت في أواخر عام 1936، وأهم ما جاء فيها:

1- فيما يتعلق بالهيئة الإدارية، فقد أكدت المذكرة الضعف الشديد في البنية الإدارية والفنية في تلك المدرسة، مما دلل على ذلك تكرار اضطرابات الطلاب عن تلقي علومهم الدراسية في عام 1936، ولو كانوا راضين عن مديرهم " هيلد" وعن حالة مدرستهم فليس هناك ما يدعو لإضرابهم. لذلك يجب أن يكون مدير المدرسة عربيًا. كما وجهت انتقادات لمدير المدرسة، الذي يفتقر إلى المؤهلات والشهادات العلمية المناسبة، والتي لا تتفق مع المنصب الذي يتولاه، حيث جاء فيها :" يلزم أن يكون المدير حائزًا على درجة علمية محترمة تتناسب ووقار هذه المؤسسة الفنية. ويجب أن يكون المدير حسن الإدارة الفنية والدراسية حتى يستطيع تحقيق التجارب العلمية الصحيحة ". وبينت تلك المذكرة أن مدير مدرسة خضوري، المذكور آنفًا "، ليس خريج جامعة علمية زراعية ولا يحمل أي شهادة فنية، وقد يكون ذا خبرة عملية فقط إلا أن هذا لا يكفي في مدرسة فيها نظريات الفن الحديث وتجري فيها تجارب علمية بالمعنى الصحيح، والمعروف أن التطبيق العملي لا يكفي، بل يجب أن يشفع بالدراسات العلمية والفنية الصحيحة. ومن لم يكن ذا خبرة دراسية علمية لا يمكنه أن يقوم أو يناظر على تجارب علمية صحيحة". وكان المطلب الرئيس لتلك المذكرة، أن تكون إدارة المدرسة من العرب[47].

2- وفيما يختص بالهيئة التدريسية، فقد بينت المذكرة قلتها في المدرسة 1933 - 1936 حيث جاء فيها : ".. إن قلة عدد الأساتذة تلعب دورًا كبيرًا في متانة الدروس التي يتلقاها الطلبة، لأنه لا يعقل أن يجيد أستاذ التدريس أكثر من فرعين شديدي الاتصال ببعضها بعضاً، بينما نرى أن بعض الأساتذة يدرس حاليًا (1935 - 1936) أكثر من أربعة مواضيع بعيدة كل البعد عن بعضها ". لذلك أصرت المذكرة على زيادة الهيئة التدريسية، من خلال تعيين أكبر عدد ممكن من العرب ممن يحملون شهادات علمية عالية ليكونوا أساتذة في المدرسة على أن يكون سبعة منهم من الدائمين في التخصصات الزراعية الرئيسة كالزراعة العامة، وتربية الحيوان والدواجن.. وأساتذة غير متفرغين في سبعة عشر موضوعًا دراسيًا[48]. وبناءً على ذلك يجب أن يكون عدد الأساتذة في مدرسة خضوري ما بين 3 - 4 أضعاف ما كان موجودًا فيها آنذاك.

ونظرًا لوجود السلبيات الكثيرة في التركيبة الإدارية والتدريسية في مدرسة خضوري الزراعية، فقد ظهرت في الصحف الفلسطينية العديد من المقارنات ما بينها وبين مدرسة خضوري الزراعية اليهودية في جبل طابور، والتي أسست بفضل هبة إليس خضوري عام 1934[49]. حيث بينت تلك المقارنات وجود فوارق جوهرية وأساسية بين المدرستين، فالمدرسة اليهودية، كانت إدارتها وهيئتها التدريسية من اليهود، بينما كانت العربية من الإنجليز[50]. ناهيك من وجود كوادر علمية مؤهلة بشكل مناسب، ومتخرجة في أفضل الجامعات الأوروبية والأمريكية، كانت لها

---

(47) سعيد التاجي ونعيم أبو ضبة وسعيد التاجي الفاروقي (جمعية المهندسين الزراعيين، تقرير هام عن مدرسة خضوري الزراعية بطولكرم، الدفاع 1936/12/3، ص ص 2 - 7.

(48) المصدر نفسه.

(49) عبدالعزيز، هشام فوزي، التعليم اليهودي العام حتى نهاية المرحلة الثانوية في فلسطين 1920 - 1948، رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الأردنية، كلية الآداب، قسم التاريخ 1993، ص 130.

(50) الدفاع 1935/4/17، ص 3؛ 1936/1/3، ص 7؛ 1936/12/13، ص ص 2 - 7؛ فلسطين 1935/9/24، ص 3.

خبره كبيرة في المجال الزراعي في المدرسة اليهودية[51].

وفيما يتعلق بأعضاء هيئة التدريس بخضوري العربية، فإنه يمكن إيراد مختصر لسيرهم الذاتية، وبخاصة العلمية منها، ممن تتوافر عنهم المعلومات، وهم:

- ثوماس روسل ستودرات Thomas Russel Stodart: وهو حاصل على بكالوريوس العلوم الزراعية، من جامعة جلاسجو في اسكتلندا، درس في خضوري تربية الماشية، وصناعة الألبان. عمل في المدرسة منذ عام 1931، وحتى النصف الثاني من الثلاثينيات[52].

- رفول خوام: حاصل على بكالوريوس علوم زراعية من فرنسا، وقد عمل في المدرسة منذ عام 1931، وحتى بداية الأربعينيات[53]. وكان يدرس علم الحراج[54].

- جمال حماد: درس في جامعة كنساس في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث حصل منها على بكالوريوس علوم 1927[55]. عمل في دائرة الزراعة الحكومية بين عامي 1927 - 1929، ثم انتقل إلى مدرسة خضوري فعمل فيها أستاذًا بين عامي 1931 - 1933[56]. وكان يدرس علم البستنة، وعلم النبات والحيوان والبكتيريا[57].

- أحمد القاسم: بكالوريوس علوم من الجامعة الأمريكية في بيروت، عمل معلمًا في دائرة المعارف الحكومية عام 1926، ثم أصبح مشرفًا في مدارسها عام 1928[58]. عمل في خضوري أستاذًا في أوائل الثلاثينيات. وكان يدرس علم النبات، وكيمياء النبات، ومادة البستنة[59].

- أحمد خليفة: تلقى علومه الابتدائية في العهد العثماني، وفي عهد الإدارة البريطانية عمل مع دائرة المعارف الحكومية، إذ عين معلمًا بين عامي 1920 - 1922، ومفتشًا لمعارف لواء السامرة (نابلس)، ثم أستاذًا في مدرسة خضوري خلال الثلاثينيات، وفي فترات متقطعة[60].

---

(51) المصادر نفسها؛ ويفال ألون، بيت أبي، ترجمة عن العبرية محمود عباسي، حيفا، شركة الأبحاث العلمية، 1980، ص 139.

(52) Government of Palestine, Palestine Civil Service list – 1937, p. 159
فلسطين 1934/3/18، ص 8؛ الدفاع 1934/6/22، ص 7.

(53) Government of Palestine, High Comissioner for Palestine Personal Staff, p. 3.
فلسطين 1934/3/18، ص 8 ؛ مقابلة مع حكمت قدورة 1994/2/4؛ مقابلة مع د. سليم الناشف 1994/4/26؛ مقابلة مع سعيد التاجي الفاروقي 1994/8/18.

(54) أوراق ووثائق مدرسة خضوري:
Government of Palestine, Department of Agricuture and Forests, Kadoorie Agricultural school, From H.M, Heald – Principal Teachers Class, Winter Teamn, to Director of Education, 7 January 1934.
مقابلة مع سعيد التاجي الفاروقي 1994/8/18.

(55) صورة عن شهادة البكالوريوس التي حصل عليها جمال حماد من تلك الجامعة بحوزة الباحث (مجموعة أوراق جمال حماد).

(56) السيرة الذاتية لجمال حماد ضمن مجموعة أوراق جمال حماد .
Government of Palestine, Palestine Civil Service = list, 1939, p. 154.

(57) فلسطين 1935/4/17، ص 7؛ مقابلة مع حكمت قدورة 1994/2/4.

(58) Government of Palestine, Palestine Civil Service list, 1937, p. 142, Ibid, Staff list – 1948, Jerusalem, 1947, p. 22.

(59) أوراق ووثائق مدرسة خضوري:
Government of Palestine, Departmetn of Agriculture and Forests, Kadoorie Agricultural School, From H.M.Heald, Principal Teachers. Class, To Director of Education, 7 January 1934.
الكرمل 1931/1/17ص3؛ فلسطين 1935/4/7؛ 1935/5/24، ص3؛ 1935/6/7، ص 7.

(60) Government of palestine, Palestine Civil Service list – 1937, p. 132, Ibid, Department of Education, Annaual Report 1933-1934, p. 10.
يعقوب العودات، من أعلام الفكر والأدب في فلسطين، عمان، وكالة التوزيع الأردنية، 1978، ص 172، فلسطين 1936/2/6، ص5، 1936/3/11، ص 7.

- عز الدين الشوا: حصل على شهادة البكالوريوس الزراعية من جامعة كنتاب kintape، عين أستاذًا في مدرسة خضوري بين عامي 1931 - 1933[61].

- محمد كمال: تخرج في الجامعة الأمريكية في بيروت عام 1930، حيث حصل منها على شهادة بكالوريوس في الاقتصاد والسياسة[62]. عمل أستاذًا في مدرسة خضوري بين عامي 1931 - 1935، وكان يدرس مسك الدفاتر، واقتصاد المزرعة[63].

وخلاصة للمعلومات المتعلقة بأبرز الأساتذة الذين درسوا في مدرسة خضوري الزراعية في طولكرم، فإن غالبيتهم قد تخرجت في جامعات أوروبية وأمريكية، لها مكانتها العلمية الجيدة. ويلاحظ أن الأساتذة العرب الذين كانوا يدرسون فيها، لا يستقرون فيها لفترات طويلة، باستثناء رفول خوام، وربما كان ذلك ناتجاً عن الرغبة البريطانية في عدم الاعتماد كثيرًا على العنصر العربي التدريسي في المدرسة. ولم يتبين من المعلومات الموجودة في المصادر المتوافرة عن المدرسة أن إدارة الزراعية كانت ترسل البعثات الدراسية للخارج للتخصص في الزراعة، لتعيينهم في مدرسة خضوري، وهذا مؤشر هام، إذ أن السلطات البريطانية كانت آنذاك تؤثر العنصر الإنجليزي على العربي في الوظائف.

ثانياً: الهيئة الإدارية والتدريسية في الأربعينات:

شهدت فترة الأربعينيات تغييرات أساسية في مدرسة خضوري، إذ أصبحت الهيئة الإدارية والتدريسية فيها من العرب، ولم يعين أي أستاذ إنجليزي.

ففي مجال إدارة المدرسة، فقد تولى أكرم الركابي هذه المهمة منذ بداية الأربعينيات، حتى عام 1944. وقد تميز في معرفته وخبرته ودرايته بالأمور الزراعية، وبقوة شخصيته واستقلاليته، الأمر الذي أدى إلى اختلافه مع الإنجليز، وتقديمه استقالته في ذلك العام[64]. وتسلم إدارة المدرسة من بعده أحمد عبد الفتاح طوقان، الذي تخرج في الجامعة الأمريكية عام 1925، إذ حصل منها على شهادة البكالوريوس، وفي عام 1928، حصل على شهادة بكالوريوس فيزياء من جامعة أكسفورد، ثم عين محاضرًا في الكلية العربية 1929 - 1934، ومديرًا لمعارف شرق الأردن 1935 - 1937، وقد تولى أحمد طوقان إدارة مدرسة خضوري بين عامي 1944- 1948[65].

(61) Government of Palestine, Departmetn of Education, Annual Report 1931-1932, Jerusalem, Printing and Stationery Office, 1933. p. 34; Ibid, Annual Report 1932-1933, Jerusalem, Printing and Stationery, 1934, p. 34; Ibid, Palestine Civil Service List, 1937, p. 40.

ص9؛ مقابلة مع زوجة محمد كمال، بهيرة جبيشي 1995/9/6.

(62) Government of Palestine, Departmetn of Education, Annual Report 1931-1932, Jerusalem, Printing and Stationery Office, 1933. p. 34; Ibid, Annual Report 1932-1933, Jerusalem, Printing and Stationery, 1934, p. 34; Ibid, Palestine Civil Service List, 1937, p. 40.

ص9؛ مقابلة مع زوجة محمد كمال، بهيرة جبيشي 1995/9/6.

(63) أوراق ووثائق مدرسة خضوري:

Government of Palestine. Department of Agriculture = and Forests, Kadoorie Agricultural School, From H.M.hHeald, Principal Teachers Class, to Director of Education, 7 Jaunary 1934.

فلسطين 1934/3/13، ص 3؛ 1934/4/18، ص 5؛ 1935/7/4، ص 5.

(64) فلسطين 1944/6/11، ص 2؛ مقابلة مع زهير الكرمي 1994/4/28 مقابلة مع محمود الخواجة 1994/4/23؛ مقابلة مع خالد فياض 1995/11/4؛ مقابلة مع د. يحيى صلاح 1994/7/20.

(65) أوراق ووثائق أحمد طوقان (شهادات علمية)

Government of Palestine, Palestine Civil Service list – 1937, p. 140, Ibid, Staff list – 1947, p. 22.

فلسطين 1944/8/15؛ ص 3، 1944/8/18، ص 3؛ مقابلة مع محمود الخواجة 1994/4/23، ومقابلة مع خالد فياض 4/11/1995.

أما أبرز أعضاء هيئة التدريس في مدرسة خضوري الذين توفرت عنهم المعلومات. فهم:

- شفيق الحسيني: حصل على بكالوريوس العلوم الزراعية من جامعة روتجرز rotergors في نيوجرسي بالولايات المتحدة الأمريكية عام 1937[66]. عمل في خضوري خلال فترة الأربعينيات، وما بعدها، وكان يدرس المواضيع التالية: أدوية النبات، تربية الحيوان (تربية ماشية، ودواجن، وأبقار)، ومحاصيل زراعية[67].

- علي رؤوف: حاز على شهادة بكالوريوس في العلوم من الجامعة الأمريكية في بيروت عام 1929، ثم بكالوريوس علوم زراعية من الكلية الزراعية التقنية في تكساس في الولايات المتحدة الأمريكية عام 1937[68]. استمر في عمله في مدرسة خضوري طيلة فترة الأربعينيات. وكان يعلم المواضيع التالية: بستنة، وخضروات وفواكه، ونحل وحراج[69].

- صبحي شعث: حمل شهادة الماجستير تخصص ميكانيك من الولايات المتحدة. وقد درس في خضوري بين عامي 1941 - 1943. وكان يعلم الآلات الزراعية[70].

- سعيد التاجي الفاروقي: تخرج في جامعة ريجست riegest في كاليفورنيا بالولايات المتحدة حيث حصل منها على شهادة بكالوريوس العلوم الزراعية عام 1934[71]. عمل في الزراعة، حيث أسس مزارع مختلطة للزراعة وتربية الأبقار في فلسطين[72]. عمل مدرسًا في خضوري بين عامي 1941 - 1943، وكان يعلم فيها: النحل، وتربية الحيوانات (الأبقار، والأغنام، والدجاج)[73].

- رشيد منيب الدجاني: نال شهادة البكالوريوس في علوم الكيمياء والصيدلة من الجامعة الأمريكية في بيروت عام 1940. وقد عين عند عودته إلى فلسطين أستاذًا للطبيعيات والكيمياء في مدرسة خضوري حتى عام 1943[74].

- محمود السيد أحمد: تخرج في الجامعة الأمريكية في بيروت، حيث حصل منها على بكالوريوس كيمياء. درس في خضوري طيلة فترة الأربعينيات. ومن المواضيع التي درسها فسيولوجية نبات، ومختبر أدوية وأسمدة، وأراض، وكيمياء، ومبادئ جيولوجيا[75].

(66) أوراق ووثائق شفيق الحسيني (شهادات علمية).

(67) دفتر مادة أدوية النبات (حشرات المرض)، الصف الرابع الثانوي للعام الدراسي 1945 - 1946، مدرسة خضوري الزراعية؛ دفتر مادة الدواجن الصف الرابع الثانوي 1945 - 1946، مدرسة خضوري الزراعية، مقابلة مع د. يحيى صلاح 1994/7/20، مقابلة مع خالد فياض 1995/11/4، مقابلة مع د. عبد الله عرعر 1994/7/28.

(68) أوراق ووثائق علي رؤوف (شهاداته العلمية).

(69) دفتر مادة خضراوات، الصف الرابع الثانوي 1945 - 1946، مدرسة خضوري الزراعية ؛ دفتر مادة بستنة، الصف الرابع الثانوي 1945 - 1946، مدرسة خضوري الزراعية، مقابلة مع عبد الرحمن النجاب 1994/2/9؛ مقابلة مع د. يحيى صلاح، 1994/7/20؛ مقابلة مع خالد فياض 1995/11/4، مقابلة مع د. عبد الله عرعر 1994/7/28.

(70) مقابلة مع الأستاذ سعيد التاجي الفاروقي 1994/8/18؛ 1994/8/24؛ مقابلة مع محمود الخواجة 1994/4/23.

(71) أوراق ووثائق سعيد التاجي الفاروقي (شهاداته العلمية).

(72) فلسطين 1935/6/2، 4.

(73) مقابلة مع سعيد التاجي الفاروقي 1994/8/18، 1994/8/24؛ مقابلة مع محمود الخواجة 1994/4/23.

(74) العقاد، من هو - 1945، ص 53 ؛ مقابلة مع محمود الخواجة، 1994/4/13؛ مقابلة مع عبدالرحمن النجاب 1994/2/9.

(75) دفتر مادة فيزيولوجية نبات، الصف الرابع الثانوي، مدرسة خضوري الزراعية ؛ دفتر مادة مختبر أتربة وأسمدة، الصف الرابع الثانوي، مدرسة خضوري الزراعية؛ مقابلة مع عبد الرحمن النجاب 1944/2/9؛ مقابلة مع خالد فياض 1995/11/4، 1994/11/8، مقابلة مع د. يحيى صلاح 1994/7/20؛ مقابلة مع د. عبد الله عرعر 1994/7/28.

- زهير الكرمي: تخرج في الجامعة الأمريكية في بيروت، فحصل منها على شهادة بكالوريوس علوم طبية عام 1939 م، علم في مدرسة خضوري، كأستاذ غير متفرغ، مواضيع اللغة العربية واللغة الإنجليزية، وأمراض النبات[76].

- حامد عطاري: حاز على شهادة بكالوريوس علوم في آداب اللغة الإنجليزية من الجامعة الامريكية عام 1939 وأرسل في بعثة دراسية إلى معهد التربية في جامعة لندن للتخصص في التربية والتعليم سنة 1940، عين معلمًا في عكا بين عامي 1940 - 1943، ثم أستاذًا في مدرسة خضوري 1943 - 1948[77].

وكان هناك أساتذة آخرون يدرسون في مدرسة خضوري الزراعية، بصفة غير دائمة. كما أن مديري المدرسة أكرم الركابي، وأحمد طوقان كانا يدرسان الطلبة، فالأول درس الزراعة العامة[78]، والثاني كان يدرس الفيزياء[79].

ويبدو أن مدرسة خضوري قد بدأت في أواخر عام 1947، بالاستعانة بكوادر مصرية للتدريس في المدرسة، وذلك من خلال التنسيق ما بين دائرة المعارف الحكومية في فلسطين ودائرة الزراعة والمعارف المصرية، بغية الاستفادة من الخبرات المصرية في مجال الزراعة[80].

ويخلص الباحث إلى أن مدرسة خضوري الزراعية في طولكرم قد شهدت في فترة الأربعينيات تغييرات جوهرية في بنيتها الإدارية والتدريسية، إذ أصبحت عربية الطابع، فاجتذبت الكوادر الفلسطينية المؤهلة تأهيلاً علميًا مناسبًا للتدريس في هذه المدرسة الزراعية، وغالبيتها تخرجت في جامعات متقدمة في أمريكا وبريطانية وبيروت. كما يلاحظ، بشكل عام، ارتفاع عدد الأساتذة الذين كانوا يدرسون فيها، مقارنة بفترة الثلاثينيات، فكان عددهم لا يقل عن ثمانية أساتذة، وهذا الأمر ساعد في إنجاح مدرسة خضوري الزراعية.

3- **السلم التعليمي والمناهج الدراسية:**

انقسم المستوى التعليمي في مدرسة خضوري الزراعية، إلى مستويين الأول ضم التعليم الثانوي، والثاني ضم صف المعلمين أوصف التربية، وكانا منفصلين عن بعضهما بعضاً في شتى المجالات.

أ- **التعليم الثانوي :**

اتصف السلم التعليمي في مدرسة خضوري خلال الفترة 1931 - 1948 بأنه كان متطوراً ويواكب حاجات وضروريات كل فترة زمنية. فقد طبقت في بدايتها عام 1931، سلماً تعليمياً مكوناً من برنامجين، البرنامج الأول، الذي أطلق عليه اسم التعليم الابتدائي، وكان يقبل فيه الطلبة الذين أنهوا الدراسة الابتدائية، أي الصف السابع، ويدرسون سنة دراسية زراعية واحدة فقط. والبرنامج الثاني، الذي أطلق عليه أسم التعليم الثانوي، وكان يقبل فيه الطلبة الذين أنهوا دراسة الصف الثاني الثانوي، ويدرسون فيه ثلاث سنوات دراسية هي: الأول زراعي، ويعادل الصف الثالث الثانوي في المدارس الحكومية، والثاني زراعي، ويعادل الصف الرابع الثانوي، والثالث الزراعي، ويعادل الخامس الثانوي. ولم يستمر السلم التعليمي السابق طويلاً، إذ سرعان ما ألغي بعد تخريج الدفعة الأولى التي قبلت في البرنامجين الأول والثاني،

(76) مقابلة مع زهير الكرمي 1994/4/28؛ مقابلة مع د. عبد الله عرعر 1994/7/28.

(77) مرسي الأشقر، مشاهير الرجال في المملكة الأردنية الهاشمية 1955 - 1956، القدس، 1956، ص 40. وانظر أيضا: مقابلة عبد الرحمن النجاب 1994/2/9؛ ومقابلة مع لبيب الداري = 1996/11/15؛ مقابلة سعدي الصاحب 1996/11/15.

(78) مقابلة مع سعيد التاجي الفاروقي 1994/8/18، 1994/8/24.

(79) مقابلة مع خالد الفياض 1995/11/4.

(80) فلسطين 1947/10/1، ص 2.

أي البرنامج الذي مدته سنه واحدة، بعد المرحلة الابتدائية، حيث ألغي بعد تخريج الدفعة الأولى عام 1931، أما البرنامج الثاني، فقد تم الاستمرار فيه حتى تخرجت الدفعة الأولى عام 1933، ولم تقبل فيه دفعة ثانية، وبالتالي فإن ذلك السلم التعليمي قد طبق على دفعة واحدة فقط من الخريجين[81].

ونظرًا لتوقف العمل في السلم التعليمي الأول في مدرسة خضوري، فقد ارتأت دائرة الزراعة بالتعاون والتنسيق مع دائرة المعارف الحكومية تغيير السلم التعليمي في المدرسة عام 1932، بحيث أصبح يقتصر على البرنامج الدراسي الثانوي، الذي كان يقبل فيه الطلبة الذين أنهوا دراسة الصف الثاني الثانوي في المدارس الحكومية الأكاديمية، لتشتمل على سنتين دراسيتين هما السنة الأولى زراعة، وهي تعادل الثالث الثانوي، والسنة الثانية زراعة، وهي تعادل الرابع الثانوي، بعدها يحصل الطالب على دبلوم الزراعة[82]. يقول آرثر واكهوب، المندوب السامي البريطاني في فلسطين عن أهداف ذلك البرنامج: " إن الغاية من هذه المدرسة هي تحسين مستوى الزراعة بوجه عام في جميع أنحاء فلسطين من خلال... التدرب تدريبًا صحيحًا على أصول الزراعة العامة عن طريق قضاء سنتين في الدراسة في هذه المدرسة ". وقد ظل العمل ساريًا في هذا البرنامج التعليمي حتى عام 1946، عندما أضيفت سنة زراعية ثالثة لذلك البرنامج، كانت بمثابة سنة استعدادية لامتحان الاجتياز إلى التعليم العالي الفلسطيني Plaestine Examination Matruculation شأنهم في ذلك شأن بقية طلاب المدارس الحكومية الأكاديمية في فلسطين[83].

وفيما يتعلق بالمناهج الدراسية التي كانت تدرس في مدرسة خضوري فقد اشتمل التعليم الابتدائي على تعليم المبادئ العامة للزراعة، النظرية والعملية، إضافة إلى بعض العلوم الضرورية للطالب في حياته العملية[84].

واشتمل منهاج الدراسة الثانوية (ثلاث سنوات دراسية) على مواد مختلفة وشاملة لشتى المواضيع النظرية والعملية. فالطالب يدرس في السنة الأولى مواضيع عامة لها تخصصاتها. فالموضوع الأول هو علوم طبيعية كعلم النبات، وكيمياء الزراعة، وعلم الحيوان. أما الموضوع الثاني فهو الزراعة، كمبادئ الزراعة، والمخصبات والأسمدة، وآلات وماكينات زراعية، وري المحاصيل وتصريفها. فيما يختص الموضوع الثالث بعلم البستنة والغابات، حيث يشتمل على مبادئ علم البستنة، وتطور إدارة البستنة، وري البساتين، ومزارع الخضراوات، والأشجار المثمرة، والغابات. وخصص الموضوع الرابع للعناية بالحيوانات مثل مبادئ إدارة الحيوان، وإدارة الدواجن، والأعلاف

(81) Government of Palestine, Kadoorie Arab Agricultural School Tulkarem, Ibid; Department of Education, Annual Report 1930-1931, p. 45.
فلسطين 1930/10/12، ص4؛ 1932/3/16، ص 5؛ 1938/12/3، ص ص 2 - 7؛ مقابلة مع حكمت قدورة 1994/2/4.

(82) Government of Palestine, Department of Education, Annual Report 1937-1938, p. 55; Ibid, Office of Statistics, Statistical Abstract of Palestine-1943, Jerusalem, Government Printing Press, 1943, p. 43; Ibid, Statistical Abstract of Palestine 1944 – 1945, Jerusalem, Government Printer, 1946, p. 194. =

= ماثيوز وعقراوي، المصدر السابق، ص 321؛ مقابلة مع د. سليم التاشف 1994/2/26؛ مقابلة مع عبد الرحمن النجاب 1994/2/9؛ مقابلة مع د. يحيى صلاح 1994/7/20.
◆ الدفاع 1939/2/3، ص 2، 7.
◆ فلسطين 1934/3/13، ص 3.

(83) مجلس التعليم العالي الفلسطيني، شهادة الاجتياز إلى التعليم العالي الفلسطيني رقم 1750 باسم عبد الله عرعر، مدرسة خضوري الزراعية بطولكرم بتاريخ 1947/12/1، المصدر نفسه، امتحان الاجتياز إلى التعليم العالي الفلسطيني، نتائج امتحان 1947.

(84) فلسطين 1930/10/12، ص 4، 1932/3/16، ص 5.

والتغذية. وفي السنة الثانية كان الطالب يدرس المواضيع السابقة ولكن بتوسع. فالموضوع الأول كُرس للعلوم الطبيعية والتي كانت تشتمل على زراعة النبات، وكيمياء النبات والاقتصاد، وعلم الحشرات، وأمراض النبات. والموضوع الثاني، الزراعة، واشتمل على أدوات الزراعة، ودراسة محصول زراعي، واختيار البذور، وسلالة النباتات، وتخطيط المزارع، والآلات الزراعية. واحتوى الموضوع الثالث، وهو المخصص للبستنة والغابات، على محاصيل الحمضيات وزراعة الكروم، والأشجار المثمرة، والفواكه، والخضراوات، والأخشاب والغابات. وضم الموضوع الرابع الحيوانات، ودراسة سلالاتها وأجناسها، ودراسة مزارع الأبقار، والدجاج، وتربية دودة القز. وخصصت دراسة السنة الثالثة للمواضيع السابقة، ففي العلوم الطبيعية كان الطالب يدرس علم بكتيريا الزراعة، والتبريد، وفي موضوع الزراعة، الزراعة الاستوائية، ومحاسبة المزارع، والتعاونيات والأسواق، وفي موضوع البستنة والغابات، الغابات الاستوائية، وصيانة الغابات، وفي موضوع الحيوانات، مبادئ العلاجات، وفحص الدواجن، ومبادئ البيطرة[85].

ويستخلص من منهاج الدراسة الثانوية السابق أن المواضيع كانت متنوعة وشاملة لشتى أنواع الزراعة، ويستطيع الطالب أن يلم بالزراعة بشكل مناسب، وإن خلت من العلوم غير الزراعية والتي لها علاقة بها، كالرياضيات، والمساحة، واللغة الإنجليزية. كما يتبين أن تلك المناهج كانت متدرجة، ويتم التوسع فيها من سنة لأخرى، إضافة إلى طرح مواد جديدة مختلفة عما تم طرحه سابقًا.

وفيما يتعلق بمنهاج الدراسة الثانوية، والذي اشتمل على سنتين زراعيتين وطبق بين عامي 1932-1946، فقد كان شاملاً ومتنوعًا، ويبدو أن المواضيع التي كانت تدرس في البرنامج السابق قد دمجت معًا لتدرس في سنتين دراسيتين، وعلى الرغم من ذلك فقد تعرض لنقد شديد، إذ إن جمعية المهندسين الزراعيين الفلسطينيين بينت أهم سلبياته، والتي تمثلت في عدم شموله لمواضيع هامة غير زراعية تستحق التدريس في مدرسة خضوري. ومما ورد في ذلك: ".. يجب أن نلفت أنظار فخامتكم (المندوب السامي) إلى ضرورة تدريس بعض العلوم غير الزراعية كالطبيعيات، والرياضيات، وبعض اللغات الأجنبية والموسيقى، واللغة العربية، وكذلك تشجيع الروح الرياضية في المدرسة بكل معنى الكلمة"[86].

ويظهر أن دائرة الزراعة بالتعاون مع دائرة التعليم الحكومية، قد ارتأت إحداث تغيير في المناهج الدراسية النظرية والعملية، وذلك استجابة للحاجات الضرورية، وتلبية للطلبات التي قدمت بشأن المناهج لإدخال التعديلات عليها، وهذا ما جاء في المناهج الدراسية التي كانت تدرس في مدرسة خضوري في الأربعينيات، حيث أصبحت على الشكل التالي: في السنة الأولى، يدرس الطالب المواضيع النظرية والعملية التالية: اللغة العربية، واللغة الإنجليزية، وعلم الزراعة، وعلم الحيوان، وعلم النبات، والكيمياء، وتربية الماشية، والآلات الزراعية، والرياضيات، والطبيعيات، والرسم والمساحة، وتربية النحل، والدواجن[87]. واشتملت السنة الثانية زراعة على المواد التالية: اللغة العربية، واللغة الإنجليزية، والكيمياء العضوية، والأتربة، والأسمدة، والمحاصيل،

(85) Government of Palestine, kadoorie Arab Agricultural School Tukarem, Syllabus, pp. 1-7.

(86) التاجي وأبو ضبة، المصدر السابق، ص 7.

(87) حكومة فلسطين، إدارة المعارف العامة، مدرسة خضوري الزراعية بطولكرم، شهادة مدرسية للسنة الدراسية النهائية 1944- 1945، للصف الثالث ثانوي، باسم الطالب عبد الله عرعر، بتاريخ 1945/8/27.

والخضراوات، والبستنة، وتربية الماشية، ووقاية النباتات، وتربية الدواجن، والري والصرف وعمل المدارج، والإحراج والأزهار، والمساحة، وفيزيولوجيا الحيوان، ومسك الدفاتر[88].

ويستخلص من المناهج التي طبقت في الأربعينيات أن مواضيع السنة الزراعية الأولى في مدرسة خضوري، كانت (12) موضوعًا دراسيًا، فيما ارتفعت في السنة الزراعية الثانية إلى (16) موضوعًا دراسيًا كانت تدرس باللغتين العربية والإنجليزية. وقد اشتملت تلك المواضيع على مواد نظرية وأخرى عملية. كما يلاحظ أن مواضيع السنة الثانية، جاءت مكملة لمواضيع السنة الأولى، وتوسعت فيها، إضافة إلى أنها اشتملت على مواضيع جديدة لم تدرس في السنة الأولى. ومن خلال مقارنتها مع المناهج الدراسية التي كانت تدرس في الثلاثينيات، يلاحظ أن مناهج الأربعينيات اشتملت على مواضيع هامة، غير زراعية، لها علاقة بذلك الموضوع، وهي اللغة العربية، واللغة الإنجليزية. كما أنها ضمت مواضيع زراعية لم تكن تدرس في الثلاثينيات مثل الرسم والمساحة، وتربية النحل.

وبالاستعانة بدفاتر الطلبة الذين كانوا يدرسون تلك المناهج في الأربعينيات، نستطيع أخذ فكرة واضحة عنها. فمثلاً اشتملت مادة المساحة، على تعريف مصطلح المساحة، وتبيان أهميتها، ووسائل قياسها، وصفات كل طريقة منها، من خلال الرسم والتطبيق العملي لها[89]. وفي مادة فسيولوجية نبات، تم التعرض لتركيب النبات، والمواد الأساسية في ذلك التركيب، وبخاصة الخلايا، وأثر المواد المختلفة عليها، ونمو النبات، والعوامل المؤثرة في ذلك النمو[90]. وفي مادة الخضراوات، عولجت أنواعها المختلفة مثل الفاصوليا، والفجل، والبصل، والكوسا، والخيار، والبطاطا، حيث تم التطرق إليها في المجالات التالية : اسمها العلمي، وفصيلتها، وأهميتها، ومميزاتها، والتربة التي تصلح فيها زراعتها، وأنواعها، والأمراض التي تصيبها، وطرق علاجها[91]. أما مادة علم النبات، فكان الطالب يدرس المميزات العامة للنباتات وتصنيفها، وتركيبها، وطرائق تكاثرها، وأوجه الشبه والاختلاف بينها وبين الحيوانات[92]. وكرست مادة الدواجن لمعرفة مميزاتها وصفاتها، وأنواعها، وإنتاجها، ووسائل الاعتناء بها، والأمراض التي تصيبها، وطرق مكافحة تلك الأمراض، ثم تغذيتها، وطرق الاعتناء بها[93]. واشتملت مادة أمراض النباتات على تأثير الحشرات على النباتات، وأعراض الأمراض، وطرق مكافحتها، وفوائد الحشرات، وطرق تكاثرها، وتغذيتها، وتطورها، وأنواعها[94]. وركز في مادة مختبر التربة والأسمدة على وسائل طرق فحص التربة، ومكوناتها، والمعادن الموجودة فيها، والأدوات، ووصفها، ومميزاتها[95]. أما في اللغة الإنجليزية فقد خصصت لترجمة النصوص العربية إلى

(88) حكومة فلسطين، إدارة المعارف العامة، مدرسة خضوري الزراعية. بطولكرم، النتيجة النهائية للسنة الدراسية 1945- 1946، للصف الرابع ثانوي، باسم الطالب عبد الله عرعر، بتاريخ 1946/7/21.

(89) دفتر مادة مساحة، الصف الرابع الثانوي 1945 - 1946 مدرسة خضوري الزراعية.

(90) دفتر مادة فزيولوجية، الصف الرابع الثانوي 1945 - 1946، مدرسة خضوري الزراعية.

(91) دفتر مادة خضروات، الصف الرابع الثانوي 1945 - 1946، = مدرسة خضوري الزراعية.

(92) دفتر مادة علم النبات، الصف الرابع الثانوي 1945 - 1946، مدرسة خضوري الزراعية.

(93) دفتر مادة الدواجن، الصف الرابع الثانوي 1945 - 1946، مدرسة خضوري الزراعية.

(94) دفتر مادة أدوية نبات وأمراضها، الصف الرابع الثانوي 1945 - 1946، مدرسة خضوري الزراعية.

(95) دفتر مادة مختبر التربة والأسمدة، الصف الرابع الثانوي 1945 - 1946، مدرسة خضوري الزراعية.

اللغة الإنجليزية، وبالعكس، وكانت تلك النصوص حول مواضيع عامة، من بينها الزراعة[96].

وفيما يتعلق بمنهاج السنة الثالثة الزراعية، والتي بدأ فيها عام 1946- 1947، فقد كانت بمثابة سنة استعدادية لامتحان الاجتياز إلى التعليم العالي الفلسطيني، فقسمت إلى قسمين: الأول ما يتعلق بذلك الامتحان، والثاني ما يختص بالزراعة. وبالنسبة لمواضيع امتحان الاجتياز فقد اشتملت على ما يلي: اللغة العربية، والرياضيات الابتدائية، والتاريخ العام، واللغة الإنجليزية، والكيمياء، وعلم النبات، وعلم الحيوان[97]. ويبدو أن تلك المواد قد اشتملت على مواضيع علمية وأدبية، يشترك فيها طلبة خضوري مع طلاب المدارس الثانوية الأخرى في فلسطين والذين يتقدمون لذلك الامتحان، إذ إن المناهج، والأسئلة، والتصحيح، وشروط منح الشهادة، كانت موحدة بينهم[98].

وأما عن عملية سير التعليم في مدرسة خضوري الزراعية، فإن المناهج الدراسية فيها كانت تشتمل على جانبين، الأول نظري، والثاني عملي، فالأسبوع الدراسي كان يقسم إلى قسمين، القسم الأول ثلاثة أيام دراسية عملية في الحقول والبساتين وحظائر الحيوانات، والقسم الثاني ثلاثة أيام دراسية نظرية (محاضرات). فإذا خصص اليوم الدراسي الأول لطلاب السنة الأولى الزراعية للمحاضرات، فإن ذلك اليوم يكون لطلاب السنة الثانية الزراعية مخصصًا للناحية العملية. وهكذا يكون طلاب المدرسة يطبقون عمليًا، ويدرسون نظريًا دون تعارض بينهما، فالبرنامج الدراسي في المدرسة يعد مسبقًا من قبل إدارتها. والذي يهمنا هنا هو التطبيق العملي، فوفق البرنامج الفصلي الذي يوضع للطلبة، يحدد بموجبه لكل طالب برنامجه العملي خلال الفصل، بحيث يراعي البرنامج توزيع الطلبة في اليوم العملي على مختلف النشاطات التي تحتاج إلى تطبيق عملي وهي: البستنة، والحقول، والأبقار، والأغنام، وصناعة الألبان، وتربية النحل، والنجارة، والحدادة، فمثلاً إذا خصص لطالب أو اثنين العمل في حظائر الأبقار، فإن يومهم العملي يبدأ من الساعة الخامسة صباحًا، بحلب الأبقار وتسجيل مقدار حليبها، ثم تنظيف حظائرها، وتقديم الغذاء لها. وإذا حدد لطالب آخر أو اثنين، العمل في الدواجن فإنهما يتفقدون بيوت الدجاج، وتنظيفها، وتقديم الغذاء لها، ويتم تسجيل مقدار ما تبيضه كل دجاجة في سجلات خاصة، لاختيار الصالح منها للبيض، وإذا ما تعرضت للمرض فتتم معالجتها بالتعاون مع أستاذ المادة، أو مشرف ذلك القسم. وبالطريقة تلك كانت تطبق الدروس العملية[99].

وفيما يخص التطبيق الزراعي العملي لطلاب السنة الثالثة الزراعية، فإن إدارة مدرسة خضوري الزراعية، كانت تعهد لكل طالب من طلاب تلك السنة بدونم من الأراضي الزراعية لمدة عام واحد، للاعتناء به من شتى النواحي، من حيث حراثته، وزراعته، وتسميده، ورشه بالمبيدات الحشرية، وإذا كان شجرًا مثمرًا، فإن الطالب يطعمه في حالة الحاجة إلى ذلك، ويقطف

(96) دفتر مادة ترجمة إنجليزية، الصف الرابع الثانوي 1945 – 1946، مدرسة خضوري الزراعية.

(97) مجلس التعليم العالي الفلسطيني، شهادة الاجتياز إلى التعليم العالي الفلسطيني، رقم 1750، باسم عبد الله عرعر، مدرسة خضوري الزراعية بطولكرم بتاريخ 1947/12/1.

(98) لمزيد من المعلومات عن امتحان الاجتياز إلى التعليم العالي الفلسطيني والمناهج المطلوبة انظر: مجلس التعليم العالي الفلسطيني، شهادة المدرسة الثانوية الفلسطينية وشهادة =

= الاجتياز إلى التعليم العالي الفلسطيني، المناهج – 1945، القدس 1944، ص16 - 17، 29 - 32، 41.

(99) استندت هذه المعلومات بالأساس إلى المقابلات الشخصية التي أجراها الباحث: مقابلة مع حكمت قدورة 1994/2/4؛ مقابلة مع عبد الرحمن النجاب 1994/2/9؛ مقابلة مع د. يحيى صلاح 1994/7/20؛ مقابلة مع خالد فياض 1995/11/4؛ مقابلة مع د. عبد الله عرعر 1994/7/28.

ثماره، ويصنعها. وهذا كله يتم بإشراف أساتذة المدرسة[100]. ويستخلص من ذلك أن الطالب مكلف بكل ما يتعلق بالدونم الزراعي المخصص له، بحيث يشتمل على عمليات زراعية مختلفة، تكسب الطالب خبرة زراعية كبيرة، تؤهله لشق حياته العملية.

ومن خلال تقييم المناهج النظرية والعملية التي كانت تدرس في مدرسة خضوري في الأربعينيات، يتضح أنها ذات مستوى مرتفع نوعًا ما، لتنوعها وشمولها على شتى المواضيع الزراعية النظرية والعملية، أو تلك التي لها علاقة بذلك الموضوع. ومما يؤيد ذلك بعض الشيء أن تلك المناهج كانت تؤهل الطلبة للدراسات في الجامعات الأوروبية والأمريكية، كما أن بعض المواد الدراسية التي درسوها في خضوري، كانت تحسب لهم ويعفون منها، أو يتقدمون بها لامتحان، كان الطلبة يجتازونها[101]. ويعتبر بعض الطلبة أن الخبرة العملية التي اكتسبوها في خضوري قد شكلت النواة الأساسية للخبرة الزراعية العملية لهم، والتي تعذر الحصول عليها في مؤسسات تعليمية أخرى. هذا إلى جانب أن الدراسات النظرية والعملية في المدرسة، كانت في الغالب آخر ما توصلت إليه العلوم الزراعية من تطور، إذ إن أساتذتها قد تخرجوا في جامعات أوروبية وأمريكية متطورة. كما أنهم كانوا يعتمدون في تدريسهم على كتب دراسية متطورة كانت تدرس في تلك الدول[102].

ولما كانت الدراسة في مدرسة خضوري نظرية وعملية، فقد اشتملت امتحاناتها على المجالين السابقين[103]. وعندما أخذ طلاب خضوري يتقدمون لامتحان الاجتياز إلى التعليم العالي الفلسطيني بين عامي 1946 - 1948، كان مجلس التعليم العالي الفلسطيني[104]، هو الذي يشرف على ذلك الامتحان. وقد تقدم لذلك الامتحان لأول مرة في عام 1947، ستة طلاب، حصل اثنان منهم على شهادة الاجتياز إلى التعليم العالي الفلسطيني، فيما فشل البقية في اجتيازه[105]. وفي العام التالي، 1948، تقدم للامتحان ثلاثة عشر طالبًا، نجح جميعهم في الحصول على شهادة الاجتياز إلى التعليم العالي[106].

ب- صف المعلمين أو صف التربية:

افتتحت مدرسة خضوري الزراعية منذ تأسيسها، برنامجًا لتدريس المعلمين في مدارس القرى، أو الذين تخرجوا في المدرسة، فن تعليم الزراعة، لمدة عام واحد، وقد سمي هذا البرنامج بصف المعلمين أو صف التربية. وقد أوضح آرثر واكهوب أن تحسين مستوى الزراعة في فلسطين يتم من خلال تدريب عدد من

(100) مقابلة مع د. عبد الله عرعر 1994/7/28.

(101) مقابلة مع عبد الرحمن النجاب 1994/2/9؛ مقابلة مع سعيد التاجي الفاروقي 1994/8/18؛ 1994/8/24؛ مقابلة مع د. يحيى صلاح 1994/9/20؛ مقابلة مع د. عبد الله عرعر 1994/7/28؛ الدفاع 1934/6/12، ص 7؛ فلسطين 1934/3/13، ص 3.

(102) مقابلة مع عبد الرحمن النجاب 1994/2/9؛ مقابلة مع سعيد التاجي الفاروقي 1994/8/18؛ 1994/8/24؛ مقابلة مع د. يحيى صلاح 1994/9/20؛ مقابلة مع د. عبد الله عرعر 1994/7/28؛ الدفاع 1934/6/12، ص 7؛ فلسطين 1934/3/13، ص 3.

(103) المقابلات الواردة في الهامش السابق؛ فلسطين 1931/10/14، ص 5؛ 1934/3/13، ص 4.

(104) مجلس التعليم العالي الفلسطيني أنشئ عام 1923، كمؤسسة غير حكومية تكونت من مجموعة مختارة من رجال التعليم الإنجليز والعرب واليهود، وكان يشرف على عقد الامتحانات العليا، كامتحان الاجتياز إلى التعليم العالي، وامتحان الانترميديت (المتوسط) الفلسطيني انظر: هشام فوزي عبدالعزيز، المصادر الأولية لدراسة دار المعلمين والكلية العربية في القدس، أبحاث اليرموك (سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، م 18، ع 1، آذار 2002، ص ص 139 - 140.

(105) Palestine Board of Higher Studies, Palestine Matriculation Examination – 1947, Result List.

(106) Ibid, Palestine Matriculation Examination – 1948, Result List.

معلمي مدارس القرى العربية على أصول الزراعة العامة في كل عام، حيث قال: "أننا متيقنون أن معارفهم (المعلمين) ونفوذهم سيساعد تلامذة المدارس الابتدائية على تعلم بعض الأصول البسيطة المتبعة في الزراعة المختلطة، في سني حداثتهم. وبذلك نأمل أن تتبع أصول الزراعة الحديثة... تدريجيًا "[107].

وكان صف المعلمين منفصلاً عن طلبة خضوري، إلا أنهم كانوا يتلقون دروسهم في مزارع المدرسة، حيث استؤجرت لهم مساكن خاصة بهم[108]. وقد أقيم ذلك البرنامج بالتعاون مع مؤسسة الشرق الأدنى في بداية عام 1930 م، وهي جمعية أمريكية تعنى بالمساعدة على تحسين أحوال المعيشة في الأرياف في بلاد الشرق الأدنى، وذلك بغية تحسين أساليب الزراعة في القرى العربية، حيث قدمت تلك المؤسسة الدعم المالي السنوي، والذي كان يقدر بحوالي ألف جنيه فلسطيني سنويًا، خلال الفترة 1931-1935[109]. وقد تكون هناك دوافع أخرى، غير الإنسانية وراء التبرع، من بينها دوافع تبشيرية تتمثل في رغبة تلك المؤسسة في نشر الآراء والأفكار المسيحية في فلسطين، أو أهداف استعمارية، أي التشجيع والتمهيد للاستعمار الأمريكي في المنطقة، ولو بصورة بسيطة ومتواضعة.

وفيما يتعلق بالمناهج الدراسية في صف المعلمين، فيبدو أنها تغيرت وتطورت عن مرحلة الثلاثينيات. فمثلاً كانت المناهج الدراسية في صف المعلمين عام 1931 تشتمل على مواضيع نظرية وعملية. فقد ضمت المواضيع الزراعية النظرية على ستة تخصصات هي: العلوم الطبيعية (علم النبات الزراعي، وعلم الحشرات، وعلم الحيوان)، والمواضيع الزراعية (الفلاحة، والتربة وتحسينها، والسماد والتسميد، والحبوب، والدورة الزراعية)، والمواشي (من حيث تحسين نسلها، وتغذيتها، والعناية بها. والأدوات الزراعية، وعملية مسك الدفاتر، واقتصاديات المزارع إضافة إلى الأحراش والغابات (مشاتل، وأمراض النباتات، والعناية بها)، ثم فلاحة البساتين وزراعة الجنائن (غرس الأشجار المثمرة، وزراعة الخضار، والجنائن). وقد خصص التدريب العملي لجميع الأعمال الضرورية في الحقول، والمواضيع المتعلقة بالمواشي[110].

وفي العام الدراسي 1933 - 1934، كان الطلبة في صف المعلمين يدرسون في أحد الفصول المواد النظرية التالية: علم النبات، وكيمياء ابتدائية، وحفظ سجلات المزرعة، واقتصاديات المزرعة، والغابات، والبستنة. أما المواد العملية فكانت تتكون من المواد التالية: الحدادة، والنجارة، وحلب الأبقار، وصناعة الألبان، والبستنة، وتربية الدواجن، والمشاتل[111].

وكان يشرف على طلبة البرنامج أساتذة من ذوي الاختصاص، يأخذونهم في جولات إلى المؤسسات الزراعية في فلسطين[112]، وإلى محطات التجارب الزراعية[113]، وإلى الأماكن الزراعية المتقدمة[114]. وذلك بهدف تعريف الطلاب بطرق الزراعة الحديثة

---

(107) فلسطين 1934/3/13، ص 3.

(108) المصدر نفسه 1930/10/12، ص 4؛ 1931/10/14، ص 5؛ الجامعة العربية 1930/12/7؛ ص 3.

(109) Government of Palestine, Department of Education, Annual Report 1934-1935, Jerusalem, Printing and Stationery Office,1936, p.34, 42; Tibawi, Arab Education in Mandatory Palestine p. 51.

ومونتاكيو برون، الزراعة، في النظام الاقتصادي في فلسطين، تحرير سعيد حمادة، بيروت، الجامعة الأمريكية، 1939، =

= ص ص 237 - 238، الدفاع 1934/6/22، ص 8.

(110) فلسطين 1931/10/14، ص 5.

(111) أوراق ووثائق مدرسة خضوري:

Government of Palestine, Department of Agriculture and Forests, Kadoorie Agricultural School, From H.m.Heald Prinicpal Teachers Class, to Director of Education.

(112) فلسطين 1935/6/7، ص 7؛ 1936/2/6، ص 5.

(113) المصدر نفسه 1934/6/13، ص 7؛ 1935/5/24، ص 5.

(114) فلسطين 1935/6/19، ص 5.

وأساليبها، مع التركيز على أبرز الإنجازات الزراعية في فلسطين، لزيادة معارفهم الزراعية، وحثهم على استخدام أساليب متقدمة في الزراعة.

ويستخلص مما ذكر سابقاً أن برنامج صف المعلمين كان في الثلاثينيات يشتمل على مناهج زراعية نظرية وعملية، لتدريب هؤلاء المعلمين على الأساليب الزراعية المتطورة، حتى يقوموا بدورهم بتدريسها لطلبة مدارس القرى الفلسطينية.

وفي الأربعينيات تغيرت المناهج، حيث أصبحت تشتمل على مواضيع تربوية بحتة مثل: طرق تدريس الزراعة، والتطبيق العملي لمختلف المواضيع الدراسية التي تدرس في المدارس، وطرق التدريس العامة وإدارة الفصل الدراسي، والدروس النموذجية، والرسم. وكان التطبيق العملي للدروس في صف المعلمين يتم في مدارس طولكرم الابتدائية والثانوية. وفي نهاية السنة الدراسية لهذا الصف، كان الطلبة يتقدمون لامتحانات عملية، تتمثل في إعطاء درس عملي في إحدى المدارس، وفي مادة من المواد الدراسية، تكون اللجنة الفاحصة فيه من إدارة المعارف الحكومية وأساتذة الصف[115].

وبذلك يمكن القول إن صف المعلمين التابع لمدرسة خضوري قد أصبح في الأربعينيات مخصصاً لتدريب وتدريس الطلاب الذين تخرجوا في مدرسة خضوري سنة واحدة في علم التربية، وبخاصة أساليب التدريس المختلفة واستمر صف المعلمين في مدرسة خضوري الزراعية حتى عام 1946، عندما أضيفت سنة تدريسية زراعية ثالثة، وعلى أثرها ألغي صف المعلمين آنذاك[116].

4- **الطلاب في مدرسة خضوري:**

حرصت دائرة الزراعة الحكومية 1931-1944، ومن بعدها دائرة المعارف 1944 - 1948، على وضع شروط عامة لقبول الطلبة في مدرسة خضوري الزراعية، لمرحلة الدراسة الثانوية فيه للحصول على دبلوم الزراعة. وقد مرت عملية القبول في مرحلتين تاريخيتين اختلفت فيهما الشروط المطلوبة، ففي مرحلة الثلاثينيات، كانت هناك شروط عامة هي: أن يكون الطالب قد أنهى دراسة الصف الثاني ثانوي في إحدى المدارس الحكومية، أو ما يوازيها في المدارس الخاصة الأخرى، وكان يفضل الطلبة من ملاك الأراضي أو من الفلاحين الذين يعملون بالأرض، وأن يحصل الطالب على شهادة طبية تثبت سلامة صحته، إضافة إلى شهادة حسن سلوك من المدرسة التي تخرج فيها. ثم بعد ذلك تقدم طلبات على نماذج خاصة يمكن الحصول عليها من مكتب مفتش معارف اللواء الذي يدرس فيه الطالب[117]. وبعد ذلك تشكل لجنة تضم ممثلين عن دائرة التعليم، بإشراف مدير دائرة التعليم، لإجراء مقابلة مع الطلبة الذين تقدموا بطلبات الالتحاق[118]. وكان يمثل هذه اللجنة مندوب من مدرسة خضوري، وفي الغالب ما يكون المدير، أو مدير صف المعلمين، إضافة إلى مفتشين من دائرة المعارف، أو مدير تلك الدائرة[119]. وتكون تلك المقابلة عامة، حيث يتم الاستفسار من الطالب عن تحصيله الدراسي، وأسباب

(115) Abdulqadir, OP. Cit, p. 194.
والأبراشي ومحمود، المصدر السابق، ص 24؛ ماثيوز وعقراوي، المصدر السابق، ص 321؛ ومقابلة مع لبيب الداري (كان أحد طلبة صف المعلمين 1944 - 1945) 1996/11/15؛ مقابلة مع سعدي الصاحب (كان أحد طلبة صف المعلمين 1944- 1945) 1996/11/15.

(116) ماثيوز وعقراوي، المصدر السابق، ص 321.

(117) فلسطين 1937/8/11، ص3؛ مقابلة مع حكمت قدورة 1994/2/4؛ مقابلة مع د. سليم الناشف 1994/4/26.

(118) Government of Palestine, Department of Education, Annual Report 1929-1930, Jerusalem, Printing and Stationery, 1931, p. 46.

(119) فلسطين 1943/7/5، ص 5؛ 1937/9/5، ص 3؛ الجامعة العربية 1930/8/17، ص 3.

رغبته في دراسة الزراعة، ومدى قدرته على الحديث باللغة الإنجليزية[120].

ويضاف إلى ما سبق أنه كان يخصص لكل منطقة تعليمية (لواء) في فلسطين مقاعد محددة، يختار على أساسها الطلاب الذين سوف يقبلون في مدرسة خضوري، فمثلاً كان طلبة الدبلوم في تلك المدرسة عام 1933 يتوزعون على المناطق الجغرافية التالية[121]:

المنطقة	طولكرم	الخليل	نابلس	جنين	القدس	طوباس	اللد	الرملة	بئر	غزة	المجدل	عكا	الناصرة	صفد	شرق
العدد	5	3	2	2		1	1	2	1	1	1	3	2	2	2

ويتبين من الجدول أن منطقة السامرة (نابلس) أي نابلس، وطولكرم، وجنين، قد خصص لها (9) مقاعد أي حوالي ثلث الطلاب، أما المنطقة الشمالية(عكا، والناصرة، وصفد) فقد خصص لها (7) مقاعد، ومنطقة غزة (بئر السبع، والمجدل، وغزة) فقد خصص لها (3) مقاعد، ومنطقة يافا (اللد، والرملة) (3) مقاعد دراسية، وشرق الأردن (2). إضافة إلى عدد السكان في تلك المناطق ثم أعداد الطلاب الذين يتقدمون للدراسة في خضوري. ففي حالة نقص العدد المطلوب، أو عدم توافر الشروط المطلوبة في الطالب، تحول تلك المقاعد إلى لواء آخر.

ويبدو أن عدد المقاعد مرتبط بوجود الأرض الزراعية في المنطقة ومقدارها.

أما المرحلة الثانية، وهي فترة الأربعينيات، فقد أهمل بند مُلاّك الأراضي، أو العمل في الزراعة، وأصبح التركيز على المستوى العلمي للطلاب في دراستهم الثانوية، فيما بقيت الشروط الأخرى التي وضعت في الثلاثينيات[122]. مع مراعاة المقاعد المخصصة لكل منطقة تعليمية، ففي عام 1945-1946، كان التوزيع الجغرافي لطلاب الدبلوم في مدرسة خضوري على الشكل التالي[123]:

المنطقة	طولكرم	الخليل	نابلس	بئر السبع (بتوزيعه)؟	يافا	غزة	عكا	صفد	قلقيلية	شرق الأردن
عدد الطلاب	7	4	2	2	1	1	1	1	1	2

ويتضح من خلال الجدول أعلاه، اختلاف التوزيع الجغرافي للطلاب في مدرسة خضوري في العام 1944-1945، مقارنة بالعام 1933، إذ إن الأساس الجديد الذي أصبح يراعى عند قبول الطلبة هو تحصيلهم العلمي. كما يلاحظ ارتفاع المقاعد الدراسية المخصصة لمنطقة طولكرم والخليل، وانخفاضها في المناطق الأخرى بشكل عام.

ولا غرو أن نجد مدرسة خضوري الزراعية، قد تحولت من مدرسة تخرج المزارعين، لمدرسة تخرج المعلمين الذين يعملون في مدارس القرى، إذ لم تشترط المدرسة في قبولها للطلاب على مُلاّك الأراضي، لتركيزها على المستوى التعليمي، وكان ينبغي الخلط بين الطريقتين، أي قبول مُلاّك الأراضي

(120) مقابلة مع حكمت قدورة 1994/2/4؛ مقابلة مع د. سليم الناشف 1994/4/26.

(121) فلسطين 1933/7/22، ص 5؛ مقابلة مع د. سليم الناشف 1994/4/26.

(122) Abdulqadir, OP. Cit., p. 195.

وماثيوز وعقراوي، المصدر السابق، ص 322، فلسطين =

= 1944/10/3، ص 3، 1944/10/5، مقابلة مع محمود الخواجة 1944/4/23؛ مقابلة مع عبد الرحمن النجاب، 1944/2/9 مقابلة مع د. يحي صلاح 1944/7/20.

(123) مقابلة مع خالد فياض 1995/11/4؛ مقابلة مع د. عبد الله عرعر 1994/7/20.

والمتميزين في دراستهم، حتى تستفيد منهم الزراعة الفلسطينية بشكل مناسب.

وفيما يتعلق بطلاب السنة الثالثة زراعة، والتي بدئ بتطبيقها عام 1946 - 1947، فكان المجال مفتوحًا للطلبة الراغبين في دراستها، لذلك كان الإقبال عليها في البداية، متواضعاً، فقد بلغ عدد الطلبة في العام الأول ستة طلاب، وفي العام الثاني 1947 - 1948، بلغ عدد الطلاب ثلاثة عشر طالبًا(124).

وكان يقبل في صف المعلمين من أنهى دبلوم الزراعة في مدرسة خضوري في ذلك العام، حيث يفسح المجال للراغبين في الدراسة في ذلك الصف، إذ إن الكثير من طلاب الدبلوم كانوا يفضلون العمل على دراسة تلك السنة، وفي حالة نقصان العدد المطلوب، وهو خمسة عشر طالباً، كأن يقبل الطلبة الذين تخرجوا في سنوات سابقة(125).

وكانت الإجراءات تتم من خلال تقديم الطلاب لطلبات التحاق إلى صف المعلمين إلى إدارة المعارف الحكومية بواسطة مدير المنطقة التعليمية التي يدرس فيها الطالب، وهنا تختار دائرة المعارف الطلاب الذين تنطبق عليهم الشروط التي وضعتها تلك الدائرة(126).

وكان الطلبة الذين يقبلون في الدراسة الثانوية في مدرسة خضوري يدفعون (24) جنيهاً سنويًا كرسوم دراسية، إضافة إلى رسوم السكن الداخلي، إذ إن غالبية الطلاب الذين يقبلون فيها، يكونون في القسم الداخلي، ويستثنى من ذلك سكان منطقة طولكرم، بسبب قرب سكنهم من المدرسة. ومن جملة الأسباب التي أدت إلى اشتراط أن يكون الطالب في القسم الداخلي في المدرسة، هو أن بعض الأعمال الزراعية والاهتمام بالحيوانات كان يتطلب الحضور مبكرًا في المدرسة، للقيام بها. ويخضع الطالب في القسم الداخلي لبرامج محددة يتقيد بها من حيث أوقات الدراسة، والأكل، والنوم، والاستراحة، ... ومن يخالفها يتعرض لعقوبات متدرجة. وفي القسم الداخلي يقدم للطالب السكن، والمأكل، والغسيل، والألعاب الرياضية، والحمام الساخن مرة واحدة في الأسبوع. ولهذا النظام حسنات، إذ يتعود الطلبة النظام والتمسك به، وعلى العمل الجماعي(127).

وأرى أن النظام في القسم الداخلي في مدرسة خضوري فيه إيجابيات أشير إليها، ولكن فيه سلبيات أيضًا، منها أن النظام فيه شديد، ويغلب عليه الروح العسكرية، إضافة إلى أنه يبقي الطلبة في عزلة نوعًا ما عن المجتمع الذي يعيشون فيه، وربما هذا الأمر ما

---

(124) Palestine Board of higher Studies, Palestine Matriculation Examination –1947, Result List; Ibid, Palestine Matriculation Examination – 1948, Result List.

(125) أوراق ووثائق مدرسة خضوري:
- كتاب عفيف العطعوط، إدارة تفتيش معارف السامرة إلى المعارف بشأن صف المعلمين بتاريخ 1934/8/8.
- وحكومة فلسطين، إدارة المعارف الحكومية، إعلان، القدس 1933/8/9.

Director of Education, Class for Rural Teachers at Tulkarem 1934-12935, to Samaria – Nablus, 18 August 1934. (2).

ويرون، المصدر السابق، ص 237.

(126) أوراق ووثائق مدرسة خضوري:
- كتاب عفيف العطعوط، إدارة تفتيش معارف السامرة إلى المعارف بشأن صف المعلمين بتاريخ 1934/8/8.
- وحكومة فلسطين، إدارة المعارف الحكومية، إعلان، القدس 1933/8/9.

Director of Education, Class for Rural Teachers at Tulkarem 1934-12935, to Samaria – Nablus, 18 August 1934.(2).

ويرون، المصدر السابق، ص 237.

(127) مقابلة مع حكمت قدورة 1994/2/4؛ مقابلة مع د. سليم الناشف 1994/4/26؛ مقابلة مع محمود الخواجة 1993/4/23؛ مقابلة مع عبد الرحمن النجاب 1994/2/9؛ مقابلة مع د. يحيى صلاح 1994/7/20، مقابلة مع خالد فياض 1995/11/4.

سعت إليه سلطات الانتداب البريطاني، لإبقاء طلبتها بمعزل عن الأحداث السياسية التي كانت تمر فيها فلسطين آنذاك. والأدلة على ذلك كثيرة، لعل من أهمها: سياسة الإغلاق تجاه المدرسة وإدارتها التدريسية والإدارية البريطانية، واتخاذها قاعدة للقوات البريطانية في أثناء الحرب العالمية الثانية. والسؤال الذي نطرحه هنا: هل نجحت السياسة البريطانية في عزل الطلاب عن مجتمعهم؟

وللإجابة عن ذلك السؤال، يمكن القول بأن السلطات البريطانية لم تنجح في مسعاها لعزل طلبة المدارس عن مجتمعهم والأحداث السياسة التي يمرون بها، فقد شارك طلبة خضوري، إخوانهم في الثورة الفلسطينية الكبرى 1936- 1939، بطرق ووسائل مختلفة، إذ كانوا يرسلون البرقيات إلى الجهات البريطانية المختلفة، يستنكرون فيها ما يمارس ضد بعض الوطنيين الفلسطينيين[128].

وعندما سريت معلومات لطلاب مدرسة خضوري عن نية حكومة الانتداب البريطاني بيع قطعة زراعية مساحتها (400) دونم، كانت مخصصة للتجارب الزراعية في المدرسة، للمؤسسات الصهيونية، تظاهر طلبتها احتجاجًا على ذلك القرار، وأعلنوا إضرابهم عن الدراسة في 24 شباط 1936، كما وجهوا العرائض إلى المسئولين البريطانيين مطالبين إياهم بما يلي: تبديل مدير المدرسة الإنجليزي، الأستاذ هيلد، وإبقاء الأرض للمدرسة، وتبديل المستر ستودرات، أحد معلمي تلك المدرسة لشعوره المعادي للعرب، وتعيين المعلمين العرب في المدرسة. وقد وعد طلاب خضوري بدراسة مطالبهم من قبل السلطات البريطانية[129]. وقد استمر هؤلاء الطلبة في عرض قضاياهم على الرأي العام الفلسطيني والبريطاني، لتحقيق مطالبهم[130]. حتى إنهم وجدوا مساعدة من جهات وطنية فلسطينية مختلفة، إضافة إلى مساندة أقرانهم في المدارس الأخرى، ففي أثناء زيارة همفري بومن Humphrey Bowman مدير دائرة المعارف[131] إلى نابلس قدم إليه بعض الطلبة اعتراضًا على نية السلطات البريطانية بيع قطعة أرض تابعة لمدرسة خضوري للمؤسسات الصهيونية[132].

وإزاء تصرفات طلبة خضوري أرسلت دائرة الزراعة الحكومية، أوراق تعهد لتوزيعها على أولياء أمور الطلبة، ليتعهدوا فيها بضمان سلوك طلابهم في المدرسة، وعدم الاشتراك في المظاهرات. في المقابل لم تحقق السلطات البريطانية مطالب الطلبة[133]. فاستمر إضرابهم عن الدراسة، فقامت القوات البريطانية باحتلال مدرسة خضوري الزراعية بعد أن أغلقتها في 25 نيسان 1936[134]. ويبدو أن القوات البريطانية بقيت في المدرسة، حيث إن الطلبة لم يدعوا للدراسة[135]. مما أدى إلى اعتراض الهيئات الوطنية

(128) فلسطين 1936/1/18، ص 5.

(129) المصدر نفسه 1936/2/25، ص 5.

(130) المصدر نفسه 1936/2/26، ص5 ؛ 1936/2/27، ص 5؛ 1936/2/28، ص 7.

(131) بومن، بريطاني من مواليد عام 1879، عمل في وظائف مختلفة منها وزارة المعارف المصرية بين 1911 - 1913، وخدم في الجيش البريطاني في أثناء الحرب العالمية الأولى 1914 - 1918، ومديرًا لمعارف العراق 1918 - 1920، ومديراً لدائرة المعارف في فلسطين 1920 - 1936. انظر: عبد العزيز، التعليم اليهودي العام، ص 145.

(132) مالك المصري، نابلسيات: من بواكير الذكريات والوجوه والصور الشعبية، عمان، الدار الأردنية للثقافة والإعلام، =

= 1990، ص ص 307 - 309.

(133) Government of Palestine, Department of Education, Annual Report of the School Year 1935-1936, Jerusalem, 1936. p. 55.

فلسطين 1936/3/3، ص 2؛ 1936/3/11، ص 1، 3.

(134) Government of Palaestine, Department of Education, Annual Report of the School Year 1936-1937, Jerusalem, Printing and Stationery, 1938, p. 5; Ibid, Annual Report 1937-1938, p. 55.

فلسطين 1936/4/26، ص 5.

(135) المصدر نفسه 1936/12/12، ص 5؛ 1936/12/24، ص 7.

الفلسطينية على ذلك العمل[136]. وفي 12 شباط 1937، أعلن مدير دائرة الزراعة إغلاق المدرسة وفصل طلبتها البالغ عددهم (62) طالباً "رد لأنهم شاركوا الأمة في شعورها وعواطفها في أيام إضرابها"[137]. وكان لهذا القرار صداه السلبي على المؤسسات الوطنية الفلسطينية المختلفة التي انبرت، لحث السلطات البريطانية على إلغاء ذلك القرار[138]. ولم تستجب تلك السلطات للمطالب الوطنية الفلسطينية بفتح المدرسة، بل لجأت إلى إغلاق المدرسة ثلاثة أشهر أخرى، اعتبارًا من شهر أيار 1937، كما عملت على انتداب هيئتها الإدارية والتدريسية إلى وظائف أخرى[139].

وبقيت مدرسة خضوري الزراعية مغلقة بين عامي 1936 - 1939، حيث أصبحت تخضع لسيطرة القوات البريطانية[140]. والانكى من ذلك أن هذه المدرسة اتخذت معتقلاً للمناضلين الفلسطينيين في بداية الحرب العالمية الثانية، وبالتحديد عام 1939[141].

وفي عام 1946 - 1947، شارك طلاب مدرسة خضوري مع إخوانهم طلاب المدارس الحكومية في مظاهراتهم ضد السياسة البريطانية، التي لجأت إلى تعيين شخص يهودي في رئاسة بلدية القدس خلفًا للعربي حسين فخري الخالدي. وعلى أثر ذلك، أغلقت مدرسة خضوري لمدة شهر، ولكنها أعادت الطلبة إلى الدراسة بعد التعهد بعدم تكرار ذلك[142].

5 – دور مدرسة خضوري في الزراعة الفلسطينية والعربية والدولية:

ساهمت مدرسة خضوري في تقدم الزراعة الفلسطينية والعربية والدولية من خلال طلبتها الذين تخرجوا فيها والذين يقدر عددهم بنحو 510 طلاب، حيث نقلوا خبرتهم الزراعية التي اكتسبوها في المدرسة إلى الأماكن التي عملوا فيها. وقد اتسمت تلك الخبرة بارتفاع مستواها، لوجود مناهج شاملة ومتنوعة في المدرسة، وتوافر كوادر علمية تخرجت في الجامعات الأمريكية والأوروبية، إضافة إلى الوسائل والأساليب والآلات الزراعية والتي جعلت من خضوري معهدًا زراعيًا متقدمًا في المنطقة العربية

أ– دور مدرسة خضوري في الزراعة الفلسطينية:

وتمثل دور خضوري في الزراعة الفلسطينية من خلال الطلبة الذين تخرجوا فيها على المستويين الدبلوم وصف المعلمين. ونظرًا لعدم توافر إحصاءات شاملة وكاملة لعدد الطلبة الذين تخرجوا فيها، في المصادر التي اعتمدتها الدراسة فإنه سوف يتم تقدير تلك الأعداد، إذ كان متوسط عدد الطلبة الذين يحصلون على شهادات الدبلوم سنويًا (25) طالباً، فيما كان متوسط عدد طلاب صف المعلمين سنويًا (15) طالبًا،

(136) المصدر نفسه 1937/2/2، ص 5؛ 1937/2/6، ص 8؛ 1937/2/10، ص 10، 1937/2/13، ص 11.

(137) المصدر نفسه 1937/2/13، ص 10؛ 1937/2/14، ص 10.

(138) المصدر نفسه 1937/2/14، ص 10؛ 1937/2/16، ص ص 5- 10؛ 1937/2/17، ص 7، 1937/12/18، ص 11؛ 1937/12/19، ص ص 5 - 10؛ 1937/2/20، ص 7؛ 1937/2/21، ص 6، 13، 1937/2/24، ص 10؛ 1937/3/10، ص 2؛ 1937/3/21، ص 3.

(139) المصدر نفسه 1937/5/26، ص 4.

(140) ماثيوز وعقراوي، المصدر السابق، ص 321.

Abdulqadir; Op. Cit., p. 194.

(141) فلسطين 1939/3/22، ص 5؛ 1939/2/26، ص 5؛ 1939/3/6، ص 5، 1939/3/21، ص 11.

(142) مقابلة مع خالد فياض 1995/11/4، 1995/11/8؛ مقابلة مع د.عبد الله عرعر 1994/7/28.

والمجموع العام لعدد طلاب المدرسة: الأول زراعي، والثاني زراعي، وصف المعلمين ما بين (60 - 70) طالبًا[143]. واستنادًا إلى ذلك فإن تقديرات عدد الطلاب الذين تخرجوا في مدرسة خضوري، ويحملون شهادة الدبلوم بين عامي 1931- 1948، حوالي (300) طالب، إذ تخرجت دفعات في السنوات التالية (1933 - 1936، 1941 - 1948) أي (12) دفعة. فيما يقدر عدد الذين تخرجوا في صف المعلمين بحوالي (210) طلاب، إذ تخرجت الدفعات في السنوات التالية (1933 - 1935، 1940 - 1948). ويعني ذلك أن المدرسة خرجت نحو (510) طلاب للزراعة الفلسطينية، كان من بينهم بعض طلبة شرق الأردن.

وكان نسبة لا بأس بها من الطلاب الذين تخرجوا في مدرسة خضوري في الثلاثينيات يتوجهون للعمل في الأرض الزراعية، لأن المدرسة كانت في تلك الفترة تشترط قبول الطلاب من ملاك الأراضي أو يعملون في الأرض الزراعية. فعلى سبيل المثال لا الحصر، فقد تخرج في عام 1934، (28) طالبًا، عمل (10) منهم في أراضيهم الزراعية[144]. فيما شهدت فترة الأربعينيات انخفاضًا كبيرًا في عدد الذين يعملون في أراضيهم الزراعية، بسبب عدم اشتراط المدرسة لقبول الطلاب ممن يملكون الأرض الزراعية، فمثلاً في عام 1945، تخرج في المدرسة (27) طالباً من الدبلوم، اشتغل (23) منهم بالتدريس، وتوظف واحد في إدارة الزراعة، واشترك اثنان في إدارة مصنع للألبان، واشتغل آخر في مزرعة والده. وتشير الإحصاءات إلى أنه من بين (120) طالباً تخرجوا في المدرسة، لم يعمل في الزراعة سوى أثنين[145]. وكان المجال الرئيس لعمل طلبة خضوري في الأربعينيات هو التدريس الزراعي في القرى، إضافة إلى العمل في الدوائر الحكومية، وبخاصة دائرة الزراعة، حيث كانوا يعملون كمفتشين زراعيين، أو في العمل بالمشاتل الزراعية، أو في محطات التجارب الزراعية[146].

يقول عبد القادر يوسف، الذي عاصر فترة الانتداب ومن المختصين في مجال التربية والتعليم والذي أعد أطروحة للدكتوراه بهذا الشأن عن ذلك الاتجاه، إنه عندما "كانت المدرسة تحت إشراف الزراعة كان اتجاهًا زراعيًا في العمل والأهداف. وقد حاولت دائرة الزراعة أن تشجع فكرة العمل في المزارع والعيش في الأرض ومساعدة الفلاحين. ولم يكن هدفها الحقيقي أن تصدر معلمين بالجملة... ومما لا شك فيه أن انحرافًا مستمرًا حدث على القاعدة العامة في قبول الطلاب القرويين وأصحاب الملكيات الزراعية إلى المدرسة، وذلك لأن الكثير من طلاب المدن الذين قبلوا في المدرسة كانوا ممن لا يملكون أرضاً، وبعض الأحيان ممن لا يهتمون بالأمور

---

(143) اعتمدت في تحديد متوسط عدد الطلاب الذين يتخرجون سنويًا في دبلوم التربية وصف المعلمين على المصادر التالية:
Government of Palestine, Department of Education, Annual Report 1932-1933, p. 33; Annual Report, 1934-1935, pp. 41-42; Annual Report 1935-1936, p. 5; Annual Report 1937-1938, p. 55; Department of Statistics, Statistical Abstract of Palestine – 1943, p. 43; Statistical Abstract of Palestine 1944-1945, p. 194.
فلسطين 1932/3/16، ص5، 1937/2/21، ص 6، 1937/2/24، ص 10؛ 1944/8/18، ص 3؛ الدفاع 1937/6/22، ص 6؛ مقابلة مع حكمت قدورة 1994/2/4؛ مقابلة مع عبد الرحمن النجاب 1994/2/9، –

– مقابلة د. يحيى صلاح 1994/7/20؛ مقابلة مع خالد فياض 1995/11/4؛ مقابلة د. عبد الله عرعر 1994/7/28؛ مقابلة مع لبيب الداري 1996/11/15، مقابلة مع سعدي الصاحب 1996/11/15.

(144) فلسطين 1934/3/13، ص 3.

(145) ماثيوز وعقراوي، لمصدر السابق، س 323.

(146) Abdulqadir, OP. Cit., p. 195.
سعيد التاجي ونعيم أبو ضبة، المصدر السابق، فلسطين 1943/5/22، ص 7؛ 1944/9/15، ص 1؛ مقابلة مع د. سليم الناشف 1994/4/26؛ مقابلة مع محمود الخواجة 1994/4/23؛ مقابلة مع خالد الفياض1995/11/4؛ مقابلة مع د. عبد الله عرعر 1994/7/28.

الزراعية. إذ كانت فكرة الوظيفة هي التي حفزت أولئك الذين شذوا عن القاعدة العامة ودخلوا المدرسة، كما حفزت معظم الذين كانوا يتقدمون للدراسة في المدارس الثانوية القليلة آنذاك "(147).

ولعب خريجو صف المعلمين دورًا هامًا في تقدم الزراعة في المدارس القروية التي درسوا فيها، حيث عملوا على نقل معارفهم إلى طلاب تلك المدارس، وإلى سكان القرى. وقد كان طلبة المدارس يعملون في أراضيهم الزراعية، فيطبقون ما تعلموه في تلك الأراضي. يضاف إلى ذلك أن المعلمين قد ساهموا في تطوير الحدائق المدرسية في القرى. يقول آرثر واكهوب بهذا الصدد، بإن تخريج صف المعلمين في مدرسة خضوري عام 1934 قد: " أسفر عن أفضل النتائج لاسيما في القرى التي يوجد في مدارسها حدائق جيدة، ففي السنة الماضية (1933) كان في فلسطين (90) حديقة مدرسية وكان أغلبها لا يزرع زراعة وافية، وأما الآن فيعتنى بها عناية جيده. وقد زيد عدد هذه الحدائق إلى (173) حديقة... وإنني واثق من أن حدائق المدارس، إذا ما تم تنظيمها وتنسيقها في المستقبل في جميع أنحاء فلسطين وشرق الأردن فستلعب دورًا خطيرًا في حمل التلاميذ في القرى على الاهتمام بقواعد الزراعة البسيطة على اختلاف أنواعها"(148).

وقد طبق خريجو خضوري الذين عملوا في الأراضي الزراعية، خلال فترة الانتداب 1931 - 1948، الخبرة الزراعية التي اكتسبوها بالمدرسة في أراضيهم الزراعية، وبخاصة أساليب الزراعة الحديثة، وأنواع المزروعات، ووسائل العناية بها، وطرق مكافحة الأمراض التي تصيب النبات، والوسائل العلمية المناسبة للتعامل مع الأرض الزراعية. فأدخلوا إلى أراضيهم المزروعات الجديدة، كما اتبعوا الدورة الزراعية. وكذلك الأمر بالنسبة للثروة الحيوانية، حيث تدربوا على وسائل الاعتناء بها، وتغذيتها، وانتقاء المناسب منها، وطرق مكافحة أمراضها. وهي من جملة الأسباب التي أدت إلى تقدم الزراعة، والاهتمام بالثروة الحيوانية بطرق علمية، في فلسطين(149).

وفيما يتعلق بدور مدرسة خضوري في المجتمع المحلي، خارج نطاق تدريس الطلاب، فقد كان محدوداً، فلم تساهم المدرسة في تنمية علاقتها مع ذلك المجتمع، من خلال الدورات والمناهج، وتقديم الخبرات الفنية للفلاحين(150). وقد قامت المدرسة بمحاولات محددة خلال هذا المجال في الثلاثينيات. ففي الفترة بين 22 - 24 نيسان 1935، عقدت المدرسة دورة زراعية لمربي الأغنام والرعاة العرب، حيث ركزت على التجارب العملية لحلب الأغنام، وطرق تربيتها، واختيارها للتناسل، ومداواتها من الأمراض(151). ويبدو أن مثل هذه التجربة لم تتكرر.

وضمن الإطار السابق، كانت المدرسة تقيم حفلات لتخريج الطلاب يدعى إليها بعض الأهالي والآباء لحضورها، كما حدث في 1934/3/13، عندما أقيمت حفلة لتخريج الدفعة الأولى في المدرسة(152). كما ساهمت المدرسة في بداية عام

(147) Abdulqadir, OP. Cit., p. 195.

(148) فلسطين 1934/3/13، ص 3.

(149) مقابلة مع حكمت قدورة 1994/2/4؛ مقابلة مع د. سليم الناشف 1994/4/26؛ مقابلة مع عبد الرحمن النجاب 1994/2/9؛ مقابلة مع د. يحيى صلاح 1994/7/20، مقابلة مع خالد فياض 1995/11/4؛ 1995/11/8؛ مقابلة مع د. عبد الله عرعر 1994/7/28.

(150) مقابلة مع حكمت قدورة 1994/2/4؛ مقابلة مع د. سليم الناشف 1994/4/26؛ مقابلة مع عبد الرحمن النجاب 1994/2/9؛ مقابلة مع د. يحيى صلاح 1994/7/20، مقابلة مع خالد فياض 1995/11/4؛ 1995/11/8؛ مقابلة مع د. عبد الله عرعر 1994/7/28.

(151) فلسطين 1935/4/2، ص 4.

(152) المصدر نفسه 1935/3/13، ص 3.

1935، من خلال مديرها وأساتذتها وطلابها بثمانية جنيهات فلسطينية إعانة لمنكوبي الطوفان في نابلس[153]. وكانت المدرسة في بعض الأحيان تشارك في مكافحة الجراد. ففي عام 1946 شارك طلاب المدرسة في مكافحة الجراد الذي هاجم منطقة دير الغصون، وما يجاورها[154]. وفي نطاق محدود، أيضاً، كان الطلبة يؤخذون في جولات إلى المزارع الحكومية والخاصة للتعرف على الزراعة فيها[155].

كما كانت المدرسة تشارك في النشاطات الرياضية، وبخاصة في كرة القدم، مع الفرق المحلية في القدس، وبخاصة فرق الكلية العربية والرشيدية[156]. وفي بعض السنوات كانت خضوري تقيم حفلة الألعاب الرياضية السنوية، حيث تجرى فيها مسابقات رياضية مختلفة كالألعاب السويدية، ومسابقات العاب القوى. كان يدعى إليها الوجهاء وأولياء أمور الطلبة[157].

ويستخلص من البحث أن دور مدرسة خضوري في المجتمع الفلسطيني، باستثناء التدريس، كان محدودًا جدًا، وليس له أهمية، مما يعني أنها كانت منعزلة نوعاً ما عن المجتمع الفلسطيني، إذ كان ينبغي لها كونها مؤسسة فلسطينية أن تعمل على تنمية علاقاتها بالمجتمع، والعمل على إعداد الدورات الزراعية المختلفة للفلاحين، وتقديم الخبرة الزراعية لهم، وهذا الأمر لم يحصل. وقد أشارت إلى ذلك جمعية المهندسين الزراعيين في تقريرها عن المدرسة، والذي أعد عام 1936، فأكدت ضرورة فتح قسم عملي مدته سنة واحدة على الأقل لتخريج فئة من القرويين، ذات اختصاص عملي في الدرجة الأولى تمكنهم من إدارة مزارعهم الخاصة، أو إدارة مزارع خصوصية وطنية، أو مؤسسات حكومية[158].

ب - دور مدرسة خضوري في الزراعة العربية:

كان الأردن من أكثر الدول العربية التي استفادت من مدرسة خضوري الزراعية في المجال الزراعي. إذ دأبت إدارة المعارف الحكومية في الأردن على إرسال بعثاتها الدراسية إلى تلك المدرسة بين عامي 1931- 1948. وكان عدد طلبتها الذين يدرسون في المدرسة سنويًا ستة موزعين بالتساوي على كل سنة دراسية، وهي الأول زراعي، والثاني زراعي، وصف المعلمين. ويعني ذلك أن عدد طلبة الأردن الذين كانوا يتخرجون في المدرسة سنويًا أربعة، اثنان من دبلوم التربية، واثنان من صف المعلمين. ويقدر عدد الذين تخرجوا منهم في تلك المدرسة خلال الفترة آنفة الذكر نحو (50) طالبًا، عمل غالبيتهم في مجال التعليم الزراعي في الأردن[159]. ومما لا شك فيه أنهم ساهموا في تطوير الزراعة من خلال تدريسهم في المدارس القروية.

(153) المصدر نفسه 1935/2/19، ص 2.

(154) مقابلة مع خالد فياض 1995/11/4؛ مقابلة مع د. عبد الله عرعر 1994/7/28.

(155) فلسطين 1935/6/7، ص7 ؛ 1943/6/13، ص 7؛ 1935/6/19، ص 5؛ مقابلة مع عبد الرحمن النجاب 1994/2/9.

(156) مقابلة مع محمود الخواجة 1994/4/23؛ مقابلة مع عبدالرحمن النجاب 1994/2/9.

(157) فلسطين 1944/5/20، ص 3.

(158) التاجي وأبو ضبة، لمصدر السابق، ص 7.

(159) Government of Palestine, Department of Education, Annual Report 1932-1933, p.33.

وتقارير عن شرق الأردن عام 1934، إعداد وجمع وتحرير محمد عبدالقادر خريسات، عمان، منشورات الجامعة الأردنية، 1987، ص ص 26 - 27؛ تقارير عن شرق الأردن 1/2 – 1935/12/31، إعداد وجمع وتحرير محمد عبدالقادر خريسات، عمان، منشورات الجامعة الأردنية، 1986، ص ص 20 - 21، والمقابلات التي أجريت مع طلاب المدرسة هامش رقم (26).

وبعد نكبة 1948 تجمعت أعداد أخرى من خريجي خضوري من الفلسطينيين في الأردن كانت مساهمتهم واضحة في الزراعة الأردنية. وشكلوا مع إخوانهم طلبة الأردن كوادر علمية مؤهلة للعمل الزراعي بشكل مناسب، وساهمت في تطوير الزراعة الأردنية، من خلال استخدام أساليب الزراعة المتقدمة. وقد أسس بعضهم مزارع خاصة بهم في مناطق مختلفة من الأردن، وبعضهم قام بإنشاء المشاتل الزراعية، أو تأسيس شركات للمواد الزراعية، مثل شركة رأفت قشوع للمواد الزراعية[160].

ولم يقتصر دور طلبة خضوري على ما سبق، بل إن بعضهم أشغلوا مناصب رفيعة في مختلف الوزارات الأردنية، وبخاصة وزارة الزراعة الأردنية. وسوف يتم التعرف على أهم هؤلاء، من بينهم خليل اللوباني، الذي عمل في وزارة الزراعة الأردنية مأمورًا للرقابة 1946 - 1951، ورئيسًا لقسم وقاية النبات 1960، ثم مساعدًا فنيًا لوكيل وزارة الزراعة 1962، ووكيلاً لتلك الوزارة 1971[161]. وهناك محمد الفرحان العبيدات، الذي درس في خضوري 1933-1934، حيث عمل بعد تخرجه فيها في وزارة التربية والتعليم الأردنية 1939 - 1964، ثم مستشارًا ثقافيًا، ثم وزيرًا للأشغال الأردنية في العام 1971[162]. كما أن سامي أيوب، الذي حصل على دبلوم مدرسة خضوري عام 1935، قد عمل في إمارة شرق الأردن مدرسًا ومفتشًا في دائرة المعارف 1935 - 1946، ثم انتقل للعمل في وزارة الزراعة الأردنية، مفتشًا ورئيسًا للقسم بتلك الوزارة 1948 - 1956، وناظرًا للخاصة الملكية في الديوان الملكي 1956 - 1960، ووكيلاً لوزارة الزراعة الأردنية 1961 - 1967، واشترك في خمس وزارات أردنية بين عامي 1967 - 1970[163].

وثمة طلبة من أصول فلسطينية درست في خضوري، قد تقلدت مناصب رفيعة ومن بين هذه الأسماء إسماعيل حجازي، الذي عين وزيرًا للزراعة الأردنية 1965 - 1967، ثم وزيرًا للإنشاء والتعمير 1967[164]. وعبد اللطيف العنبتاوي، الذي أشغل وظيفة وزير المالية والإنشاء والتعمير 1963، ووزارة الأشغال 1963 - 1964[165]. وحكمت قدورة الذي عمل في وزارة الزراعة الأردنية بين عامي 1955-1978، حيث أشغل وظائف مختلفة فيها، وكان آخر منصب تولاه هو مدير لدائرة زراعية فيها[166]. كما أن د. سليم الناشف عمل في تلك الوزارة 1952-1979، وأشغل فيها عدة وظائف منها، رئيس قسم تربية الحيوان، ورئيس قسم الإرشاد الزراعي، وعميد كلية الحسين الزراعية(مدرسة خضوري) 1961-1979[167]. وعمل خالد الفياض في وزارة الزراعة الأردنية 1950 - 1973، حيث تقلد فيها مناصب مختلفة، كان آخرها رئيسًا لقسم الإنتاج الزراعي[168]. كما عمل يحيى صلاح في تلك الوزارة بين عامي 1948- 1965، أشغل في الفترة 1961 - 1965 منصب رئيس دائرة الأبحاث في الوزارة[169]

(160) مقابلة مع د. يحيى صلاح 1994/7/20؛ مقابلة مع خالد فياض 1995/11/4، 1995/11/22؛ مقابلة مع د. عبد الله عرعر 1995/7/28.
(161) دائرة المطبوعات، تراجم الشخصيات في المملكة الأردنية الهاشمية، تشرين 1971، ص 98.
(162) المصدر نفسه، ص 74.
(163) المصدر نفسه، ص 12.
(164) المصدر نفسه، ص 24.
(165) المصدر نفسه، ص 84.
(166) مقابلة مع حكمت قدورة 1994/2/4.
(167) مقابلة مع د. سليم الناشف 1994/4/26.
(168) أوراق ووثائق خالد فياض؛ ومقابلة مع خالد فياض 1995/11/4، 1995/11/8.
(169) أوراق ووثائق د. يحيى صلاح؛ ومقابلة مع د. يحيى صلاح 1994/7/20.

وامتد نشاط طلاب خضوري إلى مجالات أخرى منها المجال التعليمي الجامعي، ففي الثمانينيات والتسعينيات برز الدكتور موسى الناظر أستاذ الكيمياء العضوية في الجامعة الأردنية، والدكتور حسين الموسى، أستاذ الحشرات في كلية الزراعة في تلك الجامعة[170].

كما عملت أعداد أخرى في وظائف مختلفة، فقد أشغل محمد عبد الرحمن خليفة وظائف متعددة في المحاماة، والقضاء، ثم عين مراقبًا عامًا لجماعة الإخوان المسلمين في الأردن منذ الستينيات[171] حتى أوائل التسعينيات.

ويتبين من المعلومات السابقة أن الطلبة الذين تخرجوا في مدرسة خضوري خلال فترة الانتداب قد ساهموا بفاعلية في مختلف النشاطات الأردنية، وبخاصة الزراعة، حيث تقلدوا مناصب رفيعة المستوى. من بينها وزارة الزراعة، ووزارة الإنشاء والتعمير. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على الدور الذي لعبته تلك المدرسة في الأردن.

وشمل أثر مدرسة خضوري الزراعية البلاد العربية الأخرى ليمتد إلى سورية ودول الخليج العربي، واليمن، وليبيا.

ففي سورية عملت مجموعة من خريجي خضوري، بتشجيع من أكرم الركابي، مدير مدرسة خضوري 1940 - 1944، والذي كان يشغل في أواخر الأربعينيات في سوريا منصبًا زراعيًا رفيعًا. حيث عمل هؤلاء في مجال التعليم الزراعي، أو في دائرة الزراعة السورية المختلفة، أو في تخصصات لها علاقة بذلك الموضوع. ومن بين الأسماء التي عملت في الزراعة السورية سعيد التاجي الفاوقي ورشيد الدجاني، حيث عملا في مدرسة زراعية في الغوطة بين عامي 1948-1950[172]، وحكمت قدورة الذي عمل أيضاً في التعليم الزراعي 1948 - 1955[173]. ومنبين الأسماء الأخرى التي عملت في الزراعة السورية خلال تلك الفترة سامي الجيوسي، ويحيى غنام، وعبدالعزيز فياض، ومحمود حمد، وراشد الزعبي[174]. كما عمل عبدالله عرعر في مشروع سد الغاب في سوريا، موفدًا من قبل منظمة الأغذية والزراعة الدولية (الفاو) 1964 - 1970[175].

واستقطبت دول الخليج العديد من الكوادر الفلسطينية، بضمنهم بعض الطلبة الذين تخرجوا في خضوري، إذ عمل سعيد التاجي الفاروقي في مزارع لأحد الأمراء في المنظمة الشرقية من السعودية 1950 - 1951[176]، وعمل محمد السعدي في مناصب رفيعة في وزارة الزراعة، كان من بينها وكيل تلك الوزارة[177]. وفي العراق عمل محمد حسن، ورأفت قشوع الذي كان يعمل مع شركة مقدادي للمواد الزراعية[178]، وعبد الله عرعر الذي عمل في مجلس الأعمار العراقي في مجال هيدرولوجية التربة، وخصوصاً في إعداد الأبحاث حول استصلاح التربة 1956 - 1961، إضافة إلى عمله أستاذاً في جامعة بغداد لتدريس مادة الري والصرف 1963 - 1964[179]. وفي الكويت عمل في دائرة الزراعة منذ الخمسينيات حتى أواخر الثمانينيات، كل من محمود الشيخ حسني، الذي أكمل دراسته الجامعية وحصل

(170) الجامعة الأردنية، عمادة البحث العلمي، دليل أعضاء هيئة التدريس في الجامعة الأردنية، عمان، الجامعة الأردنية، عمادة البحث العلمي، 1993، ص ص 59 - 125.
(171) دائرة المطبوعات، تراجم الشخصيات الأردنية، ص 39.
(172) مقابلة مع سعيد التاجي الفاروقي 1994/8/8؛ 1994/8/18؛ مقابلة مع د. يحيى صلاح 1994/7/20.
(173) مقابلة مع حكمت قدورة 1994/2/4.
(174) المصدر نفسه، مقابلة مع د. يحيى صلاح 1994/7/20؛ ومقابلة مع د. عبدالله عرعر 1994/7/28.
(175) مقابلة مع د. عبدالله عرعر 1994/7/28.
(176) مقابلة مع سعيد التاجي الفاروقي 1994/8/8.
(177) مقابلة مع د. يحيى صلاح 1994/7/20.
(178) مقابلة مع خالد فياض 1995/11/4، 1995/11/22.
(179) مقابلة مع د. عبدالله عرعر 1994/7/28.

على ماجستير حشرات من أمريكا، وعباس عبوشي، وجلال جابر، وخالد عيد، ويحيى غنام، وقد أشغل الأخير مدير دائرة الزراعة فيها[180]. فيما عمل في وزارة التربية والتعليم الكويتية أحمد عبدالرحمن طه، وعبدالمجيد عمير، وخليل السالم، ولبيب الداري 1951 - 1970. أما عبدالله عودة، فقد عمل في مجال آخر غير الزراعة، وأصبح مديرًا لأحد البنوك هناك[181]. وفي الإمارات عمل في ذلك المجال سامي بشناق، ومحمد حسن إبراهيم[182]. وانتدب خالد فياض لتأسيس مديرية الزراعة في إمارة أبو ظبي لمدة عام، 1967، كان خلالها مديرًا لتلك الدائرة[183].

فيما عمل ميشل فرح في دائرة الزراعة القطرية، حيث عين مديرًا لها[184]. وفي اليمن عمل إبراهيم أبو شعبان في مزارع خاصة للإمام في تعز منذ الخمسينيات، وعمل عبدالله عرعر في تهامة اليمن في مجال هيدرولوجية التربة 1952 - 1955[185].

كما وصلت مجموعة أخرى من خريجي مدرسة خضوري إلى ليبيا للعمل في مجالات زراعية مختلفة من بينهم حسن أبو رمضان، وأحمد أبو أصبع، والأستاذ محمود السيد أحمد[186]، والأستاذ حامد عطاري 1951 - 1953[187].

ج- دور مدرسة خضوري في المؤسسات الزراعية الدولية:

نتيجة الخبرة الزراعية التي اكتسبها طلبة خضوري في مدرستهم، وإكمال بعضهم لدراساتهم الجامعية والعليا، وإثبات وجودهم في الميادين الزراعية التي عملوا فيها، فإن مؤسسات زراعية دولية مثل منظمة الزراعة والأغذية الدولية (F.A.O) فقد استقطبت البارزين منهم، ومن بين هؤلاء الدكتور عبدالله عرعر الذي عمل معها بين عامي 1952 - 1990، [186]حيث أشغل فيها وظائف مختلفة، فعمل خبيرًا زراعيًا في مشروع الغاب في سوريا، ومستشارًا إقليميًا لشؤون الأراضي[187] والمياه في القاهرة 1970 - 1980، ومستشارًا في المكتب الإقليمي لشؤون الأراضي والمياه 1980 - 1990[188]. كما عمل الأستاذ سعيد التاجي الفاروقي في المكتب الإقليمي لتلك المنظمة في القاهرة 1956 - 1979[189]. وعمل الدكتور يحيى صلاح مع الفاو مستشارًا إقليميًا للإنتاج النباتي لمنطقة الشرق الأوسط في القاهرة بين عامي 1965 - 1979، وممثلاً للمنظمة في بغداد 1979 - 1986، وانتقل إلى روما حيث أصبح مسؤولاً عن التنمية والتطوير لمشاريع ميدانية في مختلف أنحاء العالم 1986 - 1988، وممثلاً للفاو في مصر 1988 - 1992، وقد شارك في تحضير ما لا يقل عن 30 مشروعًا زراعيًا في منطقة الشرق الأدنى، إما منفردًا، أو ضمن فريق جماعي[190]. وهناك أسماء أخرى عملت في تلك المؤسسة من بينها، يحيى غنام، ونزيه عبدالهادي، ومحمود حمد، وعبداللطيف كمال، حيث أشغلوا فيها مناصب هامة.[191]

---

(180) مقابلة مع لبيب الداري 1996/11/15؛ ومقابلة مع محمود الخواجة 1994/4/23، مقابلة مع د. يحيى صلاح 1194/7/20؛ ومقابلة مع عبدالله عرعر 1994/7/28.

(181) مقابلة مع لبيب الداري 1994/6/11/15.

(182) مقابلة مع عبدالله عرعر 1994/7/28.

(183) أوراق ووثائق خالد فياض، ومقابلة مع خالد فياض 1995/11/4، 1995/11/22.

(184) المصدر نفسه.

(185) مقابلة مع د. عبدالله عرعر 1194/7/28.

(186) مقابلة مع عبد الرحمن النجاب 1994/2/9، مقابلة مع د. يحيى صلاح 1994/7/20، مقابلة مع خالد فياض 1995/11/4.

(187) الأشقر، مشاهير الرجال في المملكة الأردنية الهاشمية، ص 40.

(188) أوراق عبد الله عرعر، مقابلة مع عبدالله عرعر 1994/7/28.

(189) أوراق ووثائق سعيد التاجي الفاروقي؛ مقابلة مع سعيد التاجي الفاروقي 1994/8/18، 1994/8/24.

(190) أوراق د. يحيى صلاح؛ مقابلة مع د. يحيى صلاح 1994/7/20.

(191) مقابلة مع د. يحيى صلاح 1994/7/20.

خلاصة تقويمية:

عند تقويم تجربة مدرسة خضوري الزراعية في طولكرم في الفترة بين عامي 1931 - 1948م، ينبغي التركيز على إيجابيات تلك التجربة وسلبياتها، والمقترحات التي كان من شأنها تفعيل دورها آنذاك.

ففيما يتعلق بإيجابيات مدرسة خضوري، فإنها تعتبر حدثاً هاماً، لأنها أول مدرسة زراعية عربية ذات مستوى مرتفع نوعاً ما. ومن الأدلة التي تدعم ذلك أن أغلب كوادرها التعليمية والإدارية، قد تخرجت في جامعات ومعاهد غربية متقدمة، كانت مؤهلة لمثل هذا العمل. وكذلك الأمر بالنسبة لمناهجها الذي اتصف بشكل عام بالتنوع والشمول لمختلف الجوانب النظرية والعملية، وأسهمت المدرسة من خلال طلبتها الذين تخرجوا فيها، والذين قدر عددهم بنحو 500 طالب، إلى حد ما، في تطوير الزراعة الفلسطينية والعربية والدولية، حيث إن بصماتهم كانت واضحة في المجالات الزراعية التي عملوا فيها.

ولا تعني الإيجابيات السابقة، أن مدرسة خضوري الزراعية كانت متكاملة، بل وجد فيها سلبيات، وهي في الأساس مقترنة بسياسة الانتداب البريطاني، الذي تسير عليه تلك المدرسة، التي تقوم على تنفيذ مما جاء في وعد بلفور عام 1917 الذي يهدف إلى إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، واتخذت شتى التدابير والسبيل لتحقيق ذلك الهدف. فيما وقفت سياسة الانتداب ضد المصالح العربية الفلسطينية في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. ومن هذا المنطلق فإن إنشاء سلطات الانتداب البريطاني لمدرسة خضوري الزراعية بالدرجة الأولى جاء لخدمة أغراضها وأهدافها الخاصة في فلسطين، والتي كانت تتمثل آنذاك في توفير كوادر زراعية مؤهلة للعمل في مختلف دوائرها الحكومية، وبخاصة الزراعة والتعليم. وبالتالي فإن السلطات البريطانية قد حرصت على أن يكون دور المدرسة في المجتمع الفلسطيني ضمن إطار محدد ومرسوم، لذلك كان كادر المدرسة التعليمي والإداري في الفترة بين عامي 1931 - 1939، يغلب عليه الطابع الإنجليزي، وإن أخذ يتغير بإدخال العنصر الفلسطيني في المدرسة في مرحلة الأربعينيات. كما أن قبول الطلبة كان محدوداً ويقتصر على عدد قليل من الطلاب ليعملوا في سلك التعليم. ناهيك من أن الظروف السياسية والاقتصادية في فلسطين لم تكن تسمح للطلبة الذين تخرجوا فيها في أن يلعبوا دوراً بارزاً وهاماً جداً في إحداث نهضة زراعية في فلسطين، لأن دورهم كان في الأساس العمل في المدارس، حيث إنهم لم يفعّلوا كثيراً موضوع توعية الفلاحين الفلسطينيين.

ومن الانتقادات الأخرى التي وجهت إلى المدرسة هي: قلة سنوات الدراسة فيها، والتي تراوحت ما بين السنة والسنتين، وهي غير كافية للتأهيل التربوي. إضافة إلى قلة عدد الطلاب الذين قبلوا فيها، بحيث إن عددهم لم يكن مناسباً لحاجة المجتمع الفلسطيني، بل كان ينبغي زيادة أعدادهم بشكل كبير ليواكب حاجة المجتمع الفلسطيني. هذا إلى جانب أن المدرسة عانت فترات الإضراب، حيث تم إغلاقها أكثر من مرة بين عامي 1935 – 1941م.

ولعل ذكر بعض المقترحات التي كان من شأنها أن تفعّل من دور مدرسة خضوري الزراعية في فلسطين خلال الفترة 1931 - 1948 أن يفيد في تقديم توصيات لمدارس مماثلة لتلك المدرسة من أهمها أن تكون تلك المدرسة تحت إدارة وإشراف فلسطينيين لتتواءم مع احتياجات المجتمع الفلسطيني، وليست مع

احتياجات سلطات الانتداب. وكان من شأن زيادة عدد الطلاب فيها إلى حد يتناسب مع الاحتياجات الفلسطينية أن يفعل من دورها في الزراعة الفلسطينية. كما أن إدارة المدرسة كان الأجدر بها أن تركز على الطلبة الذين لذويهم أراض زراعية، وليس خلاف ذلك، حتى يسهموا في تطوير الزراعة. يضاف إلى ذلك أن على المدرسة أن تفعّل من دور طلبتها في التوعية والتثقيف للمزارعين في مختلف مناطق فلسطين.

بسم الله الرحمن الرحيم

قسيمة اشتراك (مجلة المكتبات والمعلومات العربية)

السادة / دار المريخ للنشر

ص.ب: ١٠٧٢٠ - الرياض: ١١٤٤٣

المملكة العربية السعودية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ..

نأمل التكرم بأعتماد اشتراكنا في مجلة المكتبات لمدّة .... سنة أعتباراً من .... وحتى .... ، وذلك بواقع .... نسخة، على أن ترسل من قبلكم إلى العنوان التالي : ....

ومرفق الشيك رقم .... بمبلغ .... قيمة الإشتراك.

التوقيع

....

تملأ هذه القسيمة وترسل على العنوان التالي :

دار المريخ للنشر

الرياض – المملكة العربية السعودية ص.ب : 10720 – الرمز البريدى : 11443

هاتف : 4647531 / 4658523 + (009661) فاكس: 4657939

البريد الإلكترونى : Email: marspubl@zajil.net

دار المريخ للنشر

جمهورية مصر العربية – 4 شارع الفرات – المهندسين – الجيزة – الرمز البريدى: 12411

فاكس: 37609457 هاتف: 33376579 / 37609971 + (00202)

البريد الإلكترونى : Email: marspub2002@Yahoo.com

المراسلات والاشتراكات لجميع الدول العربية والعالم يتفق بشأنها مع العنوان المذكور أعلاه .

الاشتراكات	السعر	
«مائة وعشرون ريال سعودي» داخل المملكة العربية السعودية	120	ريال سعودي
«خمسة وأربعون دولار أمريكي» للبلاد العربية	45	دولار أمريكي
«مائة جنيهًا» داخل جمهورية مصر العربية	100	جنيهًا مصريًا

Consultants



P.O. Box 10720 Riyadh 11443 , Tel 4647531 – 4658523 , Fax 4657939 .
Email : marspub1@zajil.net

Web Site : http://alosour.netfirms.com
E-mail : al_Osour@hotmail.com

ANNUAL SUBSCRIPTION RATE :

- Saudi Arabia	S.R. 100
- All Arab Countries	U.S. $ 35
- All European Countries	U.S. $ 40
- U.S.A. & Canada	U.S. $ 45
- Australia & South Asia	U.S. $ 50

All MSS should be addressed to :
- Mars Publishing House,
P.O. Box : 10720, Riyadh 11443,
Saudi Arabia.
The Arabic Publishing & Distribution House Lts.
49 Goldhawk Road
London W12 8 QP
England



A Semi - annual Journal of Historical, Archaeological and Civilizational Studies

VOLUME 18
PART 2
JULY 2008
JUMADA'II 1429



Published by : Mars Publishing House London

Notes for authors

1- "Ages" is a semi-annual journal published by Mars Publishing House and issued from its London office.

2- Typescripts of articles should be submitted in triplicate, typewritten and double spaced on A4 (21x29.5 cm) paper size (using one side only). All pages, including tables and illustrations should be numbered consecutively.

3- Articles should not exceed 30 pages (7000 words) and edited books should not exceed 50 pages (12,000 words).

4- All articles, English or Arabic, should be prefaced by an abstract of approximately 200 words.

5- Maps, figures and illustrations should be drawn with Indian ink on white drawing paper of sufficient thickness for printing. If the photographs are in colour, original slides are recommended.

6- Captions and phrases intended to be printed in boldface type should be marked with a wavy line, whereas book titles and names of periodicals should marked with straight lines.

7- Punctuation marks should carefully observed. In general, the MLA style sheet should be followed.

8- **Footnotes:**

Notes should be typed double spaced on separate sheets at the end of the article. A bibliography list is not necessary. Each note is intended to read like an independent sentence with no internal full stops. The general sequence of a footnote should have the following form:

Articles:

* G. R. D. King. "Some Reflections on the Umayyad Wall - Mosaic Tradition," Ages, vol. 1, Part I, 1406 A. H./ 1986, pp. 1-12.
* G. Caton Thompson, "Some Palaeoliths from South Arabia." Proceedings of the Prehistoric Society, London, 1953 XIX, pp. 217f.
* Max Weber, The Protestant Ethic and the Spirit of Capitalism, Trans. Telcott Persons (New York: Scribner, 1958), p. 17.
* S. Y. Fisher, The Middle East- A History, 2nd edition, (New York: Alfred A. Knopp, 1969) pp. 133 - 134.

Books:

1- The footnote should contain the following: Name(s) of author(s), titles of chapters or parts of books cited, title of the work, name(s) of editor(s), translator(s) and compiler(s), edition, series, number of volumes, place of publication, publisher and date of publication, volume numbers and page number(s).

2- Once the reference has been mentioned in full, the short form of the reference is recommended for recurrent citations. This consists of the author's last name, and the relevant page numbers (23) Ali, pp. 18-27.

3- The once popular abbreviations (op. cit. in the work cited, and loc. cit. in the place cited) are now superfluous. If two or more works by the same author are cited, citation should include a short form of the title after the author's name.

4- (26) Ali, The All-Parties, pp. 18 -27. Notes should be numbered consecutively throughout the paper starting from 1 without asterisks or any other symbol. In the text, the number of footnotes should be superscripted after the punctuation marks.

5- In case the reference lacks publication information or pagination, indicate this by using one or more of the following abbreviations: n. p. p. = no place of publication, n. p. = no publisher, n. d. = no date, n. pag. = no pagination.

9- Originals of articles submitted for publication in the Journal will not be returned whether published or not.

10- The published articles appear in the Journal according to technical considerations irrespective of the author's position.

11- Since the Journal is published semi-annually and has a fixed distribution schedule, it is necessary to collect, edit and print the materials well before the printing and distribution time.

12- Previously published articles will not be accepted for publication by the Journal, and materials accepted for publication in the Journal cannot be published in other journals without prior written consent of the Chief Editors.

13- Articles may be submitted for publication either in Arabic or in English.

14- The above mentioned guidelines are necessary for the Chief Editors to perform their task and to achieve their objectives. Non-compliance may result in rejection of the article.

15- Writers should proofread their articles against their original typescripts (no changes, additions or deletions are allowed) and should return them within 48 hours if so desired by the Chief Editors.

16- The Author will receive free of charge a copy of the issue in which his/her article appears.

17- All typescripts should be addressed to:

- Mars Publishing House, P.O. Box 10720, Riyadh 11443, Saudi Arabia.
- The Arabic Publishing and Distribution House Ltd., 49 Gold Hawk Road, London W128 QP, England.



A Semi - annual Journal of Historical, Archaeological and Civilizational Studies

VOLUME 18
PART 2
JULY 2008
JUMADA'II 1429



Published by: **Mars Publishing House London**